الإمام المهديّ (عج)

سيرته ـ علاماته ـ ظهوره



بقلم

سماحة المرجع الديني الكبير

آية الله العظمى

السيد مرتضى فياض

الحسيني (دام ظله الوارف)

الإمام المهدي (عج)

سيرته ـ علاماته - ظهوره

﴿الجزء الأول﴾



بقلم

سماحة المرجع الديني الكبير

آيـــة الله العظمـــــــى

السيـــــد مرتضـــى فيـــاض

الحسينــــــي (دام ظله الوارف)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد حقه كما وصف نفسه الحمد لله وحده سبحانه وتعالى بارىء النسم خالق الخلق تبارك وتعالى وحده جل جلاله لا إله غيره رب الخلق أجمعين سبحانه وتعالى ، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمة للأنام سيد الكائنات الذي أصطفاه الله من خلقه وبعثه للجن ةالإنس ، الحبيب المصطفى وعلى أهله الطيبين الطاهرين المنتجبين الميامين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد...

بحوث الإمامة من أقدم بحوث الإسلام لأن لها أرتباط وثيق بالخلافة لأن الإمامة العظمى هي الخلافة فكثر الجدل والنقاش في هذا الموضوع المهم وكل حزب بما لديهم فرحون صاغوه بأنفسهم واقتنعوا به كما قال تعالى ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ** ﴾ ويبقي الحق مطارداً مذموماً من أوله إلى آخره في جميع العصور فكثر حرب الحق إلى يومنا هذا وإلى زمان ظهور العدل الإلهي والحكومة الإلهية في زمن الظهور المبارك

وقال الله تعالى ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾ فالقرآن يصف شيعة الحق بالضعف من أوله وهلة إلى أن يظهر قائمنا (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) فهو بل عن الإنسانية جمعاء وليعلو حالنا نحن المستضعفين من القرآن الكريم ﴿ **قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ هذا حالنا قبل ظهور الإمام نحن مستضعفون معرضون للأضطهاد في كل ساعة وبعد ظهوره المبارك سنقوم بحروب ضد الشر والظلم والجور في كل مكان على وجه المعمورة . فمبحث الإمامة ليس بحث فكري ولكنه طريقة عمل ورئاسة وحكم في الحياة وهو كما عبر البعض ما سل سيف ولا أريق دم ولا إباحة أموال وفروج كمبحث الإمامة .

فلما رأينا الناس قد أدلت بدلوها في مباحث الإمامة والأئمة ﴿ عليهم السلام ﴾ . أحببت أدلوا بدلوي أيضاً فشمرت عن ساعد الجد وبذلت الجهد في السنين والليالي لأن هذا من المباحث المعقدة فكتبت عن الإمام المهدي (عج) فتناولت حياة أبيه وأمه وحياته ﴿ عليه السلام ﴾ وزمن الغيبة الصغرى وما جرى فيها ونوابه

الأربعة (رضي الله عنهم أجمعين) وتوقيعاتهم وزمن الغيبة الكبرى وعلامات ظهوره وأجوبته للمسائل وأخيراً سلاحه ومعالم حكومته المباركة وقد ذكرت الجميع بشيء من التفصيل إن شاء الله وأرجو أن أكون موفقاً وأن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله أولاً وآخراً.

المؤلف

السيد مرتضى فياض الحسيني

الفصل الأول

مراحل حياة الإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾

تنقسم حياة الإمام الحسن العسكري﴿عليه السلام﴾ إلى مرحلتين متميزتين :

المرحلة الأولى : هي الأيام التي قضاها الإمام الحسن العسكري﴿عليه السلام﴾ في ظلال إمامة أبيه الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ والتي تقرب (٢٢سنة) حيث تنتهي باستشهاد أبيه سنة (٢٥٤هـ).

ولا نملك صورة تفصيلية عن هذين العقدين من الزمن فيما يخص حياة الإمام الحسن العسكري سوى بضعة حوادث تتلخص في صور من خشيته لله منذ صباه وعلاقته الحميمة بأخويه محمد والحسين ثم رزؤه بأخيه محمد ، ثم زواجه ونصّ الإمام الهادي على إمامته ثم تجهيزه لأبيه حين وفاته صلوات الله عليه .

ولا بد لنا إن نلمّ بأحداث عصر الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ ومواقفه منها كي نستطيع أن نخرج بصورة واضحة عن

الظروف التي أحاطت بالإمام العسكري﴿عليه السلام﴾ في المرحلة الثانية من حياته كي يتسنى لنا تقويمها ودراسة نشاطاته﴿عليه السلام﴾ في عصر إمامته الذي لا نجد عصراً أقصر منه ولا أشد حراجة بالنسبة للإمام نفسه ولشيعته ولأهدافه .

المرحلة الثانية : هي من أيام إمامته حتى استشهاده والتي تبدأ من سنة(٢٥٤هـ) وحتى سنة استشهاده(٢٦٠هـ) وهي مرحلة حافلة بأحداث مهمة على الرغم من قصرها .

وقد عاصر فيها كُلاً من المعتزّ (٢٥٥هـ) والمهتدي (٢٥٦هـ) والمعتمد(٢٧٩هـ) .

وتبرز مدى أهميتها حينما نتصور أهمية مرحلة الغيبة التي كان لا بد للإمام الحسن العسكري﴿عليه السلام﴾أن يقوم بالتمهيدات اللازمة فيها لنقل شيعة أهل البيت﴿عليهم السلام﴾ من مرحلة الحضور إلى مرحلة الغيبة التي يُراد من خلالها حفظ الإمام المعصوم وحفظ شيعته وحفظ خطّهم الرسالي من الضياع والانهيار والاضمحلال حتى تتهيّأ الظروف الملائمة لثورة أهل البيت الربانية على كل صروح الظلم والطغيان وتحقيق جميع أغراض الرسالة الإلهية الخالدة على وجه الأرض من خلال دولة العدالة العالمية لأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ .

الإمام الحسن العسكري في ظل أبيه ﴿عليهما السلام﴾

كان شخوص الإمام الهادي مع أبنه الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ من المدينة سنة (٢٣٤هـ)[١] ، ورافقه خلال مدة تواجده في سامرّاء البالغة عشرين سنة فيكون قد عاش الإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ في ظل أبيه أثنين وعشرين سنة حيث استشهد أبوه الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ سنة (٢٥٤هـ) .

وقد عاش الظروف المأساوية القاسية التي كان يعيشها الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ وشيعته والتي كانت تفرضها السلطة الغاشمة على الإمام ﴿عليه السلام﴾ وأتباعه من أجل إيقاف نشاط الإمام ونشاط أتباعه أو تحديده وتطويقه لئلّا يتسع نشاط مدرسة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ وتنتشر آثارهم بين جميع أبناء الأمة الإسلامية ذلك النشاط الذي قد يؤدي إلى المواجهة معها ، لذا فهي كانت تعمد إلى الاضطهاد والسجن والنفي والمتابعة وهي وسائل السلطات الجائرة على امتداد تاريخ الإنسان .

---

(١) تاريخ الطبري : ٧ / ٥١٩ .

١- طفولة متميزة

روي أن شخصاً مرّ بالحسن بن علي العسكري ﴿عليه السلام﴾ وهو واقف مع أترابه من الصبيان ، يبكي ، فظنّ ذلك الشخص أن هذا الصبيّ يبكي متحسّراً على ما في أيدي أترابه،ولذا فهو لا يشاركهم في لعبهم ، فقال له : أشتري لك ما تلعب به ؟ ، فرد عليه الحسن﴿عليه السلام﴾ : ((لا . ما للّعب خُلِقنا)) .

وبهر الرجل فقال له : لماذا خلقنا ؟ فأجابه ﴿عليه السلام﴾ : ((للعلم والعبادة)) .

فسأله الرجل : من أين لك هذا ؟ ، فأجابه ﴿عليه السلام﴾ : من قوله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً ﴾ .

وبهت الرحل ووقف حائراً ، وأنطلق يقول له : ما نزل بك ، وأنت صغير لا ذنب لك .

فأجابه ﴿عليه السلام﴾ : ((إليك عنّي ، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار ، فلا تتقد إلّا بالصغار ، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنّم)) [١].

وروي عن محمد بن عبد الله أنه قال : وقع أبو محمد ﴿عليه السلام﴾ وهو صغير في بئر الماء وأبو الحسن ﴿عليه السلام﴾ في الصلاة ، والنسوان يصرخن ، فلما سلّم قال : لا بأس . فرأوه وقد أرتفع الماء إلى رأس البئر وأبو محمد على رأس الماء يلعب بالماء[٢].

٢- عصر الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾

عاصر الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ مدة إمامته ستّة من خلفاء بني العباس ، المعتصم منذ سنة (٢٢٠- ٢٣٢هـ) والمتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) حيث قتل على يد الأتراك ، ثم جاءت أيام المنتصر – وكانت مدة خلافته ستة أشهر ويومين ثم المستعين(٢٤٨-٢٥٢هـ) كما عاصر الشطر الأكبر من خلافة المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ) حيث كان استشهاد الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾

---

(١) حياة الإمام الحسن العسكري : ٢٢-٢٣ عن جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام : ١٥٥ .

(٢) الخرائج والجرائح : ١ / ٤٥١ ح ٣٦ وعنه في بحار الأنوار : ٥٠ / ٢٧٤ .

سنة (٢٥٤هـ)[١] ،وفي هذا العام تولى مهام الإمامة أبنه الحسن بن علي العسكري ﴿عليه السلام﴾ .

وكانت الظروف التي تمر بها الدولة العباسية بعد تولي المتوكل ظروفاً صعبة جداً ، إذ أنها كانت تعد مؤشراً على ضعفها ، وتشكل بدايةً لانحلالها ، فالحروب الداخلية والخارجية من جهة ، والقتال بين أبناء الخلفاء على كرسي الحكم من جهة أخرى كالذي حصل بين المستعين والمعتز والذي أدّى تولى المعتز وخلع الأول عام (٢٥٢هـ) [٢]. كل واحد من هذه الصراعات كان له تأثيره المباشر في أيجاد الضعف والانحلال .

وتمثلت الأحداث الداخلية أيضاً بنشاط الخوارج والذي كان نشاطاً قوياً فعالاً مدعماً بالمال والسلاح بقيادة نادر الشاري ، وهناك أيضاً الثورات والانتفاضات العلوية إلى جانب نزاعات الطامعين في السلطة .

كما أن الدولة كانت تعاني من سوء الحالة الاقتصادية نتيجة للبذخ والإسراف الذي كانت تعيشه رجالات البلاط والوزراء

---

(١) تاريخ الطبري : ٧ أحداث سنة ٢٣٤وسنة ٢٥٤هـ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٧٦ .

وحاشيتهم وفي أيام المتوكل قام المتوكل بهدم قبر الإمام الحسين﴿عليه السلام﴾[١] ، ومنع القاصدين لزيارته عن زيارته ، لأن المتوكل كان يتجاهر بعدائه لآل أبي طالب ومطاردتهم ، ولم يرد تجاه تلك الأحداث أي تعليق من قبل الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ ، ويمكن أن يقال :لم يرد إلينا عن موقف الإمام ﴿عليه السلام﴾ مع الخلفاء شيء سوى ما جاء عن موقفه من المتوكل وهو أقل القليل[٢].

وكانت للإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ منزلة سامية ومكانة رفيعة القدر لدى أهل المدينة لإحسانه إليهم وعلاقته القوية معهم ، فلما أشخصه المتوكل وأرسل يحيى أبن هرثمة لجلب الإمام من المدينة إلى سامراء عام (٢٣٤هـ) أضطرب الناس وضجّوا كما يروي يحيى بن هرثمة نفسه حيث قال : فذهبت إلى المدينة فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ، ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي – أي الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ – وقامت الدنيا على ساق ، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد ، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا ، فجعلت أسكّنهم ، وأحلف لهم أني لم أؤمر

---

(١) تاريخ أبن الوردي : ١ / ٢١٦ .

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى :١١٧ .

فيه بمكروه . وأنه لا بأس عليه ، ثم فتّشتُ منزله فلم أجد إلّا مصاحف وأدعية ، وكتب علم ، فعظم في عيني[١].

وتعكس هذه الرواية لنا حجم ما كان يؤديه الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ من دور في المدينة والذي نتج عنه حصول روابط ووشائج قوية تصل الأمة به كما كانت توصله بالأمة ، وربما كان المتوكل قد وقف على هذا التأثير البالغ للإمام ﴿عليه السلام﴾ فكان سبباً لإبعاده عن المدينة المنورة إلى سامراء التي أسسها العباسيون أولاً ، بالإضافة إلى ما عرفوا به من تطرف في التوجه إلى السيطرة والسلطة ثانياً .

٣- مواقف الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ تجاه الأحداث

يتضح لنا من الإجراءات التي قام بها المتوكل العباسي تجاه الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ أن حركة الإمام وقيامه بمهامه إزاء الأمة وخاصّته – وهي القواعد المؤمنة بمرجعيته الفكرية والروحية – كانت حركة محدودة تخضع لمدى الرقابة والضغط الموجه إليه وإلى خاصته . فكان الإمام ﴿عليه السلام﴾ منتهجاً في السبيل الذي انتهجه آباءه ﴿عليهم السلام﴾ ، وعلى وفق المصلحة العليا للرسالة

---

(١) تذكرة الخواص : ٣٦٠ عن علماء السير .

الإسلامية وبمقدار ما تسمح به الظروف العامة والخاصة التي تحيط بالإمام ﴿عليه السلام﴾ في عصره وهي ضرورة الحفاظ على مفاهيم الرسالة الإسلامية أولاً ومنع خاصّته من الوقوع في الانحراف أو ما كان يكيده لهم السلطان العباسي من منزلقات ثانياً : ويمكن أن نصور مواقف الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ على منحيين :

المنحى الأول : هو إثبات الحق ونقد الباطل ، على صعيد الأمة الإسلامية ، سواء كان ذلك على مستوى جهاز الحكم أو على مستوى القواعد الشعبية العامة .

حتى أن يحيى بن أكثم قال للمتوكل : ما نحب أن تسأل هذا الرجل – أي الإمام(﴿عليه السلام﴾ – شيئاً بعد مسائلي هذه وإنه لا يرد عليه شيء بعدها إلا دونها ، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة[1].

المنحى الثاني : هو المحافظة التامة على أصحابه ورعاية مصالحهم وتحذيرهم من الوقوع في أحابيل السلطة العباسية

---

(١) المناقب : ٤ /٤٣٧ .

ومساعدتهم في إخفاء نشاطهم والحذر في التحرك بحسب الإمكان [١].

وتتضح لنا مواقف الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ من خلال استعراض بعض الحوادث التي واجهها وما أتخذ من إجراءات إزاءها لنحصل على صورة واضحة المعالم حينما نأخذ كل ظروفه بنظر الاعتبار فتتضح من خلالها الحركة العامة للأئمة الأطهار والمواقف الخاصة بكل أمام .

الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ والمتوكل العباسي

لقد سعى جماعة بالإمام ﴿عليه السلام﴾ إلى المتوكل ، وأخبروه بأن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها وأنه يطلب الامر لنفسه ، فأرسل المتوكل مجموعة من الأتراك ليلاً ليهجموا على منزله على حين غفلة ، فلما باغتوا الإمام ﴿عليه السلام﴾ وجدوه وحده ، مستقبل القبلة وهو يقرأ القرآن ، وليس بينه وبين الأرض بساط فأخذ على الصورة وجد عليها ، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل ، فمثُل بين يدي المتوكل وهو في مجلس شرابه وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه وأكبره وأجلسه إلى جانبه ولم يكن في منزله

---

(١) الغيبة الصغرى : ١١٨ .

شيء مما قيل عنه ولم تكن للمتوكل حجة يتعطل بها على الإمام ﴿عليه السلام﴾ . فناول المتوكل الإمام ﴿عليه السلام﴾ الكأس الذي في يده .

فقال الإمام ﴿عليه السلام﴾ : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي دمي قط ، فأعفني ، فأعفاه ، فقال المتوكل : أنشدني شعراً أستحسنه.

قال الإمام ﴿عليه السلام﴾ : إني لقليل الرواية للشعر .

قال المتوكل : لا بد أن تنشدني شيئاً . فأنشده الإمام ﴿عليه السلام﴾:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم

غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

واستنزلوا من بعد عز من معاقلهم

فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا

أين الأسرة والتيجان والحلل

أيــن الوجــوه الــتي كانــت منعمــة

مــن دونهــا تضــرب الأســتار والكلــل

فأفصــح القــبر عــنهم حــين ســاءلهم

تلــك الوجــوه عليهــا الــدود يقتتــل

قــد طالمــا أكلــوا يومــاً ومــا شــربوا

فأصبحوا بعـد طـول الأكـل قـد أكلـوا

وطالمـــا عمّـــروا دوراً لتحصـــنهم

ففـــارقوا الـــدور والأهلـــين وأنتقلـــوا

وطالمـــا كنـــزوا الأمـــوال وأدخـــروا

فخلّوهـــا علـــى الأعـــداء وارتحلـــوا

أضـــحت منـــازلهم قفـــراً معطّلـــة

وســاكنوها إلى الأجـداث قـد رحلـوا

فبكى المتوكل بكاءاً كثيراً حتى بلت دموعه لحيته ، وبكى من حضر ثم أمر برفع الشراب ، ثم قال يا أبا الحسن ، أعليك

دين ؟ قال الإمام ﴿عليه السلام﴾ : نعم ، أربعة آلاف دينار ، فأمر بدفعها إليه ، وردّه إلى منزله مكرّماً [١].

فمواقف الإمام ﴿عليه السلام﴾ كانت تنسجم مع موقع الإمامة أوّلاً وتنسجم مع الظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بالإمام ﴿عليه السلام﴾ وشيعته ثانياً .

وكان الإمام ﴿عليه السلام﴾ يحاول أتمام الحجة وإقامة الحق كلما سمحت الفرصة بذلك ، فقد روي أن نصرانياً جاء إلى دار الإمام ﴿عليه السلام﴾ حاملاً إليه بعض الأموال ، فخرج أليه خادمه وقال له : أنت يوسف بن يعقوب ؟ فقال : نعم ، قال : فأنزل واقعد في الدهليز ، فتعجب النصراني من معرفته لأسمه وأسم أبيه ، وليس في البلد من يعرفه ، ولا دخله قط . ثم خرج الخادم وقال : المائة دينار التي في كمك في الكاغد هاتها ، فناولها إياه ثم دخل على الإمام ﴿عليه السلام﴾ وطلب منه أن يرجع إلى الحق وأن يدخل في الإسلام فلما قال له الإمام : يا يوسف أما آن لك ؟ فقال يوسف يا مولاي قد بان لي من البرهان ما

(١) مروج الذهب : ٤ / ١١ عن المبرد . ولعل عنه أبن خلكان في وفيات الأعيان : ٢ / ٤٣٤ وعن المسعودي السبط في تذكرة الخواص : ٣٢٣ .

فيه الكفاية لمن اكتفى ، فقال له الإمام ﴿عليه السلام﴾ : هيهات أنك لا تسلم ولكنه سيسلم ولدك فلان وهو من شيعتنا [١].

الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ ووزير المنتصر

وروي أن الإمام ﴿عليه السلام﴾ كان يساير أحمد بن الخصيب في أثناء وزارته وقد قصُرَ أبو الحسن – أي الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ – عنه فقال له أبن الخصيب :سر ، جُعلت فداك ، فقال له أبو الحسن ﴿عليه السلام﴾ : (أنت المقدم) ، يقول الراوي فما لبثنا إلا أربعة أيام حتى وضع الدهق على ساق أبن الخصيب وقتل[٢].

وأبن الخصيب هذا من المتجبرين وقد أستوزره المنتصر وندم على ذلك لما أشتهر بالظلم . فمن ذلك أنه ركب يوماً فتظلم إليه متظلم بقصة فأخرج رجله من الركاب فزج بها في صدر المتكلم فقتله فتحدث الناس في ذلك فقال بعض الشعراء :

قــل للخليفــة يــا أبــن عــم محمــد

أشـــكل وزيـــرك أنـــه ركـــال

---

(١) الخرائج والجرائح : ١ / ٣٩٦ح ٣ب ١١ وعنه في كشف القمة : ٣ / ١٨٢ .

(٢) أصول الكافي : ١ / ٥٠١ ح٦ وعنه في الأرشاد : ٢ / ٣٠٦ وأعلام الورى : ٢ / ١١٦ وعن الأرشاد في كشف الغمة : ٣ / ١٧٠ .

أشــكله عــن ركــل الرجــال فــأن تــرد

مــــالاً فعنـــــد وزيـــرك الأمـــــوال[١]

الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ والتحدّي العلمي

لم تنحصر تحديات السلطة بإجراءاتها القمعية ضد الإمام ﴿عليه السلام﴾ بل كانت تعمد بين الحين والآخر إلى إحراج الإمام في قضايا علمية حيث تدفع بوعاظها إلى محاججة الإمام ﴿عليه السلام﴾ بطرح أسئلة في مجالس عامة .

على أن عجز فقهاء السلطة عن أيجاد حلول لمشاكل فقهية مستجدة كان يدفع الخليفة لطرح الأسئلة على الإمام ﴿عليه السلام﴾ . فقد روي أن رجلاً نصرانياً قدم إلى المتوكل وكان قد فجر بامرأة مسلمة ، فأراد أن يقيم الحد عليه ، فأسلم فقال يحيى أبن أكثم – وهو قاضيْ القضاة – قد هدم أيمانه شركه وفعله ، وقال بعضهم يضرب ثلاثة حدود ، إلى غير هذه الأقوال ...فلمّا رأى المتوكل هذا الاختلاف بين الفقهاء أمر بالكتابة

(١) مروج الذهب : ٤ / ٤٨ ، والكامل في التاريخ : ٥ / ٣١١ .

إلى أبي الحسن العسكري - الإمام الهادي(عليه السلام) - لسؤاله عن هذا المشكل الذي اختلفوا فيه ، فلما قرأ الإمام(عليه السلام) الكتاب كتب : (يضرب حتى يموت) .فأنكر يحيى بن أكثم وأنكر فقهاء العسكر - أي سامراء - ذلك فقالوا يا أمير المؤمنين : سله عن ذلك فإنه شيء لم ينطق به كتاب ولم يجيء به سنة .

فكتب المتوكل إلى الإمام قائلاً : إن الفقهاء قد أنكروا هذا وقالوا : لم يجيء به سنة ولم ينطق به كتاب ، فبين لنا أوجبت علينا الضرب حتى الموت .

فكتب (عليه السلام) : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ {٨٤} فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[١]. فأمر به المتوكل فضرب حتى مات [٢].

---

(١) غافر (٤٠) : ٨٤-٨٥ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٣٧ .

الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ وفتنة خلق القرآن

وفي فترة حكم المأمون العباسي ، أثيرت من قبل السلطان العباسي قضية خلق القرآن من أجل إبعاد الأمة عن همومها وأهدافها بالإضافة إلى توسيع وتعميق شقة الخلاف بين أبناء الأمة ، ليكون هذا الخلاف حاجزاً بينهم وبين السلطان المنحرف والبعيد في سلوكه ونشاطه عن الشريعة الإسلامية .

وهناك جهة ثالثة هي أن السلطة قد استغلت هذه لقضية إذ جعلتها مصيدة لمعارضيها فكانت تتعرّف عليهم من خلالها ثم تقوم بتحجيم دورهم في أوساط الأمة .

وكتب الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ إلى شيعته في بغداد لإبعادهم عن الخوض في مسألة خلق القرآن مع من يخوض فيها تجنباً لهم من الآثار السلبية التي يمكن أن تلحق بهم وربما يكونون عرضة للوقوع تحت إجراءات قمعية ومطاردة من قبل السلطة ، وقد روي عنه ﴿عليه السلام﴾ الكتاب الآتي :

عن محمد بن عيسى بن عبيد بن اليقطين قال كتب علي بن محمد بن علي أبن موسى الرضا ﴿عليه السلام﴾ إلى بعض شيعته ببغداد : (بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة

فإن يفعل فأعظم بها نعمة وإلا يفعل فهي الهلكة نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة أشترك فيها السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه وليس الخالق إلا الله ، وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله لا تجعل له أسماً من عندك فتكون من الضالين جعلنا الله واياك من الذين يخشو ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) [1].

وقد شغلت هذه المسألة الذهنية الإسلامية فترة حكم المأمون والمعتصم والواثق ، وكان جواب الإمام ﴿عليه السلام﴾ محدّداً وبليغاً ، إبعاداً للشيعة عن الوقوع في حبائل السلطان والخروج من هذه الفتنة بسلامة في الدين ، فكان الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ يترصد الأحداث والظواهر التي تكتنف الحياة الإسلامية عامة وما تتطلب من مواقف خاصة فيما يتعلق بشيعته لتجنيبهم مزالق الانحراف من الخوض في كثير من المسائل التي لا طائل منها سوى الكشف عن هويتهم ، وبالتالي التعرض لحبائل السلطة من القمع والاضطهاد والسجن .

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق : ٤٨٩ .

الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ مع أصحابه وشيعته

لقد حفلت حياة الإمام ﴿عليه السلام﴾ بالأحداث المريرة إذ كان الصراع على السلطة على أشده بين أبناء الأسرة الحاكمة من جهة ، وبين الأمراء والقواد الأتراك وغيرهم من الطامحين في السلطة من جهة ثانية . فكان نتيجة هذا الصراع أن ينال الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ وأبناء عمومته وشيعته في هذه الظروف الكثير من الأذى والاضطهاد باعتباره زعيم الجبهة المعارضة لكل هؤلاء المتصارعين على السلطة من حكام وأمراء ووزراء . فبالرغم من وجود هذا الصراع الشديد فأن الحكام العباسيين كانوا يخافون الإمام ﴿عليه السلام﴾ ويرون أنه سيد أهل البيت وإمام الأمة وصاحب الكلمة المسموعة بين الناس .

وكان الإمام ﴿عليه السلام﴾ يمارس دور التربية والتوجيه وإعداد المؤمنين بمرجعيته الفكرية والروحية من أجل تحصينهم ضد الانحرافات العقائدية والفكرية ويمنعهم من الخوض في كثير من المسائل التي يكون الخوض فيها كاشفاً عن هويتهم وارتباطهم بالإمام ﴿عليه السلام﴾ مما كان يؤدي إلى أن يكونوا تحت طائل عقوبات وأضطهادات السلطة فيما إذا علموا موالاتهم للإمام

وأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ كما حصل ذلك لأبن السكيت وغيره ، حيث كانت تقوم السلطة بقتلهم أو زجّهم في السجون .

إن دارسي هذه الفترة – وهي العصر العباسي الثاني – وإن وصفوها بالضعف السياسي والإداري للسلطة لكن حكام الدولة لم يتهانوا في تشديد الرقابة على الإمام وأصحابه ، محاولين بذلك تحديد دائرة نشاط الإمام ﴿عليه السلام﴾ وحدّها من التوسع في تأثيرها على قطاعات الأمة المختلفة . لذا نرى أن الإمام ﴿عليه السلام﴾ كان يكرس جل وقته وتعليماته بخصوص شيعته ومواليه مع تحيّن الفرصة في اتخاذ المواقف التي تعكس وجهة النظر الإسلامية في الوقائع والأحداث مع بيان ابتعاد الحكام العباسيين عن تطبيق تعاليم الإسلام وهم في قمة انحرافهم وانغماسهم في اللهو والمجون .

وكانت مواقف الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ تجاه الأحداث متناسبة مع تلك الظروف فكان يصدر توجيهاته وتعليماته بحذر ودقة وسرية تامة إلى شيعته وأصحابه .

ولعل أهم وأوضح موقف وقفه الإمام ﴿عليه السلام﴾ في هذا الصدد بحسب ما لدينا من وثائق تاريخية هو موقفه تجاه محاولة المتوكل

للنيل من الإمام ﴿عليه السلام﴾ عن طريق أخيه ، حيث أغراه بعض جلسائه بدعوة موسى إليه لإشاعة أن أبن الرضا يجلس إلى المتوكل وينادمه الشرب واللهو ، غير أن الإمام ﴿عليه السلام﴾ قد خرج فيمن خرج لأستقبال أخيه وحذّره عاقبة ما يقصده المتوكل ومن ثم انبأه أنه لا يجتمع والمتوكل في مجلس ، وكان كما قال الإمام ﴿عليه السلام﴾ حتى قتل المتوكل [1].

رعاية الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ لشعيته وقضاء حوائجهم

كتب الإمام الهادي(عليه السلام) كتاباً حذّر فيه محمد بن الفرج الرخُجي جاء فيه :

(يا محمد ! أجمع أمرك وخذ حذرك) ، فلم يفهم ما أراده الإمام بكلامه هذا حيث قال محمد : فانا في جمع أمري لست أدري ما الذي أراد – أي الإمام – بما كتب حتى ورد رسول حملني من وطني مصفداً بالحديد ، وضرب على كل ما أملك وكنت في السجن ثماني سنين .

---

(١) أصول الكافي : ١ / ٥٠٢ح ٨ وفي ط : ٩٢ وعنه في الأرشاد : ٢ / ٣٠٧ وفي أعلام الورى : ٢/١٢١- ١٢٢ وعن الأرشاد في كشف الغمة : ٣ / ١٧١ .

ونجد أن رعاية الإمام ﴿عليه السلام﴾ لم تنقطع عن محمد هذا حتى كتب أليه وهو في السجن مبشراً له بالخروج من السجن ثم أوصاه : يا محمد لا تنزل في ناحية الجانب الغربي .

وقال محمد : فقرأت الكتاب وقلت في نفسي : يكتب إلي أبو الحسن بهذا! وأنا في السجن إنّ هذا لعجب ، فما لبثت إلا أيّاماً يسيرة حتى فرّج عني وحلّت قيودي وخلي سبيلي (١).

ومن ذلك أيضاً ما حدث بأحد أصحابه المتضررين من الحكم العباسي، حيث يقول قصدتُ الإمام يوماً فقلت : ان المتوكل قطع رزقي ، وما أتهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك ، فينبغي أن تتفضل علي بمساءلته ..

فقال الإمام ﴿عليه السلام﴾ له : تُكفى إن شاء الله .

قال : فلما كان الليل طرقني رسل المتوكل رسول يتلو رسولاً ، فجئت فوجدته في فراشه .

فقال : يا أبا موسى يشتغل شغلي عنك وتنسينا نفسك . أي شيء لك عندي به ؟ فقلت : الصلة الفلانّية ،وذكرت أشياء ،

---

(١) أصول الكافي : ١/٥٠٠ ح ٥ وعنه في الأرشاد : ٢ / ٣٠٦ وأعلام الورى : ٢ / ١١٥ وعن الأرشاد في كشف الغمة : ١٧٠ .

فأمر لي بها وبضعفها ، فقلت للفتح : وافى علي بن محمد إلى ها هنا ؟ وكتب رقعة؟ قال : لا . قال فدخلت على الإمام فقال لي : يا أبا موسى هذا وجه الرضا . فقلت ببركتك يا سيدي ، ولكن قالوا : أنك ما مضيت إليه ولا سألت – أي المتوكل- فأجابه الإمام ﴿عليه السلام﴾ مصححاً له رؤيته وتفكيره محاولاً أن يرتفع به إلى الأنشداد بالله الواحد القادر سبحانه . بقوله :

إن الله تعالى علم منّا أنّا لا نلجأ في المهمات إلاّ إليه ، ولا نتوكل في الملمات إلا عليه وعودنا – إذا سألناه – الأجابة ، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا[1] .

فكان الإمام ﴿عليه السلام﴾ على أطلاع دائم على الوضع والظروف التي كان يعيشها أصحابه وشيعته وهو يعمل جاداً من أجل تخفيف وطأة ذلك عنهم لما يعلمه من سوء ظروفهم الأقتصادية والسياسية ، وما تقوم به السلطة العباسية من التضييق وخلق ظروف يصعب عليهم التحرك أو العمل فيها فضلاً عن محاربتهم أقتصادياً وسياسياً وربما كان يتوخى الإمام ﴿عليه السلام﴾ من ذلك أمور مثل :

---

(١) أمالي الطوسي : ٢٨٥ح٥٥٥ وعنه في مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٢٢ .

١- تقوية صلتهم وتوجههم للأرتباط بالله سبحانه وحده .

٢- قضاء حوائجهم الخاصة .

٣- إعادة الثقة بأنفسهم لمداومة نصرة الحق وخذلان الباطل .

٤- تقوية صلتهم به والأخذ عنه وعن الثقات الذين يشير الإمام إليهم للتعامل معهم .

الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ والغلاة

ظهر في عصر الإمام ﴿عليه السلام﴾ أشخاص وبرزت مجموعات تدعو إلى آراء وتوجهات خاصة بهم تحاول خداع السذج من الناس لصرفهم عن قيادة الإمام ﴿عليه السلام﴾ وتشكيكهم في معتقداتهم لغرض تفتيت الحركة الشيعية وتحجيم دورها .

ولا يبعد أن تكون السلطة من وراء بعضها بواسطة أيادي كان يهمها أن تضعف حركة الإمام ﴿عليه السلام﴾ وتضيق دائرة تأثيره فيما تبتدعه من أفكار هدامة منافية للأسلام .

ومن هؤلاء الغلاة والمنحرفين علي بن حسكة والقاسم اليقطيني . ولما سئل الإمام ﴿عليه السلام﴾ من قبل أصحابه عن

معتقدات (علي بن حسكة) قال الإمام (عليه السلام) عنها : (ليس هذا ديننا فأعتزله)[1] .

وعن محمد بن عيسى ـ أحد أصحاب الإمام (عليه السلام) ـ قال : كتب إلي أبو الحسن العسكري أبتداءاً منه : لعن الله القاسم اليقطيني ولعن الله علي بن حسكة القمي ، أن شيطاناً يتراءى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غروراً [2].

إلى غيرها من المواقف الكثيرة للإمام (عليه السلام) بهذا الخصوص لبيان وجه الحق وإثباتاً للعقيدة الحقة وتجنيباً لأصحابه وشيعته من الانحراف والزيغ .

الإمام الهادي(عليه السلام) والثورات في عصره

أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة وظروف القهر والاستبداد السياسي التي عانت منها الأمة إبان عصر الدولة العباسية الثاني حفزت كثيراً من معارضي الدولة على الخروج المسلح عليها فحدثت عدة انتفاضات وثورات في أمصار الدولة

---

(١) رجال الكشي : ٥١٦ح ٩٤٤و ٩٩٥ .

(٢) رجال الكشي : ٥١٨ح٩٩٦ .

كما كانت هناك حركات انفصالية قامت نتيجة لها دول وأمارات في أمصار مختلفة .

ولا ندعي شرعية جل هذه الحركات مع صعوبة معرفة موقف الإمام ﴿عليه السلام﴾ منها للحيطة والسرية التي كانت سمة تعامل الإمام وشيعته مع الأحداث إذ كانت وصاياه وتعليماته إلى خاصته وشعيته تتّسم بأعلى درجات السرية ، وكانت تلك الثورات والانتفاضات على نوعين :

١- الحركات والثورات التي تدعو إلى الرضا من آل محمد﴿عليهم السلام﴾ .

٢- حركات معارضة لأسباب ودوافع متعددة منها الظلم والتعسف السلوطي لحكام بني العباس وجور الولاة والامراء وقواد الجند الأتراك لما أمتازت به هذه الحقبة الزمنية من بروز دور واسع للأتراك في إدارة السلطة .

الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ وأساليب مواجهة السلطة

إن إبعاد الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ عن المدينة وإقامته قريباً من مركز الخلافة في سامراء ما كان إلا لتحصى عليه حركاته

وسكناته ومن ثم إبعاده عن شعيته وأهل بيته ومحبتيه كمحاولة من السلطة العباسية لإضعاف نشاط الإمام وتحجيم دوره وبالتالي إخضاعه لرقابة مشددة للتعرف على مدى تحرّكه أولاً ثم التعرف على شيعته وأصحابه ثانياً وإتخاذ الإجراءات الكفيلة بإفشال تحرّكهم ومنع تأثير الإمام ومنع أنتشار فكر الإمام ﴿عليه السلام﴾ بين أبناء الأمة الإسلامية التي عرفت الإمام الرضا ومدرسته وأبناءه الذين كانوا يشكلون الجبهة الأساسية المعارضة للحكم القائم ثالثاً .

إذاً ثبات الحكم العباسي كان يتوقف على شل أي تحرّك ضدّه ، من هنا نجد أن تعليمات الإمام وتوجيهاته لشيعته وأصحابه كانت تمتاز بالدقة والعمق لشدة وحراجة الظرف الذي كانوا يعيشونه .

وتبرز لنا صعوبة الظرف الذي كان يحيط بالإمام ﴿عليه السلام﴾ وشيعته من قبل السلطة العباسية الغاشمة من خلال نوع التعليمات التي كان يراعيها الإمام وشيعته وهي :

١- أتخاذ أماكن سرية للقاءات ، فعن إسحاق الجلاب قال : دعاني الإمام ﴿عليه السلام﴾ فأدخلني من أصطبل داره إلى موضع واسع لا أعرفه[١] .

٢- الحذر من كتابة المعلومات وما يصدر عن الإمام ﴿عليه السلام﴾ . فعن داود الصرمي : أمرني سيدي – الإمام الهادي- بحوائج كثيرة فقال ﴿عليه السلام﴾ (قل : كيف تقول ؟ فلم أحفظ ما قال لي ، فمر الدواة وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اذكره إن شاء الله والأمر بيده).

٣- استعمال الأسماء السرية [٢].

٤- استعمال القوة ضد العناصر التي كانت تشكّل خطراً .

٥- الاعتماد على العناصر ذات الالتزام والأيمان والمخلصة في نقل الأخبار والرسائل[٣] .

هذا فضلاً عن أساليب أخرى لإيصال المعلومات أو أتخاذ المواقف إزاء الإحداث العامة أو غيرها عن طريق طرح

---

(١) أصول الكافي : ١/ ٤٩٨-٤٩٩ح٣ .

(٢) يراجع تاريخ الكوفة : ٣٩٣، ومنهاج التحرك عند الإمام الهادي : ٨٧-٩٣ .

(٣) دلائل الامامة : ٢١٩ .

الأفكار في مجالس عامة أو خاصة أو عن طريق الأدعية والزيارات للأئمة ﴿عليهم السلام﴾ كما في الزيارة الجامعة التي تضمنت معاني سامية وأفكار عقائدية مهمّة .

لقد عاصر الإمام العسكري ﴿عليه السلام﴾ هذه الأحداث بكل تفاصيلها وشاهد كل ما ألم بأبيه﴿عليه السلام﴾ وشيعته من اجراءات قمعية من قبل السلطة وما عانته الأمة منهم طيلة عقدي من الزمن .

٤- زاوج الإمام الحسن العسكري﴿عليه السلام﴾

روي عن بشر بن سليمان النخاس – وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري – أحد موالي أبي الحسن الهادي وأبي محمد العسكري ﴿عليهما السلام﴾ أنه قال :

(أتاني كافور الخادم – خادم الإمام الهادي- فقال مولانا أبو الحسن علي الهادي﴿عليه السلام﴾ يدعوك إليه فأتيته فلما جلست بين يديه قال لي : يا بشر إنك من مولد الانصار وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف ، فأنتم ثقاتنا أهل البيت ، وأني مزكيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بها ، بسر أطلعك عليه ، وأنفذك في أبتياع أمة .

فكتب كتاباً لطيفاً بخط رومي ولغة رومية وطبع عليه خاتمه وأخرج شقيقة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً ، فقال : خذها وتوجه إلى بغداد واحضر معبر الفرات ضخوة يوم كذا ، فإذ وصلت إلى جانبك زواريق السبايا وترى الجواري فيها ستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس وشرذمة من فتيان العرب ، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا ، لابسة حريرين صفيقين تمتنع من العرض واللمس المعترض والأنقياد لمن يحاول لمسها ، وتسمع صرخة رومية من وراء ستر رقيق ، (فأعلم) أنها تقول : واهتك ستراه ، فيقول بعض المبتاعين : علي ثلاثمائة دينار فقط زادني العفاف فيها رغبة ، فتقول له بالعربية : ولو برزت في زي سليمان بن داود وعلى شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة فأشفق على مالك ، فيقول النخاس : فما الحيلة؟ ولا بد من بيعك ، فتقول الجارية : وما العجلة ؟ ولا بد من أختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته ، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخّاس وقل له : أن معك كتاباً ملصقاً لبعض الأشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي ، ووصف فيه كرمه

ووفاءه ونبله وسخاءه ، فناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته ، فأنا وكيله في أبتياعها منك .

قال بشر بن سليمان : فأمتثلت جميع ما حده لي مولاي أبو الحسن ﴿عليه السلام﴾ في أمر الجارية (فلما نظرتْ) في الكتاب بكتْ بكاءاً شديداً وقالت لعمر بن يزيد بعني لصاحب هذا الكتاب ، وحلفت بالمحرجة والمغلطة أنه متى أمتنع من بيعها منه قتلت نفسها ، فما زلت أُشاحه في ثمنها حتى أستقرّ الامر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي ﴿عليه السلام﴾ من الدنانير ، فاستوفاه مني وتسلمت الجارية ضاحكة مستبشرة ، وأنصرفت بها إلى الحجيرة التي كنت آوي إليها ببغداد ، فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولانا﴿عليه السلام﴾ من جيبها وهي تلثمه وتطبقه على جفنها وتضعه على خدّها وتمسحه على بدنها ، فقلت تعجباً منها تلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه ؟ فقالت : أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحلّ أولاد الانبياء أعرني سمعك وفرّغ لي قلبك أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وأمي من ولد الحواريين تنسب إلى وصي المسيح شمعون : أنبئُك بالعجب : إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من أبن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة فجمع في قصره من نسل

الحواريين من القسيّسين والرهبان ثلاثمائة رجل ، ومن ذوي الاخطار منهم سبعمائة رجل ، وجمع من أمراء الأجناد وقواد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف ، وأبرز من بهي ملكه عرشاً مصنوعاً من أصناف الجوهر إلى صحن القصر ، ورفعه فوق أربعين مرقاة فلما صعد أبن أخيه وأحدقت الصلب وقامت الأساقفة عكفاً ونشرت أسفار الأنجيل تسافلت الصلب من الأعلى فلصقت بالأرض وتقوضت أعمدة العرش فأنهارت إلى القرار . وخرّ الصاعد من العرش مغشيّاً عليه فتغيرت ألوان الاساقفة وارتعدت فرائضهم .

فقال كبيرهم لجدّي: أيها الملك أعفنا من ملاقاة هذا النحوس الدالة على زوال دولة هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني فتطيّر جدي من ذلك تطيّراً شديداً وقال للأساقفة أقيموا هذه الأعمدة وأرفعوا الصلبان وأحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جدّه لأزوجه هذه الصبية فيدفع نحوسه عنكم بسعوده . فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني مثل ما حدث على الأول وتفرق الناس وقام جدي قيصر مغتماً فدخل منزل النساء وأرخيت الستور ورأيت في تلك الليلة كأن المسيح وشمعون وعدّة من الحواريين قد أجتمعوا في قصر جدّي ونصبوا فيه

منبراً من نور يباري السماء علوّاً وأرتفاعاً في الموضع الذي كان نصب جدي فيه عرشه ، ودخل عليهم محمد﴿صلى الله عليه وآله﴾ وختنه ووصيه وعدّة من أبنائه﴿عليهم السلام﴾ فتقدم المسيح أليه فاعتنقه ، فيقول له محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ : يا روح الله جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لأبني هذا – وأومأ بيده إلى أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ أبن صاحب هذا الكتاب – فنظر المسيح إلى شمعون وقال له : قد أتاك الشرف فَصِل رحمك رحمِ آل محمد ﴿عليهم السلام﴾ قال : قد فعلت فصعد ذلك المنبر فخطب محمد﴿صلى الله عليه وآله﴾ وزوجني من أبنه وشهد المسيح ﴿عليه السلام﴾ وشهد أبناء محمد ﴿عليهم السلام﴾ والحواريين .

فلما استيقظت أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدّي مخافة القتل فكنت أسرّها ولا أبديها لهم وضرب صدري بمحبة أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ حتى امتنعت من الطعام والشراب فضعُفتْ نفسي ودقّ شخصي ، ومرضت مرضاً فما بقي في مدائن الروم طبيب إلا أحضره جدّي وسأله عن دوائي فلما برح به اليأس قال : يا قرة عيني وهل يخطر ببالك شهوة فازوّدكها في هذه الدنيا ؟ فقلت يا جدي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة فلو كشفت العذاب عمن في سجنك من أسارى

المسلمين وفككت عنهم الأغلال وتصدقت عليهم ومنيْتهم الخلاص رجوت أن يهب لي المسيح وأمه عافية ، فلما فعل ذلك تجلدت في أظهار الصحة من بدني قليلاً وتناولت يسيراً من الطعام فسُرَّ بذلك وأقبل على أكرام الأسرى وإعزازهم ،فأُريتُ بعد أربع عشرة ليلة كأن سيدة نساء العالمين فاطمة ﴿عليها السلام﴾ قد زارتني ومعها مريم أبنة عمران وألف من وصائف الجنان ، فتقول لي مريم : هذه سيدة نساء العالمين أم زوجك أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ ، فأتعلق بها وأبكي وأشكو إليها أمتناع أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ من زيارتي فقالت سيدة النساء ﴿عليها السلام﴾ : (إن أبني أبا محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله على مذهب النصارى ، وهذه أختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله تعالى من دينك فإن مِلْت إلى رضاء الله ورضاء المسيح ومريم ﴿عليها السلام﴾ وزيارة أبي محمد إياك فقولي :

أشهد أن لا أله إلا الله وأنب أبي محمداً رسول الله ، فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني إلى صدرها سيدة نساء العالمين وطيبت نفسي وقالت : الآن توقعي زيارة أبي محمد فإني منفذته إليك ، فأنتبهت وانا أقول وأتوقع لقاء أبي محمد﴿عليه السلام﴾ فلما كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمد ﴿عليه السلام﴾ وكأني أقول

له : جفوتني يا حبيبي بعد أن أتْلفتْ معالجة حبك . فقال : ما كان تأخري عنك إلا لشركك ، فقد أسلمت وأنا زائرك في كل ليلة إلى ان يجمع الله تعالى شملنا في العيان ، فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية .

قال بشر فقلت لها : وكيف وقعت في الأسارى؟ فقالت : أخبرني أبو محمد ﴿عليه السلام﴾ ليلة من الليالي أن جدك سيسيّر جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا ثم يتبعهم فعليك باللّحاق بهم متنكرة في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا ففعلت ذلك فوقعت علينا طلايع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وشاهدت وما شعر باني أبنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك ، وذلك بأطلاعي إياك عليه ، ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن أسمي فقلت : نرجس ، فقال : أسم الجواري .

قلت : العجب إنك رومية ولسانك عربي ، قالت : نعم من لوع جدّي وحمله إياي على تعلم الآداب أنْ أوعز إلى امرأة ترجمانة لي في الاختلاف إلي وكانت تقصدني صباحاً ومساءاً وتفيدني العربية حتى أستمر لساني عليها وأستقام .

قال بشر : فلما أنكفأت بها إلى سر من رأى دخلت على مولاي أبي الحسن﴿عليه السلام﴾ فقال : كيف أراك الله عز الإسلام وذل النصرانية وشرف محمد وأهل بيته ﴿عليهم السلام﴾؟ قالت : كيف أصف لك يا بن رسول الله ما أنت أعلم به مني ، قال : فأني أحببت أن أكرمك ، فما أحب أليك عشرة آلاف دينار أم بشرى لك بشرف الأبد؟

قالت بشرى بولد لي : قال لها : أبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قالت : ممن؟ قال : ممن خطبك رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾له ليلة كذا في شهر كذا من سنة كذا بالرومية .

قالت : من المسيح ووصيه ؟ قال لها : ممن زوجك المسيح ﴿عليه السلام﴾ ؟قالت : من أبنك أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ ؟ فقال : هل تعريفنه ؟

قالت : وهل خلت ليلة لم يرني فيها منذ الليلة التي أسلمت على يد سيدة النساء صلوات الله عليها ؟ قال : فقال مولانا : يا كافور أدع أختي حكيمة ، فلما دخلتْ قال لها : هاهية . فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً ، فقال لها أبو الحسن ﴿عليه السلام﴾

: يا بنت رسول الله خذيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم [1].

وروى الصدوق بسنده عن محمد بن عبد الله الطهري أنه قال : قصدت حكيمة بنت محمد ﴿عليه السلام﴾ بعد مضي أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ أسألها عن الحجة وما قد أختلف في الناس من الحيرة التي هم فيها ، فقالت لي :اجلس فجلست ثم قالت : يا محمد إن الله تبارك وتعالى لا يخلي الأرض من حجة ناطقة أو صامتة ، ولم يجعلها في أخوين بعد الحسن والحسين ﴿عليهما السلام﴾ . تفضيلاً للحسن والحسين وتنزيهاً لهما أن يكون في الأرض عديلهما إلا أن الله تبارك وتعالى خصّ ولد الحسين بالفضل على ولد الحسن﴿عليه السلام﴾ كما خص ولد هارون على ولد موسى ﴿عليه السلام﴾ وإن كان موسى حجة على هارون والفضل لولده إلى يوم القيامة ولا بد للأمة من حيرة يرتاب فيها المبطلون ويخلص فيها المحقون كيلا يكون للخلق على الله حجة ، إن الحيرة لا بد واقعة بعد مضي أبي محمد الحسن﴿عليه السلام﴾ .

---

(١) الغيبة ، للطوسي :١٢٤-١٢٨ .

فقلت : يا مولاتي هل كان للحسن ﴿عليه السلام﴾ ولد ؟ فتبسمت ثم قالت : إذا لم يكن للحسن ﴿عليه السلام﴾ عقب فمن الحجة من بعده ؟ وقد اخبرتك أنه لا إمامة لأخوين بعد الحسن والحسين ﴿عليهما السلام﴾.

فقلت : يا سيدتي حدثيني بولادة مولاي وغيبته ﴿عليه السلام﴾ . وفي هذا النص تشير حكيمة إلى ان نرجس قد كانت جارية لها وأن الإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ في زمن حياة أبيه الهادي﴿عليه السلام﴾يصرح لعمّته بأن الله سيخرج منها ولداً كريماً على الله﴿ عزّ وجلّ ﴾ فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما تملأ ظلماً وجوراً .

وهنا تبادر حكيمة فتستأذن الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ لتهب هذه الجارية إلى أبنه الحسن العسكري﴿عليه السلام﴾ .

وهنا تقول حكيمة : فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن﴿عليه السلام﴾ وجلست . فبدأني ﴿عليه السلام﴾ وقال : يا حكيمة إبعثي نرجس إلى أبني أبي محمد . قالت : فقلت : يا سيدي على هذا قصدتك على أن أستأذنك في ذلك . فقال لي : يا

مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً .

قالت حكيمة : فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزينتها ووهبتها لأبي محمد﴿عليه السلام﴾ وجمعت بينه وبينها في منزلي فأقام عندي أياماً ثم مضى إلى والده﴿عليه السلام﴾ ووجهت بها معه[1].

والمشتركات بين الخبرين أمور عديدة ولا مانع من أن تكون هذه الرواية قد أهملت كثيراً من التفاصيل التي جاءت في الرواية الأولى .

وهناك روايات أخرى كلها تصرح بوجود دور مهم لحكيمة عمة الإمام الحسن﴿عليه السلام﴾ في ولادة الإمام المهدي المنتظر﴿عليه السلام﴾ .

٥- علاقة الإمام الحسن العسكري﴿عليه السلام﴾ بأخيه محمد

كان للإمام علي الهادي ﴿عليه السلام﴾ من الذكور أربعة وبنت واحدة ، والذكور هم :

١- السيد محمد وكنيته أبو جعفر .

---

(١) كمال الدين : ٢ / ٤٢٦ . وعنه في بحار الأنوار : ٥١ / ١١ .

٢- الإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ .

٣- جعفر (المعروف بالتواب أو الكذّاب) .

٤- الحسين .

والسيد محمد هو اكبر أولاد أبيه ، وكان سيداً جليلاً ومجمعاً للكمالات[(١)] وكانت الشيعة تتصور أنه الإمام بعد أبيه ، لما كان يتميز به من ذكاء وخلق رفيع وسعة علم وسمو آداب.

وتحدث العارف الكلاني عن وقاره ومعالي أخلاقه قائلاً :

صحبت أبا جعفر محمد بن علي الرضا وهو حدث السن فما رأيت أوقر ولا أزكى ولا اجل منه ... وكان ملازماً لأخيه أبي محمد﴿عليه السلام﴾ لا يفارقه [(٢)].

(ولما خرج الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ من المدينة إلى سامراء ترك أبنه السيد محمد في المدينة المنورة وهو طفل ، وبعد سنوات التحق بأبيه ومكث عنده مدة ثم أراد الرجوع إلى المدينة وفي

---

(١) الإمام الهادي من المهد إلى اللحد : ١٣٦-١٣٧ .

(٢) حياة الإمام الحسن العسكري :٢٤-٢٥ عن المجدي في النسب .

الطريق وصل إلى مدينة بلد فمرض هناك وفارق الحياة في سنة(٢٥٢هـ) . وعمره قد تجاوز العشرين سنة [١].

ولا يعلم سبب مرضه الشديد ، فهل أنه كان قد سقي سما من قبل أعدائه وحساده من العباسين الذين كانوا يظنون كغيرهم أنه الإمام بعد أبيه وعز عليهم أن يروا تعظيم الجماهير إياه أم أن ما مني به كان مرضاً مفاجئاً ؟ .

وتصدع قلب أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ فقد فقد شقيقه الذي كان عنده أعز شقيق وطافت به موجات من اللوعة والأسى والحسرات وخرج وهو غارق في البكاء والنحيب وتصدعت القلوب لمنظره الحزين وألجمت الألسن وترك الناس بين صائح ونائح قد نخر الحزن قلوبهم [٢].

٦- علاقته بأخيه الحسين

وكان الحسين بن علي الهادي فذاً من أفذاذ العقل البشري وثمرة يانعة من ثمرات الإسلام ، وقد تميز بسمو أدبه وسعة

---

(١) الإمام الهادي من المهد إلى اللحد :١٣٧ .

(٢) حياة الإمام الحسن العسكري (دراسة وتحليل) : ٢٥ وراجع الكافي :كتاب الحجة ، باب النص على أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ . الحديث رقم٨.

أخلاقه ووفرة علمه وكان شديد الاتصال بشقيقه الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾ ، وكانا يسميان بالسبطين ، تشبيهاً لهما بجدّيهما ريحانتي رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ الحسن والحسين﴿عليهما السلام﴾ .

وقد شاعت هذه التسمية في العصر الذي نشأ فيه فقج روى أبو هاشم فقال : (ركبت دابة فقلت :﴿ سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ فسمع مني أحد السبطين ، فقال : لا بهذا أمرت ، أمرت أن تذكر نعمة ربّك إذا أستويت عليه) [١].

٧- علاقته بأخيه جعفر

لم نعثر على نص خاص يصور لنا نوع علاقته بأخيه جعفر ما قبل إمامته . ولكن هناك نصوصاً تفيد أن جعفراً كان لا يتورع عن السعاية إلى السلطان حول اخيه الحسن كما لم يكن متورعاً عن شرب الخمر ، وقد سجن مع الإمام ثم أفرج عن الإمام ولم يفرج عنه ولكن الإمام ﴿عليه السلام﴾ لم يخرج من السجن حتى أخرج معه أخاه جعفر بالرغم من أنه كان مسجوناً من أجل السعاية على الإمام الحسن ومن أجل تظاهره بشرب الخمر ، وكان بمنادمته للمتوكل يريد الغض من

---

(١) سفينة البحار : ١ / ٢٥٩ .

أخيه الحسن(عليه السلام) . ولقب عند الإمامية بالكذاب لأنه أدعى الإمامة بعد أخيه الحسن وقيل انه تاب ولقب بالتوّاب [1].

٨- النصوص على إمامة الحسن العسكري(عليه السلام)

يواجه الباحث في هذا الموضوع - كما هو الحال في تناول النصوص الواردة في آباء الإمام العسكري(عليه السلام) - ثلاثة أنواع من النصوص يمكن تصنيفها كما يلي :

أ- النصوص الواردة عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) .

ب- النصوص الواردة عن الأئمة بعد رسول الله والسابقين على أبيه الإمام الهادي(عليه السلام) .

ج- النصوص الواردة عن أبيه الإمام الهادي(عليه السلام) والتي ثبتت إمامته أيضاً بالنصوص والمعجزات والتي كان منها إمامته المبكرة كأبيه وهو بعد لما يبلغ الحلم حيث استطاع أن يجيب على كل التحديات التي أثيرت بالنسبة لإمامته وخرج من كل الحوارات والاحتجاجات ظافراً مؤيداً من عند الله .

---

(١) راجع منهاج التحرك عند الإمام الهادي (عليه السلام) :٨ ، وراجع أيضاً الإمام الهادي من المهد إلى اللحد : ١٣٨ وراجع أيضاً مسند الإمام الحسن العسكري : ٥٢-٦١ و ١٣٠ .

أ- نصوص الرسول الأعظم ﴿صلى الله عليه وآله﴾

وهي النصوص التي رواها الصحابة والأئمة ﴿عليهم السلام﴾ والتي اشتملت على ذكر أسماء الأئمة الأثني عشر وما وعد الله - على لسان رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ - المصجقين بهم والتابعين لهم ، بالخير والسعادة في الدارين وما توعد به الناصبين له ما لعداء والمخالفين من العذاب والخزي فيهما أيضاً .

ولم تبتل الأمة الإسلامية بالتجزئة والخضوع للأستكبار العالمي والحيرة والتيه وسوء الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية إلا بسبب هذه القطيعة الحاصلة بينها وبين أئمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ونورد هنا جملة من أحاديث الرسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾ في هذا الاتجاه:

١- روى الصدوق ، عن محمد بن أبراهيم بن أسحاق ﴿رضي الله عنه﴾ قال : حدثنا محمد بن همام : حدثنا أحمد بن مابنداذ قال : حدثنا أحمد بن هلال ، عن محمد أبن أبي عميرة عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه ﴿عليهم السلام﴾ عن امير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ : (لما أسري بي إلى السماء أوحى إلي ربي جل جلاله فقال : يا محمد اني اطلعت على الأرض أطلاعه فاخترتك منها فجعلتك

نبياً وشققت لك من أسمي أسماً . فأنا المحمود وأنت محمد ثم اطلعت الثانية فأخترت منها علياً وجعلته وصيك وخليفتك وزوج أبنتك وأبا ذريتك وشققت له أسماً من أسمائي فأنا العلي الأعلى وهو علي وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوركما ثم عرضت ولايتهم على الملائكة فمن قبلها كان عندي من المقربين .

يا محمد لو ان عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثم اتاني جاحداً لولايتهم فما أسكنته جنتي ولا أظللته تحت عرشي .

يا محمد تحب ان تراهم ؟

قال : نعم يا رب .

فقال عزّ وجلّ : ارفع رأسك .

فرفعت رأسي وإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي أبن محمد

والحسن بن علي و(م ح م د) بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب درّي قلت : يا رب من هؤلاء ؟

قال : هؤلاء الأئمة ، وهذا القائم الذي يحلل حلالي ويحرم حرامي ، وبه أنتقم من أعدائي وهو راحة لأوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين...)[1]

٢- وعن محمد بن علي الفضل بن تمام الزيات﴿رحمه الله﴾ قال : حدثني محمد بن القاسم ، قال: حدثني عباد بن يعقوب ، قال : حدثني موسى بن عثمان قال : حدثني الأعمش ، قال : حدثني أبو أسحاق ، عن الحارث وسعيد أبن قيس ، عن علي أبن أبي طالب﴿عليه السلام﴾ قال : قال رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾ :

(أنا واردكم على الحوض وأنت يا علي الساقي والحسن الذائد والحسين الآمر ،وعلي بن الحسين الفارض ، ومحمد بن علي الناشر ، وجعفر بن محمد السائق ، وموسى بن جعفر محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافقين ، وعلي بن موسى مزين المؤمنين ، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة في درجاتهم

---

(١) كمال الدين : ٢٥٢/١ح٢، ورواه في العيون : ١/ ٥٨ . ح٢٧ ، والمختصر :٩٠، وروى عنهما العوالم : ١٥/ ٤٤ ، القسم الثالث ، بحار الأنوار : ٢٤٥/٣٦ .

وعلي بن محمد خطيب شيعته ومزوجهم الحور(العين) والحسن بن علي سراج أهل الجنة يستضيئون به والقائم شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء ويرضى) [١].

٣- وروى الصدوق ، عن محمد بن موسى بن المتوكل ﴿رضي الله عنه﴾ قال ، حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمه الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن الصادق جعفر أبن محمد عن أبيه ، عن آبائه﴿عليهم السلام﴾، قال : قال رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾:

(حدثني جبرائيل ، عن رب العزة جل جلاله أنه قال : من علم أن لا إله إلا أنا وحدي وأن محمداً عبدي ورسولي ،وأنّ علي بن أبي طالب خليفتي وأن الأئمة من ولده حججي أدخلته الجنة برحمتي ونجيته من النار بعفوي . ومن لم يشهد بذلك ولم يشهد أن علي بن أبي طالب خليفتي أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججي فقد جحد نعمتي وصغر عظمتي وكفر بآياتي ، أن قصدني حجبته ، وأن سألني حرمته

---

(١) الخوارزمي ، مقتل الحسين : ١ / ٩٤-٩٥ .

، وأن ناداني لم أسمع نداءه وإن دعاني لم أستجب دعاءه وأن رجاني خيبته وذلك جزاؤه مني وما أنا بظلّام للعبيد) .

فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب ؟ .

قال : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ثم سيد العابدين في زمانه علي بن الحسين ثم الباقر محمد بن علي ، وستدركه يا جابر ، فإذا أدركته فأقرئه مني السلام .

ثم الصادق جعفر بن محمد ، ثم الكاظم موسى بن جعفر ، ثم الرضا علي بن موسى ، ثم التقي محمد بن علي ، ثم النقي علي بن محمد ثم الزكي الحسن بن علي ، ثم أبنه القائم بالحق مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي من أطاعهم فقد أطاعني ومن عصاهم فقد عصاني ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني ، بهم يمسك الله

﴿ عزّ وجلّ ﴾ السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه ، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها) [1].

٤- وعن عبد الله بن العباس قال : دخلت على النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ والحسن على عاتقه والحسين على فخذه يلثمهما ويقبلهما ويقول :(اللهم وال من والاهما وعاد من عاداهما)

ثم قال :(يا بن عباس كأني به وقد خضبت شيبته من دمه ، يدعو فلا يجاب ويستنصر فلا ينصر) .

قلت : من يفعل ذلك يا رسول الله ؟

قال : شرار أمتي ، ما لهم ؟ لا أنالهم الله شفاعتي .

ثم قال : يا بن عباس من زاره عارفاً بحقه كتب له ثواب ألف حجة وألف عمرة ألا ومن زاره فكأنما زارني فكأنما زار الله وحق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار ، ألا وإن الاجابة تحت قبته والشفاء في تربته والأئمة من ولده .

قلت : يا رسول الله فكم الأئمة بعدك ؟

قال : بعدد حواري عيسى وأسباط موسى ونقباء بني أسرائيل.

---

(١) كمال الدين : ١/ ٢٥٨ .

قلت : يا رسول الله فكم كانوا ؟

قال : (كانوا أثني عشر والأئمة بعدي أثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين ، فإذا اقضى الحسين فأبنه علي فإذا أنقضى علي فأبنه محمد فإذا انقضى محمد فأبنه جعفر فإذا انقضى جعفر فأبنه موسى فإذا انقضى موسى فأبنه علي فإذا انقضى علي فأبنه محمد فإذا أنقضى محمد فأبنه علي فإذا أنقضى علي فأبنه الحسن فإذا أنقى الحسن فأبنه الحجة) .

قال أبن عباس : قلت يا رسول الله أسامي لم أسمع بهن قط!.

قال لي : (يا بن عباس هم الأئمة بعدي وانهم أمناء معصومون نجباء ، اخيار ، يا بن عباس ، من أتى يوم القيامة عارفاً بحقهم أخذت بيده فأدخلته الجنة يا بن عباس من أنكرهم أو ردّ واحداً منهم فكأنما قد أنكرني وردي ، ومن أنكرني وردني فكأنما أنكر الله ورده .

يا بن عباس سوف يأخذ الناس يميناً وشمالاً ، فإذا كان كذلك فأتبع علياً وحزبه فإنه مع الحق والحق معه ، ولا يفترقان حتى يردا علي الحوض .

يا بن عباس ولا يتهم ولايتي وولايتي ولاية الله وحربهم حربي وحربي حرب الله وسلمهم سلمي وسلمي سلم الله) .

ثم قال ﴿عليه السلام﴾ : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [١].

٥- وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ :

(ولما عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً بالنور ، فيهم علي بن أبي طالب وسبطي وبعدهما تسعة أسماء ، علياً علياً علياً ثلاث مرات ومحمد محمد مرتين ، وجعفر وموسى والحسن ، والحجة يتلألأ من بينهم .

فقلت : يا رب أسامي من هؤلاء ؟

فناداني ربي جل جلاله : هم الأوصياء من ذريتك ، بهم أثيب وبهم أعاقب [٢].

٦- وعن سهل بن سعد الأنصاري قال : سئلت فاطمة بنت رسول الله﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ عن الأئمة فقالت :

---

(١) الرازي ، علي بن محمد بن علي الخزاز ، كفاية الأثر في النص على الأئمة الأثني عشر : ١٦ .

(٢) بحار الأنوار : ٣٦ / ٣١٠ ، عن كفاية الأثر : ٢٩٧ .

(كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يقول لعلي﴿عليه السلام﴾ : يا علي أنت الإمام والخليفة بعدي وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضيت فأبنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى الحسن فأبنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى الحسين فأبنك علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى محمد فأبنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى جعفر فأبنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فأبنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى علي فأبنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى محمد فأبنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى علي فأبنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى الحسن ، فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها ، فهم أئمة الحق وألسنة الصدق ، منصور من نصرهم مخذول من خذلهم)[١] .

٧- وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، قال ، قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لعلي أبن أبي طالب﴿عليه السلام﴾ :

---

(١) بحار الأنوار : ٣٦ / ٣٥١، عن كفاية الأثر : ١٩٥-١٩٦ .

(يا علي أنا نذير أمتي وأنت هاديها ، والحسن قائدها ، والحسين سائقها وعلي بن الحسين جامعها ، ومحمد بن علي عارفها ، وجعفر بن محمد كاتبها ، موسى بن جعفر محصيها ، وعلي بن موسى معبّرها ومنجيها وطارد مبغضيها ومدل مؤمنيها ومحمد بن علي قائمها وسائقها ، وعلي بن محمد ساترها وعالمها ، والحسن بن علي مناديها ومعطيها ، والقائم الخلف ساقيها ومناشدها ، إن في ذلك لآيات للمتوسمين يا عبد الله) [١].

٨- عن عائشة أنها قالت : كان لنا مشربة وكان النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ إذا أراد لقاء جبرائيل ﴿عليه السلام﴾ لقيه فيها فلقيه رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ مرة فيها وأمرني أن لا يصعد إليه أحد ، فدخل عليه الحسين بن علي ﴿عليهما السلام﴾ ، فقال جبرائيل : من هذا ؟ .

فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ : أبني ، فأخذه النبي فأجلسه على فخذه ، فقال له جبرائيل : أما أنه سيقتل .

فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ : ومن سيقتله ؟

قال : أمتك تقتله .

---

(١) المناقب : ١ / ٢٩٢ .

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : تقتله ؟!! .

قال : نعم ، وإن شئت بالأرض التي يقتل فيها وأشار إلى الطف بالعراق ،و أخذ منه تربة حمراء فأراه إياها .

وقال : هذه من مصرعه . فبكى رسول الله ﴿ﷺ﴾ .

فقال له جبرئيل : (يا رسول الله لا تبك فسوف ينتقم الله منهم بقائمكم أهل البيت) ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : حبيبي جبرائيل ، ومن قائمنا أهل البيت ؟ .

قال : هو التاسع من ولد الحسين ، كذا أخبرني ربي جل جلاله أنه سيخلق من صلب الحسين ولداً وسماه علياً خاضعاً لله خاشعاً ، ثم يخرج من صلب علي أبنه وسماه عنده محمداً قانتاً لله ، ثم يخرج من صلبه أبنه وسماه عنده جعفراً ناطق عن الله صادق في الله ، ويخرج من صلبه أبنه وسماه عنده موسى ، واثق بالله محب في الله ، ويخرج الله من صلب أبنه وسماه عنده علياً الراضي بالله والداعي إلى الله عز وجل ويخرج من صلبه أبنه وسماه عنده محمداً المرغب في الله والذاب عن حرم الله ويخرج من صلب أبنه وسماه عنده علياً المكتفي بالله والولي لله ثم يخرج من صلبه أبنه وسماه الحسن مؤمن بالله

مرشد إلى الله ويخرج من صلبه كلمة الحق ولسان الصدق ومظهر الحق حجة الله على بريته له غيبة طويلة يظهر الله تعالى به الإسلام وأهله ويخسف به الكفر وأهله).[١]

ب- نصوص الأئمة المعصومين﴿عليهم السلام﴾

١- عن يحيى بن يعمر ، قال : كنت عند الحسين ﴿عليه السلام﴾ إذ دخل عليه رجل من العرب متلثّماً أسمر شديد السمرة ، فسلم ، ورد الحسين ﴿عليه السلام﴾ فقال : يا بن رسول الله! مسألة ، فسأل الإمام ﴿عليه السلام﴾ عدة مسائل والإمام يجيبه ثم قال : صدقت يا بن رسول الله ، فأخبرني عن عدد الأئمة بعد رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾؟ .

قال : إثنا عشر ، عدد نقباء بني أسرائيل .

قال : فسمّهم .

قال : فأطرق الحسين ﴿عليه السلام﴾ ملياً ثم رفع رأسه .

فقال : نعم أخبرك يا اخا العرب ، إن الإمام والخليفة بعد رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾ أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ ،و الحسن وأنا وتسعة

(١) بحار الأنوار : ٣٦ / ٣٤٨، كفاية الأثر :١٨٧! .

من ولدي منهم علي أبني وبعده محمد أبنه ، وبعده جعفر أبنه وبعده موسى أبنه ، وبعده محمد أبنه ، وبعده علي أبنه ، وبعده الحسن أبنه ، وبعده الخلف المهدي هو التاسع من ولدي يقوم بالدين في آخر الزمان .

قال : فقام الأعرابي وهو يقول :

مسح النبي جبينه فله بريق في الخدود

أبواه من أعلى قريش وجده خير الجدود(١)

٢- عن أبي خالد الكابلي قال : دخلت على مولاي علي بن الحسين(عليه السلام) وفي يده صحيفة كان ينظر إليها ويبكي بكاءاً شديداً .

فقلت : ما هذه الصحيفة ؟

قال : هذه نسخة اللوح الذي أهداه الله تعالى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه أسم الله تعالى ورسول الله ، وأمير المؤمنين علي ، وعمي الحسن بن علي ، وأسمي وأسم بني محمد الباقر ، وأبنه جعفر الصادق ، وأبنه موسى الكاظم وأبنه علي الرضا وأبنه

---

(١) إثبات الهداة :٥٩٩/١ .

محمد التقي ، وأبنه علي النقي ، وأبنه الحسن العسكري ، وأبنه الحجة القائم بأمر الله المنتقم من أعداء الله الذي يغيب غيبة طويلة ثم يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً [١].

٣- الإمام محمد بن علي الباقر(عليه السلام) : عن الورد بن الكميت عن أبيه الكميت أبن أبي المستهل قال : دخلت على سيدي أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) فقلت : يا بن رسول الله : إني قد قلت فيكم أبياتاً أفتأذن لي في إنشادها ؟ فأذن ، فأنشدته :

أضحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرف وألوان

لتسعة في الطف قد غودروا صاروا جميعاً رهن أكفان

فبكى (عليه السلام) وقال (اللهم أغفر للكميت ما تقدم من ذنبه وتأخر)

فلما بلغت إلى قولي :

---

(١) إثبات الهداة : ١ / ٦٥١ .

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديكم الثاني

قال : (سريعاً أن شاء الله سريعاً ، ثم قال : يا أبا المستهل إن قائمنا هو التاسع من ولد الحسين ، لأن الأئمة بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ أثنا عشر ، الثاني عشر ، هو القائم .

قلت : يا سيدي ، فمن هؤلاء الأثنا عشر ؟

قال : (أولهم علي بن أبي طالب ، وبعده الحسن والحسين ، وبعد الحسين علي بن الحسين وأنا ثم بعدي هذا) ووضع يده على كتف جعفر .

قلت : فمن هذا ؟

قال : (أنه أبنه موسى ، وبعد موسى أبنه علي وبعد علي أبنه محمد وبعد محمد أبنه علي وبعد علي أبنه الحسن ، وبعد الحسن أبنه محمد وهو القائم الذي يخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً ويشفي صدور شيعتنا) [١].

---

(١) بحار الأنوار : ٣٦ / ٣٩٠ .

٤- الإمام جعفر بن محمد الصادق﴿عليه السلام﴾ : عن علقمة بن محمد الحضرمي عن الصادق ﴿عليه السلام﴾ قال : (الأئمة إثنا عشر) .قلت : يا بن رسول الله فسمهم لي ؟

قال : من الماضين : علي بن أبي طالب والحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ثم أنا .

قلت : فمن بعدك يا بن رسول الله ؟

قلت : فمن بعد موسى ؟

قال : (علي أبنه يدعى الرضا يدفن في أرض الغربة من خراسان ، ثم بعد علي أبنه محمد وبعد محمد أبنه علي أبنه الحسن ، والمهدي من ولد الحسن...)[1] .

٥- الإمام موسى بن جعفر ﴿عليه السلام﴾ : روى الصدوق بسنده عن عبد الله بن جندب ، عن موسى بن جعفر أنه قال :

تقول في سجدة الشكر : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت الله ربي ، والإسلام ديني ، ومحمداً نبيي ، وعلياً والحسن والحسين ، وعلي بن الحسين

---

(١) إثبات الهداة : ٢ / ٦٠٣ ح ٥٨٧ .

ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والحجة بن الحسن بن علي ، أئمتي بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ [١].

٦- الإمام علي بن موسى الرضا﴿عليه السلام﴾ : روى الصدوق ، عن أحمد بن زياد أبن جعفر الهمداني ﴿رضي الله عنه﴾ قال : حدثنا علي بن أبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد السلام بن صالح الهروي قال : سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول :

أنشدت مولاي الرضا بن موسى ﴿عليه السلام﴾ قصيدتي التي أولها :

مدارس آيات خلت تلاوة ومنزل حي مقفز العرصات

فلما أنتهيت إلى قولي :

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على أسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا ﴿عليه السلام﴾ بكاءاً شديداً ثم رفع رأسه إلي فقال لي:

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ١ / ٣٢٩ .

يا خزاعي نطلق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم .

فقلت : يا مولاي إلا اني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً (كما ملئت جوراً .

فقال : يا دعبل ، الإمام بعدي محمد ابني ، وبعد محمد أبنه علي ، وبعد علي أبنه الحسن وبعد الحسن أبنه الحجة القائم المنتظر في غيبته ، المطاع في ظهوره لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله﴿ عزوجل ﴾ ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً [(١)] .

٧- الإمام محمد بن علي الجواد﴿عليه السلام﴾ : روى الصدوق عن عبد الواحد بن محمد العبدوسي العطار ﴿رضي الله عنه﴾قال : حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري قال : حدثنا حمدان بن سليمان قال : حدثنا بن سليمان قال : حدثنا الصقر بن أبي دلف قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا﴿عليهما السلام﴾ يقول:

---

(١) كمال الدين : ٢ / ٣٧٣ .

إن الإمام بعدي أبني علي ، امره أمري ، وقوله قولي وطاعته طاعتي ، والإمام بعده أبنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه . ثم سكت .

فقلت له : يا بن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن ؟ .

فبكى ﴿عليه السلام﴾ بكاءاً شديداً ثم قال إن من بعد الحسن أبنه القائم بالحق المنتظر[1] .

ج- نصوص الإمام الهادي على إمامة الحسن العسكري ﴿عليهما السلام﴾

حينما نطالع مجموعة النصوص التي وصلتنا عن الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ في مصادرنا الحديثة الموثوقة نلمس مجموعة من الظواهر التي ترتبط بهذه النصوص الدالة (المشيرة أو الصريحة الدلالة) على إمامة الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ .بعد أبيه وهي كما يلي :

١- يبدو أن النصوص قد صدرت عن الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ بالتدريج لاعتبارات شتى ولا يمكن أن نغفل مراعاة الجانب

---

(١) كمال الدين : ٢ / ٣٧٨ .

الأمني في هذا التدرج وهذا التدرج في كيفية بيان المصداق وطرحه للمسلمين فالإمام ﴿عليه السلام﴾ نراه تارة يبهم الأمر وأخرى يشير أشارة سريعة وثالثة يقوم بالتصريح .

ونلاحظ التدرج في كيفية الطرح أيضا فأنه يقوم بطرح الموضوع أمام فرد واحد أو فردين ثم أمام جمع وثالثة يقوم بأستشهاد أربعين شاهداً على النص .

كما أنه يتدرج في أعطاء بعض العلائم المشيرة تارةً ويجمع أكثر من علامة وشاهد لئلا يقع التباس وثالثة يقوم بكتابة النص وإرساله إلى الراوي الثقة وأخرى يدلي بشواهد كاشفة عن الأمر تتحقق بعد وفاته لتعضد ما أدلى به بوضوح .

٢- تبدأ النصوص المرتبطة بالسؤال عمّن يتقلد منصب الإمامة بعد الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ قبل وفاة أبنه محمد أبي جعفر وتتدرّج النصوص إلى أواخر حياة الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾.

وفي حياة أبنه محمد أبي جعفر لا نجد نصاً صريحاً بإمامته بل قد نجد فيها ما يدفع الإمامة عنه . بالرغم من أنّ الظنون كانت متوجّهة إليه . كما نجد من الإمام ﴿عليه السلام﴾ إرجاء بيان الأمر إلى وقته الملائم . ثم بعد وفاة أبي جعفر تبدأ الأشارات ثم تتلوها

التصريحات حيث تترى على مسامع الرواة الثقاة والشيعة المهتمين بأمر الإمامة .

٣- إن النصوص التي ترتبط بأمر الإمامة قبل وفاة أبنه محمد هي النص الثاني والسابع مما رواه في الكافي في باب الأشارة والنص على أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ :

أما النص السابع فينتهي سنده إلى علي بن عمرو العطار ، ويقول فيه : دخلت على أبي الحسن العسكري وأبو جعفر أبنه في الأحياء وأنا أظن أنّه هو فقلت له : جعلت فداك من أخّص من ولدك ؟ فقال ﴿عليه السلام﴾ : لا تخصوا أحداً حتى يخرج أليكم أمري . قال : فكتبت إليه بعدُ : فمن يكون هذا الأمرُ ؟ قال : فكتب إلي : في الكبير من ولدي . قال : وكان أبو محمد أكبر من أبي جعفر .

والملاحظ في هذا النص أن الإمام يرجى بيان الأمر إلى فرصة أخرى أولاً وحينما يستكتبه ثانياً يحصل على الجواب ولكن لا يفهم من الرواية أن أستكتابه كان في حياة أبي جعفر أو بعد وفاته ، وإن كان الاستكتاب ينسجم مع كونه حياً . وحينئذ فالإمام يجيب بالعلامة لا بالتصريح .

على أن هناك نصاً يقول بأن محمداً كان أكبر ولد الإمام الهادي بينما يعارضه هذا النص حيث يتضمن دعوى الراوي بأن الحسن كان أكبر ولده .

نعم هناك نصوص من الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ نفسه تتضمن بأن الحسن أكبر ولده ولكن لا تأبى أن تحمل على أنه أكبر ولده بعد وفاة أخيه أبي جعفر .

أما النص الثاني فينتهي سنده إلى علي بن عمر النوفلي وقد جاء فيه أنه قال : كنت مع أبي الحسن في صحن داره فمرّ بنا محمد أبنه . فقلت له : جعلتُ فداك ، هذا صاحبنا بعدك ؟ فقال : لا . صاحبكم بعدي الحسن .

وجاء عن أحمد بن عيسى العلوي من ولد علي بن جعفر أنه قد دخل على أبي الحسن ﴿عليه السلام﴾ بـ(صريا) فسلّم عليه وإذا بأبي جعفر وأبي محمد قد دخلا . فقاموا إلى أبي جعفر ليسلموا عليه فقال أبو الحسن﴿عليه السلام﴾ : ليس هذا صاحبكم ، عليكم بصاحبكم وأشار إلى أبي محمد [1].

---

(١) الغيبة : ١٢٠ .

وفي هذا النص نجد النفي القاطع لتصور أن الإمام هو محمد . لعلّ سبب هذا التصور هو ما عرف عنه من الصلاح والعلم والتقى مع كونه أكبر ولده ، إذ كان المعروف أن الإمامة في أكبر ولد الإمام . فالإمام ينفي إمامة محمد ويصرح بإمامة الحسن﴿عليه السلام﴾ بعد وفاة أخيه محمد فهي النص الرابع والخامس والثامن والتاسع مما جاء في الكافي في كتاب الحجة ، في باب الإشارة والنص على أبي محمد﴿عليه السلام﴾ . وهي كما يلي :

أ ـ نظر لإتحاد مضمون النصين الرابع والخامس ننقل النص الخامس الذي ينتهي سنده إلى أحمد بن محمد بن عبد الله بن مروان الأنبا ري إذ يقول : كنت حاضراً عند مضي أبي جعفر محمد بن علي﴿عليه السلام﴾ فجاء أبو الحسن ﴿عليه السلام﴾ فوضع له كرسي فجلس عليه وحوله أهل بيته وأبو محمد قائم في ناحية ، فلما فرغ من أمر أبي جعفر التفت إلى أبي محمد﴿عليه السلام﴾ فقال : يا بني أحدِث لله تبارك وتعالى شكراً فقد أحدث فيك أمراً والذين سمعوا هذا النص قد فهموا منه أنه يشير إليه بأمر الإمامة وكانت هذه الإشارة في جمع من بني هاشم وآل أبي طالب وقريش طبعاً كما جاء في النص الثامن ويتضمن النص الثامن أيضاً موقف أبي محمد تجاه كلمة الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾

التي وجهها أليه وهو : ..إن الحسن قد بكى وحمد الله وأسترجع وقال : الحمد لله رب العالمين وأنا أسأل الله تمام نعمه لنا فيك وإنا لله وأنا أليه راجعون ، فسئل عنه فقيل : هذا الحسن أبنه ، وقدر له في ذلك الوقت عشرون سنة أو أرجح قال الراوي : فيومئذٍ عرفناه وعلمنا أنه قد أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه .

وجاء في النص التاسع المرويّ عن محمد بن يحيى بن درياب قال : دخلتُ على أبي الحسن﴿عليه السلام﴾ بعد مضي أبي جعفر فعزّيته عنه وأبو محمد﴿عليه السلام﴾ جالس فبكى أبو محمد فأقبل عليه أبو الحسن فقال له : أن الله تبارك وتعالى قد جعل فيك خلفاً منه فاحمد الله .

٥- وصرّح النصّان العاشر والحادي عشر بإمامة أبي محمد الحسن وذلك بعد مضي أخيه أبي جعفر محمد بن علي أمّا النص العاشر فيرويه أبو هاشم الجعفري حيث يقول : كنت عند أبي الحسن ﴿عليه السلام﴾ بعد ما مضى أبنه أبو جعفر وإني لأفكر في نفسي أريد أن أقول كأنهما _ أعني أبا جعفر وأبا محمد – في هذا الوقت كأبي الحسن موسى وإسماعيل أبني

جعفر بن محمد ﴿عليه السلام﴾ ، وإن قصّتهما كقصّتهما ، إذ كان أبو محمد المرجى بعد أبي جعفر ، فأقبل عليّ أبو الحسن ﴿عليه السلام﴾ قبل أن أنطق فقال : نعم يا أبا هاشم بدا الله في أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ بعد أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ ما لم يكن يعرف له كما بدا له في موسى﴿عليه السلام﴾ بعد مضي ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون وأبو محمد أبني الخلف من بعدي عنده علم ما يحتاج اليه ومعه آلة الإمامة .

وواضح أن البداء لله هنا هو فيما يرتبط بتصور السائل حيث انه كان يرجو أن يكون الإمام بعد الهادي هو أبنه محمد ، بينما كان في علم الله غير ذلك فأظهره له بموت محمد فأنكشف له أنه ليس هو الإمام الذي كان يرجوه .

وليس في هذا النص أو غيره ما يشير إلى ان الإمام الهادي أو غيره من الأئمة قالوا بإمامة شخص غير الحسن ﴿عليه السلام﴾ من ولد الهادي﴿عليه السلام﴾ .

والنص الحادي عشر ينتهي إلى أبي بكر الفهفكي حيث يقول : كتب إلي أبو الحسن ﴿عليه السلام﴾ : ابو محمد أبني أنصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجة وهو الأكبر من ولدي وهو الخلف وإليه

ينتهي عرى الإمامة وأحكامها ، فما كنت سائلي فَسَلْهُ عنه فعنده ما يحتاج إليه .

وهذا النص صريح في إمامة أبي محمد الحسن ، وقد فضّله وشهد بفضله على من سواه من آل محمد ولا يبعد أن يكون قد صدر بعد وفاة أخيه محمد أبن علي كما لاحظنا في النص السابق الذي صرح فيه الجعفري بأن التصريح من الإمام الهادي بإمامة الحسن كان بعد وفاة أخيه محمد .

والنصّان متقاربان في المضمون حيث يؤكدان أنه عنده علم ما يحتاج إليه في أمر الإمامة .

وإذا كان بعد وفاة محمد فلا مانع من أن يكون الحسن أكبر ولد الإمام الهادي حينئذٍ وإن كان محمد أكبر حينما كان على قيد الحياة .

وصرح النص الثاني عشر أيضاً بمضمون النصين العاشر والحادي عشر

من جهات عديدة حيث جاء فيه أن شاهؤيه بن عبد الله الجلاّب قال : كتب إلي أبو الحسن في كتاب : أردت أن تاٍل

عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقْتَ لذلك فلا تغتمّ فإن الله عزوجل﴿ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ . وصاحبك بعدي أبو محمد أبني ، وعنده ما تحتاجون إليه يقدم ما يشاء الله ويؤخر ما يشاء الله ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقلٍ يقظان .

٦- ويشهد الإمام جماعةً من الموالي على إمامة أبنه الحسن قبل مضيه وأستشهاده هو بأربعة أشهر كما جاء في النص الأول من هذا الباب من كتاب الحجة حيث يقول يحيى بن يسار القنبري : أوصى أبو الحسن إلى أبنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي .

٧- وجاء في النص الثالث ما يتضمن دليلاً وعلامة على إمامة الإمام الحس بعد وفاة أبيه حيث يقول عبد الله بن محمد الأصفهاني : قال أبو الحسن ﴿عليه السلام﴾ : صاحبكم بعذي الذي يصلي عليّ ولم نعرف أبا محمد ﴿عليه السلام﴾ قبل ذلك . قال : فخرج أبو محمد فصلى عليه .

وبأعتبار أن الراوي لم يكن يعرف الحسن بشخصه فالإمام يكون قد أعطاه علامة متميزة لا لبس فيها ولا ريب يعتريها بالنسبة إليه .

وجاء في النص الثالث عشر من هذا الباب أن داود بن القاسم قال : سمعت أبا الحسن ﴿عليه السلام﴾ يقول : الخلف من بعدي الحسن ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف ؟ فقلت : ولم جعلني الله فداك ؟ قال : أنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره بأسمه . فقلت : فكيف نذكره ؟ فقال : قولوا : الحجة من آل محمد﴿ صلى الله عليه وآله ﴾.

ويشير هذا النص إلى مجموعة أمور بكيفية التعامل مع الإمام في ظروف حرجة تقتضي بشدة التكتم في أبلاغ الأمر إلى الموالين والشيعة وهو يشير إلى أن الظروف تتأزم وتشتد فيما بعد حتى يصل الأمر إلى أن الشيعة لا يقدرون على رؤية الإمام الحجة ولا يحل لهم ذكره بأسمه بل بالأشارة والكناية العامة وفي هذا النص إعداد وتهيئة للنفوس لتقبّل الوضع الجديد الذي لا بد للشيعة أن يكونوا بأنتظاره ولا بدلهم من التهيؤ التام لأستقباله.

٩- اغتيال الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ واستشهاده

قال الشيخاني : واستشهد علي العسكري في آخر ملك المعتز بالسم[١] ، وقال الطبري الإمامي : في آخر ملك المعتز استشهد ولي الله ...مسموماً [٢].

لما أعتل أبو الحسن الهادي ﴿عليه السلام﴾ علته التي توفي فيها سنة أربع وخمسين ومائتين أحضر أبنه أبا محمد الحسن ﴿عليه السلام﴾ وأعطاه النور والحكمة ومواريث الانبياء ونص عليه وأوصى إليه بمشهد من ثقات أصحابه ومضى ﴿عليه السلام﴾ وله أربعون سنة ودفن بسرّ من رأى (أي في مدينة سامراء في العراق) ، وقال الإمام العسكري بتجهيز والده من غسله وتكفينه والصلاة عليه وحمل جنازته مع جم غفير من الناس ودفنه في داره حيث المرقد الشريف الآن في سامراء يقصده المسلمون من كافة أقطار الأمة الإسلامية للتبرك والدعاء ووفاءً لرسول الله﴿ صلى الله عليه وآله ﴾.

ويصف لنا المسعودي مراسم ومظاهر تشييع الإمام ﴿عليه السلام﴾ وأجتماع خلق كثير في داره فيقول : حدثنا جماعة كل واحد منهم يحكي أنه دخل الدار وقد أجتمع فيها جملة من بني هاشم والطالبين والعباسيين وأجتمع خلق من الشيعة ولم

---

(١) الصراط السوي :٤٠٧ .

(٢) دلائل الإمامة :٢١٦ .

يظهر عندهم أمر أبي محمد ولا عرف خبره إلا الثقات الذين
نص أبو الحسن عندهم عليه .فحكوا أنهم كانوا في مصيبة
وحيدة في ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادم فصاح بخادم
أخر : يا بشر ، خذ هذه الرقعة وامض بها إلى دار أمير المؤمنين
وادفعها إلى فلان وقل هذه رقعة الحسن بن علي فاستشرف
الناس لذلك ثم فتح في صدر الرواق باب وخرج خادم أسود
ثم خرج بعده أبو محمد ﴿عليه السلام﴾ حاسراً مكشوف الرأس ،
وعليه مبطنة بيضاء وكان وجهه وجه أبيه لا يخطئ منه شيئاً
وكان في الدار أولاد المتوكل وبعضهم ولاة العهود فلم يبق
أحد إلا قام على رجله ووثب إليه أبو محمد الموفق فقصده أبو
محمد فعانقه ثم قال : له : مرحباً يا بن العم وجلس بين بابي
الرواق والناس كلهم بين يديه وكانت الدار كالسوق
بالأحاديث فلما خرج وجلس أمسك الناس فما كنا نسمع
شيئاً إلا العطسة والسعلة وخرجت جارية تندب أبا الحسن
فقال أبو محمد ﴿عليه السلام﴾ : ما هاهنا يكفي مؤونة هذه الجاهلة ؟
فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار ثم خرج خادم فوقف بحذاء
أبي محمد العسكري فنهض فصلى عليه واخرجت الجنازة
وخرج يمشي حتى أخرج بها إلى الشارع الذي بازاء دار موسى

بن بغا وقد كان أبو محمد صلى عليه قبل أن يخرج إلى الناس ويصلي عليه المعتمد [١] . ثم دفن في دارٍ من دوره [٢].

ويمكن أن يستفاد من هذه الرواية : ان هذا الجمع الغفير المشارك فضلاً عن رجال البلاط العباسي ، يكشف عن المكانة العالية والتأثير الفاعل للإمام في الأمة والدور الكبير الذي قام به في حياته فضلاً عن أن حضوره ولاة العهد ربما يكون تغطية للجريمة البشعة التي قام بها الخليفة العباسي بدس السم إليم ومن ثم وفاته .

١٠- من دلائل إمامته بعد استشهاد أبيه﴿ عليهما ﴾

١- قال أبو هاشم الجعفري : خطر ببالي أن القرآن مخلوقٌ أم غير مخلوق ؟ فقال أبو محمد ﴿عليه السلام﴾: يا أبا هاشم الله خالق كل شيء وما سواه مخلوق [٣].

٢- وقال أيضاً : قال ابو محمد ﴿عليه السلام﴾ : إذا خرج القائم يأمر بهدم المنابر والمقاصير التي في المساجد . فقلت في نفسي : لأي

---

(١) وفي رواية الطبري : صلى عليه أبو محمد بن المتوكل : ٧ / ٥١٩.

(٢) إثبات الوصية :٢٠٦ .

(٣) المناقب : ٢ / ٤٦٧ .

معنى هذا ؟ . فأقبل عليّ وقال : معنى هذا أنها محدثة مبتدعة لم يبنها نبي ولا حجة [١] .

٣- وسأله الفهفكي : ما بال المرأة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين ؟ فقال أبو محمد ﴿عليه السلام﴾ : أن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا عليها معلقة إنما ذلك على الرجل . فقلت في نفسي قيل لي أن أبن أبي العوجاء سأل أبا عبد الله ﴿عليه السلام﴾ عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب وفي رواية : لما جعل لها من الصداق . فأقبل أبو محمد علي فقال: نعم هذه مسألة أبن أبي العوجاء والجواب منا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً أجري لآخرنا ما أجري لأولنا وأولنا وآخرنا في العلم والأمر سواء . ولرسول الله ولأمير المؤمنين فضلهما [٢].

٤- وقال أبو هاشم الجعفري : قلت في نفسي قد كتب الإمام : يا أسمع السامعين ... اللهم أجعلني في حزبك وفي زمرتك فأقبل علي أبو محمد فقال : انت في حزبه وفي زمرته إذا كنت

---

(١) المناقب : ٢ / ٤٦٨ .

(٢) المناقب : ٤ / ٤٦٨ .

بالله مؤمناً ولرسوله مصدقاً ولأوليائه عارفاً ولهم تابعاً ، فأبشر ثم أبشر (١).

٥- عن علي بن أحمد بن حماد ، قال : خرج أبو محمد في يوم مصيف راكباً عليه تجفاف وممطر فتكلموا في ذلك ، فلما أنصرفوا من مقصدهم أمطروا في طريقهم وتبلوا سواه (٢).

٦- وعن محمد بن عياش قال : تذاكرنا آيات الإمام ﴿عليه السلام﴾ فقال ناصبي : إن اجاب عن كتاب بلا مداد علمت أنه حق فكتبنا مسائل وكتب الرجل بلا مداد على ورق وجعل في الكتب وبعثنا إليه فأجاب عن مسائلنا وكتب على ورقة أسمه وأسم أبويه فدهش الرجل فلما أفاق أعتقد الحق (٣).

٧- وعن محمد بن عبد الله قال : فقد غلام صغير فلم يوجد فأخبر بذلك فقال ﴿عليه السلام﴾: أطلبوه في البركة فطلب فوجد فيها ميّتاً (٤).

---

(١) المناقب : ٢ / ٤٦٩ .

(٢) المناقب ٢ / ٤٦٩ .

(٣) المناقب : ٢ / ٤٧٠ .

(٤) الثاقب : ٢٣١ .

٨- وروى أبو سليمان المحمودي فقال : كتبت إلى أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ أسأله الدعاء بأن أرزق ولداً ، فوقع : رزقك الله ولداً وأصبرك عليه فولد لي أبن ومات [١].

٩- وروي عن علي بن أبراهيم الهمداني قال : كتبت إلى أبي محمد ﴿عليه السلام﴾ أسأله التبرك بأن يدعو أن أرزق ولداً من بنت عم لي فوقع : رزقك الله ذُكراناً فولد لي أربعة [٢].

١٠- وعن عمر بن أبي مسلم قال : كان سميع المسمعي يؤذيني كثيراً ويبلغني عنه ما اكره وكان ملاصقاً لداري فكتبت إلى أبي محمداً ﴿عليه السلام﴾ أسأله الدعاء بالفرج عنه ، فرجع الجواب: أبشر بالفرج السريع ويقدم عليك مال من ناحية فارس ، وكان لي بفارس أبن عم تاجر لم يكن له وارث غيري فجاءني ماله بعد ما مات بأيام يسيرة .

١١- ووقع في الكتاب : أستغفر الله وتُب إليه مما تكلمت به ، وذلك أني كنت يوماً مع جماعة من النصاب فذكروا أبا طالب

---

(١) بحار الأنوار : ٥٠ / ٢٦٩ عن الخرائج والجرائح : ١ / ٤٣٩ح ١٨ ب ١٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٥٠ / ٢٦٩ عن الخرائج والجرائح : ١ / ٤٣٩ح ١٩ ب ١٢ .

حتى ذكروا مولاي فخضت معهم لتضعيفهم أمره فتركت الجلوس مع القوم وعلمت أنه أراد ذلك [١] .

١٢- وروي عن الحجاج بن يوسف العبدي قال : خلفت أبني بالبصرة عليلاً وكتبت إلى أبي محمد أسأله الدعاء لأبني فكتب إلي : رحم الله أبنك إن كان مؤمناً ، قال الحجاج : فورد علي كتاب من البصرة أن أبني مات في ذلك اليوم الذي كتب إلي أبو محمد بموته ، وكان أبني شك في الإمامة للأختلاف الذي جرى بين الشيعة [٢].

---

(١) مسند الإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ : ١١٨ وبحار الأنوار ٥٠ / ٢٧٣ عن الخرائج والجرائح : ١ / ٤٤٧ ح ٣٣ ب ١٢ .

(٢) مسند الإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾: ١١٨ وبحار الأنوار ٥٠ /٢٧٤ عن والجرائح : ١ / ٤٤٧ ح ٣٤ب ١٢ .

الفصل الثاني

وفيه أبواب

الباب الأول : نشأة الإمام محمد المهدي(عليه السلام)

الباب الثاني : مراحل حياة الإمام المهدي(عليه السلام)

الباب الثالث : الإمام المهدي في ظل أبيه(عليهما السلام)

الفصل الثاني

الباب الأول

نشأة الإمام محمد بن الحسن المهدي(عليه السلام)

تأريخ الولادة

ولد – سلام الله عليه- في دار أبيه الحسن العسكري(عليه السلام) في مدينة سامراء أواخر ليلة الجمعة الخامس عشر من شعبان و هي من الليالي المباركة التي يستحب أحياؤها بالعبادة و الصوم نهارها لروايات الشريفة مروية في الصحاح مثل سنن ابن ماجة وسنن الترمذي و غيرهما من كتب أهل السنة[1]إضافة إلى ما روي عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)[2].

و كانت سنة ولادته(٢٥٥هـ) على أشهر الروايات وثمة روايات أخرى تذكر أن سنة الولادة هي (٢٥٦هـ) أو (٢٥٤هـ) مع الأتفاق على يومها وروي غير ذلك إلا أن الأرجح هو التأريخ

---

(١) راجع مثلا مسند احمد بن حنبل :١٧٦/٢، سنن ابن ماجة :١ /٤٤٤-٤٤٥، فيض القدير :٤٥٩/٤ ،سنن الترمذي :١١٦/٣، كنز العمال :٣ /٤٦٦و غيرها كثير.

(٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق :١٠١، مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : ٧٦٢، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس.

الأول لعدة شواهد منها وروده في أقدم المصادر التي سجلت خبر الولادة وهو كتاب الغيبة للشيخ الثقة الفضل بن شاذان الذي عاصر ولادة المهدي(عليه السلام) وتوفي قبل وفاة أبيه الحسن العسكري(عليه السلام) بفترة وجيزة (١) ومنها ان معظم الروايات الأخرى تذكر أن يوم الولادة كان يوم جمعة منتصف شهر شعبان وإن اختلفت في تحديد سنة الولادة ومن خلال مراجعتنا للتقويم التطبيقي (٢) وجدنا أن النصف من شعبان صادف يوم جمعة في سنة (٢٥٥هـ) وحدها دون السنين الأخرى المذكورة في تلك الروايات .

ومثل هذا الاختلاف أمر طبيعي جار مع تواريخ ولادات ووفيات آبائه وحتى مع جده الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)دون أن يؤثر ذلك على ثبوت ولادتهم(عليهم السلام)كما انه طبيعي للغاية بملاحظة سرّية الولادة عند وقوعها حفظاً للوليد المبارك .

---

(١) راجع هذه الروايات في كتاب النجم الثاقب للميرزا النوري : ٢ / ١٤٦ وما بعدها من الترجمة العربية ، وراجع الكافي : ٣٢٩/١ كمال الدين : ٤٣٠ .

(٢) نقصد بالتقويم التطبيقي التقويم الذي يطبق بين أيام تقويم السنة الشمسية مع ما يصادفها من أيام تقويم السنة القمرية وقد أعدت عدة تقاويم من هذا النوع على شكل كتب أو برامج كومبيوترية حددت ما يصادف كل يوم من ايام السنة الهجرية القمرية مع تقويم السنة الهجرية الشمسية والسنة الميلادية الشمسية ، وقد راجعنا في البحث التقويم التطبيقي الذي أصدرته جامعة طهران والذي يبدأ بالتطبيق من اليوم الأول من السنة الأولى لهجرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى نهاية القرن الهجري الخامس عشر .

تواتر خبر ولادته (عليه السلام)

روى قصة الولادة أو خبرها الكثير من العلماء بأسانيد صحيحة أمثال أبي جعفر الطبري والفضل بن شاذان والحسين بن حمدان وعلي بن الحسين المسعودي والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والشيخ المفيد وغيرهم ، ونقلها بصورة كاملة أو مختصرة أو نقل خبرها عدد من علماء أهل السنة من مختلف المذاهب الإسلامية أمثال نور الدين عبد الرحمن الجامي الحنفي في شواهد النبوة والعلامة محمد مبين المولوي الهندي في وسيلة النجاة والعلامة محمد خواجه بارسا البخاري في فصل الخطاب والحافظ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة كما نقل خبر الولادة ما يناهز المائة وثلاثين من علماء مختلف الفرق الإسلامية بينهم عشرات المؤرخين ستة منهم عاصروا فترة الغيبة الصغرى أو ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) والبقية من مختلف القرون إلى يومنا هذا في سلسلةٍ متصلة وهذا الأحصاء يشمل جانباً من المصادر الإسلامية وليس كلها . وبين هؤلاء عدد كبير من العلماء والمؤرخين المشهورين أمثال أبن خلكان وأبن الأثير وأبي الفداء والذهبي وأبن طولون الدمشقي وسبط أبن الجوزي ومحي الدين بن عربي والخوارزمي والبيهقي

والصفدي واليافعي والقرماني وأبن حجر الهيثمي وغيرهم كثير ومثل هذا الأثبات مما لم يتوفر لولادات الكثير من أعلام التأريخ الإسلامي (١).

كيفية وظروف الولادة

يُستفاج من الروايات الواردة بشأن كيفية ولادته ﴿عليه السلام﴾ أن والده الإمام الحسن العسكري - سلام الله عليه - أحاط الولادة بالكثير من السرية والخفاء ، فهي تذكر أن الإمام الحسن العسكري قد طلب من عمته السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد أن تبقى في داره ليلة الخامس عشر من شهر شعبان واخبرها بأنه سيولد فيها أبنه وحجة الله في أرضه فسألته عن أمه فأخبرها أنها نرجس فذهبت إليها وفحصتها فلم تجد فيها أثر للحمل فعادت للإمام واخبرته بذلك ، فأبستم ﴿عليه السلام﴾وبين لها ان مثلها أم موسى ﴿عليه السلام﴾ التي لم يظهر حملها ولم يعلم به أحد إلى وقت ولادتها لأن فرعون كان يتعقب أولاد بني أسرائيل خشية من ظهور موسى المبشر به فيذبح أبناءهم ويستحي نساءهم . وهذا الأمر جرى مع الإمام المهدي﴿عليه السلام﴾

---

(١) راجع تفصيلات أقوالهم في الأحصانية التي اوردها السيد ثامر العميدي في كتابه دفاع عن الكافي : ١ / ٥٣٥-٥٩٢ .

أيضاً لأن السلطات العباسية كانت ترصد ولادته إذ قد تنبأت بذلك طائفة من الأحاديث الشريفة كما سنشير لاحقاً .

ويستفاد من نصوص الروايات أن وقت الولادة كان قبيل الفجر وواضح أن لهذا التوقيت أهمية خاصة في أخفاء الولادة ، لأن عيون السلطة عادة تغط في نوم عميق كما يستفاد من الروايات أنه لم يحضر الولادة سوى حكيمة التي لم تكن نعرف بتوقيتها بشكل دقيق أيضاً [١].

وتوجد رواية واحدة يرويها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة تصرح باستقدام عجوز قابلة من جيران الإمام لمساعدة حكيمة في التوليد مع تشديد الوصية عليها بكتمان الأمر وتحذيرها من إفشائه [٢].

---

(١) راجع الروايات التي جمعها السيد البحراني بشأن قصة الولادة من المصادر المعتبرة في كتابه تبصرة الولي : ٦ وما بعدها وكذلك التلخيص الذي أجراه الميرزا النوري في النجم الثاقب : ٢ / ١٥٣ وما بعدها ، وراجع غيبة الشيخ الطوسي الفصل الخاص بأثبات ولادة صاحب الزمان (عليه السلام) : ٧٤ وما بعدها .

(٢) غيبة الشيخ الطوسي :١٤٤ .

الإخبار المسبق عن خفاء الولادة

أخبرت الكثير من الأحاديث الشريفة بأن ولادة المهدي بن الحسن العسكري ستُحاط بالخفاء والسرية ، ونسبت الإخفاء إلى الله تبارك وتعالى وشبهت بعضها إخفاء ولادته بأخفاء ولادة موسى وبعضها بولادة أبراهيم﴿ عليه السلام ﴾وبيّنت علّة الأخفاء بحفظه ﴿عليه السلام﴾ حتى يؤدي رسالته نستعرض هنا نماذج قليلة منها .

فمثلاً روى الشيخ الصدوق في إكمال الدين والخزاز في كفاية الأثر مسنداً عن الإمام الحسن بن علي﴿ عليه السلام ﴾ ضمن حديث قال فيه :

أما علمتم أنه ما منا إلا وتقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، إلا القائم الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه ؟!وإن الله﴿ عز وجل ﴾ يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين أبن سيدة النساء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته ...[١] .

---

(١) كمال الدين : ٣١٥ ، كفاية الأثر : ٣١٧ .

وفي حديث رواه الصدوق بطريقين عن الإمام علي﴿عليه السلام﴾ قال إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة ، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه[١] .

وروى عن الإمام السجاد ﴿عليه السلام﴾ أنه قال : في القائم منا سنن من الأنبياء ...وأما من أبراهيم فخفاء الولادة وأعتزال الناس .[٢]

وروي عن الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾أنه قال : في التاسع من ولدي سنّة يوسف من موسى بن عمران وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله امره في ليلة واحدة [٣].

وروى الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الباقر﴿عليه السلام﴾ أنه قال في حديث : أنظروا من خلفي عمي على الناس ولادته فذاك صاحبكم أنه ليس منا أحد يشار اليه بالأصابع ويمضغ بالألسن إلا مات غيضاً أو رغم أنفه [٤] .

---

(١) كمال الدين :٣٠٣ .

(٢) كمال الدين : ٣٢١-٣٢٢ .

(٣) كمال الدين : ٣١٦ .

(٤) الكافي :١ / ٢٧٦ .

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة والكثير منها مروي بأسانيد صحيحة تخبر صراحة - وقبل وقوع ولادة الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ بخفائها وفي ذلك دلالة وجدانية صريحة على صحتها حتى لو كان في أسانيد بعضها ضعف أو مجهولية لأنها اخبرت عن شيء قبل وقوعه ثم جاء الواقع مصدقاً لما اخبرت عنه وهذا ما لا يمكن صدوره إلا من جهة علام الغيوب تبارك وتعالى الأمر الذي يثبت صدورها عن ينابيع الوحي وبإخبار من الرسول الأكرم﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ .

خفاء الولادة علامة المهدي الموعود(عليه السلام)

ويلاحظ أن هذه الاحاديث الشريفة تصرح بان خفاء الولادة من العلائم البارزة المشخصة لهوية المهدي الموعود والقائم من ولد فاطمة الذي بشرت به الأحاديث النبوية وهذا أحد الأهداف المهمة للتصريح بذلك وهو تعريف المسلمين بأحدى العلائم التي يكشفون بها زيف مزاعم مدّعي المهدوية كما شهد التأريخ الإسلامي الكثير منهم ولم تنطبق على أي منهم هذه العلامة ، فلم تُحَطْ ولادة أي منهم بالخفاء كما هو ثابت تأريخاً [1] .

وتشير الأحاديث الشريفة المتقدمة إلى علة إخفاء ولاجته ﴿عليه السلام﴾ وهي العلة نفسها التي اوجبت إخفاء ولادة نبي الله موسى ﴿عليه السلام﴾ أي حفظ الوليج من طسوة الجبارين ومساعيهم لقتله إتماماً لحجة الله تبارك وتعالى على عباده ورعاية له لكي يقوم بدوره الإلهي المرتقب في إنقاذ بني إسرائيل والصدع بالديانة التوحيدية ومواجهة الجبروت الفرعوني بالنسبة لموسى الكليم – سلام الله عليه – وهكذا إنقاذ البشرية جمعاء وإنهاء

---

(١) ذكر تراجمهم الدكتور محمد مهدي خان مؤسس صحيفة الحكمة في القاهرة في كتابه (باب الأبواب) الذي خصص جانباً منه لدراسة حركات أدعياء المهدوية .

الظلم والجور و أقامة القسط والعدل وإظهار الإسلام على الدين كله بيد المهدي النتظر – عجل الله فرجه - . وهذا ما كان يعرفه أئمة الجور من خلال النصوص الواردة بهذا الشأن ففرعون مصر كان على علم بالبشارات الواردة بظهور منقذ بني أسرائيل وهو موسى ﴿عليه السلام﴾ من أنفسهم ولذلك سعى في تقتيل أبنائهم بهدف منع ظهوره وكذلك الحال بني العباس إذ كانوا على علم بأن المهدي الموعود هو من ولد فاطمة – سلام الله عليه – وأنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت﴿ عليهم السلام ﴾ وقد أنتشرت الأحاديث النبوية المصرحة بذلك بين المسلمين ودوّنها علماء الحديث قبل ولادة الإمام المهدي بعقود عديدة كما كانوا يعلمون بأن الإمام الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر من أئمة العترة النبوية﴿ عليهم السلام ﴾لذا فمن الطبيعي أن يسعوا لقطع هواجس ظهور المهدي الموعود بالإجتهاد من أجل قطع نسل والده العسكري﴿ عليهما السلام ﴾ .

ومن الواضح أن مجرد أحتمال صحة هذه الاحاديث كان كافياً لدفعهم نحو إبادته ، فكيف الحال وهم على علم راجح بذلك خاصةً وأن ليس بين المسلمين سلسلة تنطبق عليهم مواصفات

تلك الأحاديث الشريفة مثلما تنطبق على هؤلاء الأئمة الإثني عشر﴿ عليهم السلام ﴾كما لاحظنا مفصلاً في البحوث السابقة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن ان نفهم سر ظاهرة قصر الأعمار التي ميزت تأريخ الأئمة الثلاثة الذين سبقوا الإمام المهدي﴿ عليه السلام ﴾ من آبائه فقد أستشهد أبوه العسكري وهو ابن ثمان وعشرين [١] واستشهد جده الإمام الهادي وهو أبن أربعين سنة [٢] واستشهد الإمام الجواد وهو ابن خمس وعشرين سنة[٣] وهذه ظاهرة جديرة بالدراسة وتكفي وحدها للكسف عن المساعي العباسية الحثيثة لإبادة هذا النسل للحيلولة دون ظهور المهدي الموعود [٤] حتى لو لم يسجل التأريخ محاولات العباسيين لأغتيال وقتل هؤلاء الأئمة فكيف الحال وقد سجل عدداً من هذه المحاولات تجاههم ﴿ عليهم السلام ﴾ حتى ذكر المؤرخون مثلاً أنهم قد سجنوا الإمام

---

(١) الفصول المهمة لأبن الصباغ المالكي : ٢٨٨ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي : ٤ / ١٦٩ .

(٣) الفصول المهمة لأبن الصباغ المالكي : ٢٧٦ .

(٤) لقد أمتدت هذه المحاولات إلى داخل بيت الإمام ﴿عليه السلام﴾فزرعت العيون من النساء لمراقبة ما يحدث داخل بيت الإمام ﴿عليه السلام﴾ للقضاء على الإمام المهدي﴿عليه السلام﴾ إن ولد بل قد امتدت هذه الجهود للحيلولة دون ولادة الإمام ﴿عليه السلام﴾ ومن هنا لم يتزوج الإمام الحسن العسكري﴿عليه السلام﴾ بشكل رسمي كما هو المتعارف والمتداول حينذاك .

العسكري وسعوا إلى لأغتياله عدة مرات كما فعلوا مع آبائه ﴿عليهم السلام﴾[1].

يقول الإمام الحسن العسكري معللاً هذه الحرب المحمومة ضدهم ﴿عليهم السلام﴾ فيما رواه عنه معاصره الشيخ الثقة الفضل بن شاذان :

قال : حدثنا عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب قال : قال أبو محمد الإمام العسكري ﴿عليه السلام﴾ : (قد وضع بنو أمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلتين : أحداهما أنهم كانوا يعلمون أنه ليس لهم في الخلافة حق فيخافون من ادعائنا إياها وتستقر في مركزها ، وثانيهما أنهم قد وقفوا من الاخبار المتواترة على أن زوال ملك الجبابرة والظلمة على يد القائم منا وكانوا لا يشكون أنهم من الجبابرة والظلمة فسعوا إلى قتل أهل بيت رسول الله﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى

---

(١) راجع الفصل الخاص بذلك في كتاب حياة الإمام العسكري ﴿عليه السلام﴾ للشيخ الطبسي : ٤٢١-٤٢٤ .

منع تولد القائم ﴿عليه السلام﴾ أو قتله فأبى الله أن يكشف امره لواحد منهم ﴿ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] .

الباب الثاني

مراحل حياة الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾

تنقسم حياة كل إمام معصوم بشكل عام إلى قسمين رئيسين :

القسم الأول : حياته قبل تسلمه مهام الإمامة والزعامة .

القسم الثاني : حياته بعد تسلمه لمهام الإمامة والزعامة .

وبالأمكان تقسيم كل منهما إلى مراحل .

وبناءً على هذا تنقسم حياة الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ إلى أربع مراحل متمايزة وهي :

المرحلة الأولى : حياته في ظل أبيه أي من الولادة سنة (٢٥٥هـ) حتى يوم أستشهاد أبيه الإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ سنة (٢٦٠هـ) وهي خمس سنوات تقريباً .

---

(١) إثبات الهداة للحر العاملي : ٣ / ٥٧٠ ، منتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافي : ٣٥٩ ب ٣٤ ح ٤ عن كشف الحق للخاتون آبادي وبذيه ما يدل عليه من سائر الأخبار غير القليلة .

المرحلة الثانية : حياته منذ وفاة أبيه ﴿عليه السلام﴾ (سنة ٢٦٠هـ) حتى انتهاء الغيبة الصغرى سنة (٣٢٩هـ) . وهي تناهز السبعين عاماً

المرحلة الثالثة : حياته في الغيبة الكبرى والتي بدأت بعد وفاة سفيره الرابع عام (٣٢٩هـ) وهي مستمرة حتى يوم ظهوره على مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية من جديد .

المرحلة الرابعة : حياته في مرحلة الظهور التي تبدأ بعد انتهاء الغيبة الكبرى وهو عهد الدولة المهدوية العالمية المرتقبة والتي اخبرت عنها نصوص الكتاب والسنة .

وتتميز كل مرحلة من هذه المراحل بمجموعة من الخصائص نشير أليها تباعاً في كل باب إن شاء الله تعالى .

الباب الثالث

الإمام المهدي في ظل أبيه (عليهما السلام)

دور الإمام العسكري (عليه السلام) في إعلان الولادة

في ظل تلك الأوضاع الأرهابية الصعبة كانت تواجه الإمام العسكري (عليه السلام) مهمة على درجة كبيرة من الخطورة والحساسية فكان عليه أن يخفي أمر الولادة عن أعين السلطات العباسية بالكامل والحيلولة دون اهتدائهم إلى وجوده وولادته ومكانه حتى لو عرفوا إجمالاً بوقوعها وذلك حفظاً للوليد من مساعي الإبادة العباسية المتربصة به ولذلك لاحظنا في خبر الولادة حرص الإمام على خفائها كما نلاحظ أوامره المشددة لكل من اطلعه على خبر الولادة من أرحامه وخواص شيعته بكتمان الخبر بالكامل فهو يقول مثلاً لأحمد بن إسحاق : ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً ومن جميع الناس مكتوماً [1].

ومن جهة ثانية كان عليه إلى جانب ذلك وفي ظل تلك الاوضاع الأرهابية وحملات التفتيش العباسية المتواصلة أن

---

(١) كمال الدين : ٤٣٤ .

يثبت خبر ولادته ﴿عليه السلام﴾ بما لا يقبل الشك إثباتاً لوجوده ثم إمامته فكان لا بد من شهود على ذلك يطلعهم على الأمر لكي ينقلوا شهادتهم فيما بعد ويسجلها التأريخ للأجيال اللاحقة ، ولذلك قام ﴿عليه السلام﴾بأخبار عددٍ من خواص الشيعة بالأمر(١) وعرض الوليد عليهم ، بعد مضي ثلاثة أيام من ولادته (٢) ، كما عرض على أربعين من وجوه وخلّص أصحابه بعد مضي بضع سنين والإمام يومئذٍ غلام صغير وأخبرهم بأنه الإمام من بعده(٣) كما كان يعرضه على بعض أصحابه فرادى بين الحين والآخر ويظهر لهم منه من الكرامات بحيث يجعلهم على يقين من وجوه الشريف، وقام ﴿عليه السلام﴾ باجراءات أخرى للهدف نفسه مع الالتزام بحفظ حياة الوليد من الإبادة العباسية بما أثبت تأريخيا ولادة خليفته الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ بأقوى ما تثبت به ولادة انسان كما يصرح بذلك الشيخ المفيد(٤).

---

(١) كمال الدين : ٤٣١، وراجع معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة لمحمد بن الفيض الكاشاني : ٢ / ٢٧٥ .

(٢) كمال الدين : ٤٣١ .

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي : ٢١٧ ، إثبات الهداة للحر العاملي : ٤١٥ ، ينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفي : ٤٦٠ .

(٤) الفصول العشرة في الغيبة ،المطبوع ضمن كتاب عدة رسائل للشيخ المفيد:٣٥٣.

ومن جهة ثالثة كانت تواجه الإمام العسكري _سلام الله علية _مهمة التمهيد لغيبة ولده المهدي وتعويد المؤمنين على التعامل غير المباشر مع الإمام الغائب وقد قام ﴿عليه السلام﴾ بهذه المهمة عبر سلسلة من الاجراءات كإخبارهم بغيبته وأمرهم بالرجوع إلى سفيره العام عثمان بن سعيد فهو يقول لطائفة من أصحابه بعد أن عرض عليهم الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ وهو غلام : هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ألا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر ، فأقبلوا من عثمان ما يقوله وأنتهوا إلى امره وأقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر أليه [(١)].

ومن إجراءاته ﴿عليه السلام﴾ في هذا المجال - تأكيده على أستخدام أسلوب الاحتجاب والتعامل مع المؤمنين بصورةٍ غير مباشرة تعويداً لهم على مرحلة الغيبة فكان : يكلم شعيته الخواص وغيرهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان وأنما كان منه ومن أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة وتجري العادة

---

(١) غيبة الطوسي : ٢١٧ .

بالاحتجاب والإستتار [١] ومن هذه الاجراءات تثبيت نظام الوكلاء عن الإمام ، وتأييد الكتب الحديثية التي جمع فيها أصحاب الأئمة مروياتهم عنهم وعن رسول الله﴿ صلى الله عليه وآله ﴾[٢]. ، ليرجع إليها المؤمنون في عصر الغيبة [٣].

حضوره وفاة أبيه ﴿عليه السلام﴾

طبق ما يرويه الشيخ الصدوق في إكمال الدين والشيخ الطوسي في الغيبة فإن الإمام المهدي – عجل الله فرجه- قد حضر وفاة أبيه العسكري﴿ عليه السلام ﴾ ، إن أن رواية الشيخ الطوسي أكثر تفصيلاً من رواية الصدوق التي كَنَّتْ عن حضوره ولم تصرح به فقد نقل الشيخ الصدوق وعن محمد بن الحسين بن عباد أنه قال : مات أبو محمد الحسن علي﴿ عليه السلام ﴾ يوم الجمعة مع صلاة الغداة ، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده كتاباً كثيرة إلى المدينة وذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون

---

(١) إثبات الوصية المسعودي : ٢٦٢ .

(٢) راجع رجال الكشي : ٤٨١ ، ٤٥١ ، ورجال أبن داود : ٢٧٢-٢٧٣ ، ووسائل الشيعة : ١٨ / ٧٢ ، فلاح السائل للسيد أبن طاووس : ١٨٣ وغيرها .

(٣) لمزيد من التفصيلات بشأن دور الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) في هذا المجال راجع كتاب تأريخ الغيبة الصغرى للسيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره) : ٢٦٩ وما بعدها وحياة الإمام العسكري(عليه السلام) للشيخ الطبسي : ٣١٣-٣٢٦ .

منه سنة ستين ومائتين من الهجرة ولم يحضره في ذلك الوقت إلا صقيل الجارية ، وعقيد الخادم ومن علم الله ﴿عزوجل﴾ غيرهما...[١].

ونقل الطوسي الرواية بتفصيل أكثر حيث قال

قال أسماعيل بن علي : دخلت على أبي محمد الحسن بن علي﴿عليه السلام﴾ في المرضة التي مات فيها وأنا عنده إذ قال لخادمه عقيد – وكان خادم أسود نوبياً- قد خدم من قبله علي بن محمد وهو ربي الحسن ﴿عليه السلام﴾ : يا عقيد اغل لي ماء بمصطكي . فأغلى له ثم جاءت به صقيل الجارية أم الخلف فلما صار القدح في يديه هم بشربه فجعلت يده ترتعد حتى ضرب القدح ثنايا الحسن فتركه من يده وقال لعقيد : ادخل البيت فإنك ترى صبياً ساجداً فأتني به، قال أبو سهل : قال عقيد : فدخلت أتحرى فإذا أنا بصبي ساجد رافع سبابته نحو السماء فسلمت عليه فأوجز في صلاته فقلت : إن سيدي يأمرك بالخروج إليه إذ جاءت أمه صقيل فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن ﴿عليه السلام﴾ .

---

(١) كمال الدين : ٤٧٤ .

قال أبو سهل : فلما مثّل الصبي بين يديه سلم وإذا هو دريٌ اللون وفي شعر رأسه قطط ، مفلج الأسنان فلما رآه الحسن ﴿عليه السلام﴾ بكى وقال : يا سيد أهل بيته أسقني الماء فإني ذاهب إلى ربي وأخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكي بيده ثم حرك شفتيه ثم سقاه فلما شربه قال : هيئوني للصلاة فطرح في حجره منديل فوضأه الصبي واحدة واحدة ومسح رأسه وقدميه فقال له أبو محمد ﴿عليه السلام﴾ : أبشر يا بني فأنت صاحب الزمان وأنت المهدي وأنت حجة الله على أرضه وأنت ولدي ووصيي وانا ولدتك وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولدك رسول الله وأنت خاتم الأئمة الطاهرين وبشر بك رسول الله﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ وسمّاك وكنّاك بذلط عه

إلي أبي عن آبائك الطاهرين صلى الله على أهل البيت ربّنا أنه حميد مجيد ومات الحسن بن علي من وقته صلوات الله عليهم أجمعين [1].

---

(١) غيبة الطوسي : ١٦٥ .

الباب الرابع

الغيبة الصغرى للإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾

تسلمه مهام الإمامة صغيراً

تسلم المهدي ﴿عليه السلام﴾ مهام الإمامة وهو ابن خمسٍ أو ست سنين فهو أصغر الأئمة سناً عند توليه مهام الإمامة . وقد أخبرت عن ذلك الأحاديث الشريفة سابقاً [١].

وليس في ذلك غرابة في تأريخ الأنبياء والرسل وأئمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ فقد سبقه لذلك بعض أنبياء الله تعالى حسب نص القرآن الكريم كعيسى ويحيى كما سبقه الإمامان علي الهادي﴿عليه السلام﴾ الذي تسلم الإمامة وهو أبن ثمان سنين والإمام محمد الجواد ﴿عليه السلام﴾ الذي تسلم الإمامة وهو أبن سبع أو تسع سنين .

---

(١) راجع حديث الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾ : (صاحب هذا الأمر أصغرنا سناً وأخملنا شخصاً...) غيبة النعماني : ١٨٤ .

وراجع بهذا الشأن أيضاحات الشيخ المفيد في كتابه الفصول المختارة من العيون والمحاسن : ٢٥٦ ، وفي كتاب بحث حول المهدي للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (رحمه الله)حيث تحدث مفصلاً عن هذه الظاهرة في حياة الائمة بالتفصيل .

وقد خاض الإمام الجواد ﴿عليه السلام﴾ امتحانين عامين ، الأول منهما كان بحضور مشائخ مذهب أهل البيت﴿ عليهم السلام ﴾ وكبار علمائهم من أصحاب أبيه وبعد تسلمه لمهام الإمامة مباشرة ، وكان الثاني منهما في مجلس المأمون وبحضور كبار علماء المسلمين يومذاك وكبار زعماء العباسيين الذين كانوا يسعون بكل وسيلة للحط من مكانة أئمة أهل البيت﴿ عليهم السلام ﴾.

وخرج من كلا الامتحانين بنجاح باهر أذعن بسببه مشائخ أصحاب أبيه وكبار علماء المسلمين لإمامته العلمية وإحاطته بعلوم شريعة جده سيد الرسل محمد﴿ صلى الله عليه وآله ﴾.

وكانت اهم ثمار هذه التجربة تتجلى في إثبات إمامة الإئمة الأثني عشر كموقع إلهي يؤتيه الله تبارك وتعالى لمن يشاء فلا يؤثر صغر السن في قابلية الإفاضة الإلهية على الشخص ، ولذلك نلاحظ أن الذين ترجموا للإمام المهدي﴿عليه السلام﴾ من علماء المذاهب الإسلامية قد أعتبروا تسلمه للإمامة وهو أبن خمس سنين أمراً طبيعياً في سيرة أئمة هذا البيت﴿ عليهم السلام ﴾ حتى إن عالماً كبيراً مثل أبن حجر الهيثمي المكي الشافعي يقول في ذيل ترجمته للإمام الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ : ولم يخلف

الإمام العسكري غيره ولده أبي القاسم محمد الحجة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة [١] ، ويقول صاحب كتاب مرآة الأسرار الشيخ عبد الرحمن الجامي الحنفي في ترجمته : كان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين وجلس على مسند الإمامة ومثله مثل يحيى بن زكريا حيث أعطاه الله في الطفولية الحكمة والكرامة ومثل عيسى بن مريم حيث أعطاه النبوة في صغر سنه كذلك المهدي جعله الله إماماً في صغر سنه ، وما ظهر له من خوارق العادات كثير لا يسعه هذا المختصر [٢] .

ونلاحظ هنا أستناد الشيخ الجامي الحنفي إلى تجارب الأنبياء السابقين ﴿عليهم السلام﴾ التي تنفي استبعاد الإمامة عن الصغير ما دام الإمام مسدداً من قبل الله تبارك وتعالى في صغره أو كبره .وقد ثبت أن المهدي﴿عليه السلام﴾ قد حظي بهذا التسديد الإلهي من خلال حوادث عديدة نقلتها كتب الحديث والتاريخ وذكرت صدور كرامات عنه ﴿عليه السلام﴾ لا يمكن صدورها عن

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٢٤ .

(٢) مرآة الأسرار : ٣١ .

غير الإمام ، وقد كان بعضها في حياة أبيه وبعضها الآخر في عهد إمامته (١).

صلاته على أبيه وإعلان وجوده

كان من أولى المهمات التي قام بها الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ بُعَيْد تسلمه مهام الإمامة هي الصلاة على أبيه الحسن العسكري ﴿ عليه السلام ﴾ في داره وقبل إخراج جسده الطاهر إلى الصلاة الرسمية التي خططتها السلطات العباسية (٢) وكان قيامه بهذه الصلاة يعتبر أمراً مهماً في إثبات إمامته رغم المخاطر التي كانت تتوقع بعد نقل خبر هذه الصلاة .

روى الشيخ الطوسي بسنده عن أحمد بن عبد الله الهاشمي - وهو من ولد العباس - قال : حضرت دار أبي محمد الحسن بن علي﴿ عليه السلام ﴾ بسر مَن رأى يوم توفي وأخرجت جنازته ووضعت ، ونحن تسعة وثلاثون رجلاً قعود ننتظر حتى خرج علينا غلام عشاري حاف ، عليه رداء قد تقنع به فلما أن خرج

---

(١) مثل تكلمه عند ولادته وهو في المهد ، كمال الدين : ٤٣٣، ٤٤١ وغيرها ، ومثل تحدثه بجوامع العلم والحكمة وهو صغير ، غيبة الشيخ الطوسي : ١٤٨ وغيرها .

(٢) يظهر أن الصلاة الأولى كانت بحضور وجوه اصحاب الإمام وأرحامه والصلاة الرسمية كانت بحضور ممثلي السلطة العباسية ووجوه المدينة وعامة الناس ، راجع تفصيلات ذلك في كتاب بحار الانوار : ٥٠ / ٣٢٨ .

قمنا هيبة له من غير أن نعرفه ، فتقدم وقام الناس فأصطفوا خلفه ، فصلى عليه ومشى ، فدخل بيتاً غير الذي خرج منه [١]

وروى الشيخ الصدوق الحادثة نفسها بتفصيلات أدق عن أبي الأديان البصري أحد ثقاة الإمام العسكري ﴿عليه السلام﴾، حيث قال :

كنت أخدم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ﴿عليهم السلام﴾ واحمل كتبه إلى الأمصار فدخلت عليه في علته التي توفي فيها صلوات الله عليه فكتب معي كتباً وقال : امض بها إلى المدائن فإنك ستغيب أربعة عشر يوماً وتدخل إلى سر من رأى) يوم الخامس عشر وتسع وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل .

قال أبو الأديان : فقلت : يا سيدي فإذا كان ذلك فمن. قال : من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي . فقلت : زدني فقال : من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي ثم منعتني هيبته أن اسأله عما في الهميان وخرجت بالكتب إلى المداين

(١) غيبة الشيخ الطوسي : ١٥٥ .

وأخذت جواباتها ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما قال لي ﴿عليه السلام﴾ وإذا أنا بالواعية في داره وإذا به على المغتسل وإذا أنا بجعفر الكذاب أبن علي أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنؤنه فقلت في نفسي أن يكن هذا الإمام بطلت الإمامة لأني كنت أعرفه يشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور فتقدمت فعزيت وهنئت فلم يسألني عن شيء ثم خرج عقيد فقال : يا سيدي قد كفن أخوك فقم فصلّ عليه .

فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن علي قبيل المعتصم المعروف بسلمة فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مكفناً فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة بشعره قطط بأسنانه تفليج فجذب برداء جعفر بن علي وقال : تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي فتأخر جعفر وقد أربد وجهه وأصفرّ وتقدم الصبي فصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه﴿ عليه السلام ﴾ ثم قال : يا بصري هات جوابات الكتب التي معك فدفعتها إليه فقلت في نفسي : هذه بيّنتان بقي الهميان ثم خرجت إلى جعفر بن علي وهو يزفر

فقال له : حاجز الوشا : يا سيدي من الصبي لنقيم الحجة عليه.

فقال : والله ما رأيته ولا أعرفه فنحن جلوس إذ قدم من قم فسألوا عن الحسن بن علي ﴿عليه السلام﴾ فتعرفوا موته فقالوا : فمن نعزي ؟ فاشاروا إلى جعفر أبن علي فسلموا عليه وعزوه وهنؤوه وقالوا : معنا كتب ومال فتقول ممن الكتب وكم المال فقام ينفض أثوابه ويقول : تريدون منا ان نعلم الغيب؟! قال : فخرج الخادم فقال : معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية فدفعوا أليه الكتب والمال وقالوا: الذي وجه لك لأخذ ذلك هو الإمام .

فدخل جعفر بن علي على المعتمد وكشف ذلك فوجه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها بالصبي فأنكرته ، وأدعت أن بها حبلاً لتغطي على حال الصبي ، فسلمت إلى أبن أبي الشوارب القاضي ، وبغتهم موت عبيد الله بن خاقان فجأة وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم والحمد لله رب العالمين...[1] .

---

(١) كمال الدين : ٤٧٥-٤٧٦ .

أهدافه ﴿عليه السلام﴾ من الصلاة على أبيه

حقق قيام الإمام بالصلاة على أبيه﴿ عليهما السلام ﴾ أمرين مهمين كان من الضروري إنجازهما بعد وفاة الإمام الحادي عشر حيث تتطلع أنظار الناس لمعرفة هوية الإمام الثاني عشر بعد أن عرفنا أن ولادة الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ كانت قد أحيطت بالكتمان الشديد بسبب الترصد العباسي للقضاء على الوليد المصلح المرتقب ، لذلك فإن هذا الظرف الخاص هو الظرف الذي كانت تتطلع فيه الأعين لترى من الذي يصلي على الإمام المتوفى لتتخذ ذلك قرينة كاشفة عن خليفة الإمام السابق . وهكذا كان الظرف يمثل فرصة مناسبة للغاية لترعيف الحاضرين في الدار – وكثير منهم من عيون أصحاب الإمام العسكري ﴿عليه السلام﴾ ووكلائه – بوجود الإمام المهدي وأنه هو الوصي الحقيقي لأبيه ، وان الرعاية الإلهية قد حفظته من مساعي الإبادة العباسية خاصة وإن الخليفة العباسي المعتمد قد بعث جلاوزته فور وصول خبر وفاة الإمام العسكري لتفتيش داره ﴿عليه السلام﴾ بجميع حجرها بحثاً عن ولده وأصطحبوا معهم نساءاً يعرفن الحبل لفحص جواريه﴿عليه السلام﴾ وكل ذلك كان

قبل تهيئة الجسد الطاهر وتكفينه [١] ، لذلك كانت صلاته على أبيه﴿عليه السلام﴾ بمثابة إعلانٍ لأولئك الحاضرين – وعددهم كان يناهز الأربعين كما في رواية الهاشمي المتقدمة – بسلامة الإمام المهدي من الهجوم العباسي السريع الذي باغت أهل دار العسكري المنشغلين بمصيبة فقده﴿عليه السلام﴾ ، الأمر الذي قد يجعل البعض يتصور بأنهم لم يكونوا يتحسبون لهذا الهجوم المباغت.

ولتأكيد هذا الأمر نلاحظ أن ظهور الإمام المهدي﴿عليه السلام﴾ للصلاة على أبيه أقترن بالإعلان عن هويته وأنه أبن الحسن العسكري وأنه أحق بالصلاة عليه كما تصرح بذلك رواية أبي الأديان حيث خاطب الإمام عمه جعفر بالقول : يا عم أنا أحق بالصلاة على أبي .

أما الإنجاز الثاني ، فهو منع عمه جعفر – الذي لقب بالكذاب – من استغلال هذا الموقف المهم للحصول على ورقة مؤثرة في أذهان الناس تؤيد دعاويه التضليلية بأنه الإمام بعد أخيه العسكري﴿عليه السلام﴾، وتتضح أهمية هذا الإنجاز وضرورته من

---

(١) راجع تفصيلات ذلك في كمال الدين :٤٣ ، ٤٧٣ .

ملاحظة الجهود المستميتة التي بذلها جعفر بتشجيع من السلطة العباسية لإقناع الناس بانه خليفة أخيه العسكري﴿عليه السلام﴾ والقائم مقامه في الإمامة [١] ، وقد بلغت استماتته في ذلك حد الوشاية بأبن أخيه المهدي﴿عليه السلام﴾ ومسارعته لإخبار المعتمد العباسي بحضوره للصلاة بهدف القبض عليه كما رأينا في الرواية المتقدمة ، واستنجاده بالبلاط العباسي لمناصرته في جهوده هذه وواضح أنّ لمثل هذا النشاط المحموم تأثيراً سلبياً كبيراً في إضلال الناس وإبعادهم عن الإمام الحق خاصة مع الخلفاء الذي كان قد احاط بولادة المهدي﴿عليه السلام﴾ وكتمان أمره إلا عن خواص أصحابه فكان لا بد للإمام ﴿عليه السلام﴾ من مواجهته وعدم السماح له بأستغلال ذلك الموقف الحساس لجهوده التضليلية تلك ، وإعلان وجوده﴿عليه السلام﴾ إكمالاً للحجة على الرغم من المخاطر التي حفت بالقيام بهذه المهمة .

---

(١) إرشاد الشيخ المفيد : ٢ / ٣٣٦ ، ٣٣٧ وعنه في بحار الأنوار : ٥٠ / ٣٣٤ ، ٢٣١ ، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٢٢ ، الأحتجاج : ٢ / ٢٧٩ .

غيبتا الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾

كان للإمام المهدي – عجل الله فرجه – غيبتان : صغرى وكبرى ، أخبرت عنهما معاً الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وعن الأئمة المعصومين من أهل بيته ﴿عليهم السلام﴾ كما نشير لذلك لاحقاً ، بل وأشارت إليها بعض نصوص الكتب السماوية السابقة .

تبدأ الغيبة الصغرى من حين وفاة أبيه الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ سنة (٢٦٠هـ) وتولّى المهدي مهام الإمامة إلى حين وفاة آخر السفراء الأربعة الخاصين بالإمام المهدي – عجل الله فرجه – وهو الشيخ علي بن محمد السمري في النصف من شعبان سنة(٣٢٩هـ) تزامناً مع ذكرى ولادة الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ ، فتكون مجتها قرابة السبعين عاماً ، وقد تميزت هذه الفترة بكثرة الرسائل الصادرة عنه ﴿عليه السلام﴾ في موضوعات عديدة ، وكذلك بوجود السفراء الخاصين والوكلاء الذين كان يعينهم مباشرة . وهذه الفترة مثلت مرحلة أنتقالية بين الظهور المباشر الذي كان مألوفاً في حياة آبائه وبين الأستتار الكامل في عهد الغيبة الكبرى .

أما الغيبة الكبرى فقد بدأت إثر وفاة الشيخ السمري إذ أمره الإمام بعدم تعيين خليفة له ، بعد أن أستنفذت الغيبة الصغرى الأهداف المطلوبة منها . والغيبة الكبرى مستمرة إلى يومنا هذا وستستمر حتى يأذن الله تبارك وتعالى للإمام بالظهور والقيام بمهمته الإصلاحية الكبرى .

وتميزت الغيبة الكبرى بأنتهاء نظام السفارة الخاصة عن الإمام ، وبقلّة الرسائل الصادرة عنه ﴿عليه السلام﴾ . وبالأستتار الكلي إلا في حالات معينة .

الباب الخامس

أسباب الغيبة الصغرى والتمهيد لها

أسباب الغيبة الصغرى

جاءت غيبة الإمام المهدي – عجل الله فرجه- كإجراءٍ تمهيدي لظهوره أقتضته الحكمة الإلهية في تدبير شؤون العباد بهدف تأهيل المجتمع البشري للمهمة الإصلاحية الكبرى التي يحققها الله تبارك وتعالى على يديه ﴿عليه السلام﴾ والتي تتمثل في إظهار الإسلام على الدين كله وإقامة الدولة الإسلامية العادلة في كل الأرض وتأسيس المجتمع التوحيدي الخالص الذي يعبد الله وحده لا شريك له دونما خوف من كيد منافق أو مشرك كما نصت على ذلك النصوص الشرعية التي سنتناولها في الفصل الخاص بسيرته ﴿عليه السلام﴾ بعد ظهوره .

إن الانحراف الذي ساد الكيان الإسلامي قد أبعده عن الدور الريادي المطلوب الذي أراده الله سبحانه له أي لكي يكون كيان خير أمة أخرجت للناس وترسخ الانحراف الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي حتى أفقده أهلية القيام بهداية المجتمع

البشري نحو العدالة الإسلامية التي فقدها المسلمون أنفسهم وفقدوا معها الكثير من القيم الإلهية الأصلية حتى اختفت مظاهرها من حياتهم .

والانحراف السياسي- الذي سبب انحرافات أخرى - كان قد طغى على كيان المسلمين واستشرى الفساد في حكوماتهم التي لم يكن لها هدف سوى التمادي في الملذات المحرمة والتناحر الداخلي بدوافع سلوطية ومطامع استعلائية في الأرض حتى غابت صورة الخليفة الخادم للرعية المدافع عن كرامتهم الإنسانية ومصالحهم الدنيوية والأخروية وحلت محلها صورة الحاكم المستبد الذي لا همّ له سوى الفساد والاستعلاء في الإرض والاحتفاظ بالعرش بما أمكنه ولو كان على حساب سحق أبسط القيم التي جاء بها من يرفعون شعار خلافته أي النبي الأعظم﴿ صلى الله عليه وآله ﴾، ولذلك أجتهدوا في محاربة أئمة الهدى من عترته كما لاحظنا في تعليل الإمام العسكري ﴿عليه السلام﴾ للمطاردة الأموية والعباسية لهم وخاصة للمهدي الموعود .

إذن فالكيان الإسلامي - وبالتالي المجتمع البشري - لم يكن مؤهلاً بالفعل لتلك المهمة الإصلاحية الكبرى التي تحمّلها

المهدي الموعود ، لعل من أوضح مظاهر ذلك موقفه من الثورات العلوية الكثيرة التي كانت تتفجر في أرجاء مختلفة من العالم الإسلامي ، لكنها كانت تواجه بقمع وحشي أو خذلان سريع أو انحراف سريع عن أهدافها المعلنة وتحويلها إلى حكومة سلوطية كسائر الحكومات الفاسدة المعاصرة لها بعيدة عن الأهداف الإصلاحية الإسلامية الكبرى [١] .

في ظل هذه الأوضاع وفي ظل الجهود المستميتة التي كانت تبذلها السلطات العباسية للقضاء على المهدي كما تقدم ، كان لا بد من أحاطة الإمام ﴿عليه السلام﴾ بستار يمكنه من المساهمة - كحجة لله على عباجه - في إعداد المقدمات اللازمة لظهوره دون أن يعرّضه لخطر الإبادة وفقدان البشر لحجة الله الموّكل بحفظ الشريعة المحمدية ، وهذا الستار هو الذي سمي بـ(الغيبة). وإلى هذا السبب أشارت مجموعة من الأحاديث الشريفة عن ان أحد أسرار الغيبة هو الخشية من القتل وهذه العلة تنطبق على الغيبة الصغرى وثمة علل أخرى ترتبط بتأهيل المجتمع البشري للظهور .

---

(١) أجرى السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) دراسة تحليلية وثائقية قيمة أستناداً لمصادر التاريخ الأسلاكي لخصوصيات هذه الحقبة من التأريخ من المفيد الأطلاع عليها في كتابه تأريخ الغيبة الصغرى .

تمهيد النبي ﴿ﷺ﴾والإئمة﴿عليهم السلام﴾لغيبة الإمام المهدي﴿عليه السلام﴾سجلت المصادر الإسلامية الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم ﴿ﷺ﴾ وأئمة اهل البيت﴿عليهم السلام﴾ التي أخبرت عن حتمية وقوع غيبة الإمام المهدي – عجل الله فرجه- وقد نقلنا نماذج أخرى لها .

فمنها ما رواه الحافظ صدر الدين ابراهيم بن محمد الحموني الشافعي (٦٤٤- ٧٢٢هـ) في كتابه فرائد السمطين . وغيره بأسانيدهم عن أبن عباس أن يهودياً أسمه نعثل ويكنى أبا عمارة جاء رسول الله ﴿ﷺ﴾ وسأله عن أشياء ترتبط بالتوحيد والبنوة والإمامة فأجابه عليها فأسلم الرجل وقال :

أشهد أن لا أله إلا الله وأنك رسول الله وأشهد أنهم الأوصياء بعدك ولقد وجدت هذا في الكتب المتقدمة وفيما عهد إلينا موسى ﴿عليه السلام﴾ : إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له (أحمد) خاتم الانبياء لا نبي بعده ، يخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط .

فقال ﴿ﷺ﴾ يا أبا عمارة أتعرف الأسباط . قال : نعم يا رسول الله أنهم كانوا أثني عشر .

قال : فإن فيم لاوي بن ارحيا . قال : أعرفه يا رسول الله وهو الذي غاب عن بني أسرائيل سنين ثم عاد فأظهر شريعته بعد دراستها وقاتل مع فريطيا الملك حتى قتله .

وقال ﴿عليه السلام﴾ : كائن في امتي ما كان من بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وأن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا أسمه ولا من القرآن إلا رسمه فحينئذٍ يأذن الله له بالخروج فيظهر الإسلام ويجدد الدين . ثم قال ﴿عليه السلام﴾ : طوبى لمن أحبهم وطوبى لمن تمسك بهم ، والويل لمبغضهم)[1] .

وروي عنه ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ أنه قال : من أنكر القائم من ولدي في غيبته مات ميتة جاهلية [2].

وقال ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ : والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبن القائم من ولدي بعهدٍ معهود إليه مني حتى يقول الناس ما لله في آل محمد من حاجة ، ويشك آخرون في ولادته ، فمن أدرك زمانه

---

(١) فرائد السمطين : ٢ / ١٣٢ .

(٢) كمال الدين : ٤١٣ ، كفاية الأثر : ٦٦ ، والاحاديث النبوية بهذا المعنى كثيرة راجعها في معجم أحاديث الإمام المهدي﴿عليه السلام﴾القسم الخاص بأحاديث النبي﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ : ١٦٧-٢٥٦/١ .

فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكه فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني...[١] .

وقال ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴾ : جعل من صلب الحسين أئمة ليوصون بأمري ويحفظون وصيتي التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهجي امتي ، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله ليظهر بعد غيبةٍ طويلة وحيرة مضلة فيعلن أمر الله ويظهر دين الحق...[٢].

وقال ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴾ : (لا بد للغلام من غيبة) فقيل له : ولم يا رسول الله ؟ قال : يخاف القتل) [٣].

وقال ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴾ : المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم يأتي بذخيرة الأنبياء﴿ عليهم السلام ﴾ فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً [٤] .

وعن الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ قال ضمن حديث : ولكني فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي

---

(١) كمال الدين : ٥١ ، إثبات الهداة : ٣ / ٤٥٩ .

(٢) كفاية الأثر : ١٠ .

(٣) علل الشرائع : ١ / ٢٤٣ وعنه في بحار الأنوار : ٩٠/٥٢ .

(٤) فرائد السمطين : ٢/ ٣٣٥ وينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفي :٤٨٨ .

الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً تكون له غيبة وحيرة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون...[١].

وقال ﴿عليه السلام﴾ : وإن للغائب منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى فلا يثبت على إمامته إلا من قوي يقينه وصحت معرفته[٢] .

وروي في ذلك أيضاً عن الإمام الحسن بن علي﴿ عليهما السلام ﴾كما تقدم في بحث ولادته﴿عليه السلام﴾ .

وروي عن الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ أنه قال : لصاحب هذا الأمر (يعني المهدي) غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم : ذهب ، ولا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره [٣] .

وعن الإمام السجاد ﴿عليه السلام﴾ قال : في القائم سنة من نوح وهو طول العمر[٤] .

---

(١) الكافي للكليني : ١ / ٢٧٣ .

(٢) ينابيع المودة للحافظ الحنفي : ٤٢٧ .

(٣) الأشاعة في أشراط الساعة : ١٣ .

(٤) كمال الدين : ٣٢١ .

وقال ﴿عليه السلام﴾: أن للقائم منا غيبتين أحداهما أطول من الأخرى[١] .

وعن الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾ : لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأخرى[٢] .

وعن الإمام الصادق﴿عليه السلام﴾ : إن بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها [٣] ، إن للقائم منا غيبة يطول امدها ...لأن الله ﴿ عزوجل ﴾ أبى إلا يجري فيه سنن الأمبياء﴿ عليهم السلام ﴾ وأنه لا بد يا سدير من أستيفاء مدد غيباتهم [٤] .

وعن الإمام الكاظم ﴿عليه السلام﴾ : أنا القائم بالحق ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدي له غيبة يطول امدها...[٥].

---

(١) كمال الدين : ٣٢٣ .

(٢) غيبة النعماني : ١٧٢ .

(٣) غيبة الشيخ الطوسي : ١٠٢ .

(٤) كما الدين : ٤٨٠ .

(٥) كفاية الأثر : ٢٦٥ .

وعن الإمام الرضا﴿عليه السلام﴾قال ضمن حديث عن القائم : ذاك الرابع من ولدي يغيبه الله في ستره ما شاء ثم يظهره فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاًكما ملئت جوراً وظلماً [١] .

وعن الإمام الجواد﴿عليه السلام﴾ قال ضمن حديث : ما منّا إلا قائم بأمر الله وهاد إلى دين الله ولكن القائم الذي يطهر الله عز وجل به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي يخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه...[٢]

وعن الإمام الهادي﴿عليه السلام﴾ قال : إنكم لا ترون شخصه... [٣]

وقال : إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج [٤] .

وعن الإمام العسكري﴿عليه السلام﴾ قال : والله إن صاحب هذا الإمر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم ويرونه ولا يعرفونه...[٥] ، وقال :إبني محمد هو الإمام والحجة بعدي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية ، اما إنه له غيبة يحار فيها

---

(١) كمال الدين : ٣٧٦ وعنه في إعلام الورى : ٢٤١/٢ وكشف الغمة : ٣١٤/٣ .

(٢) كفاية الأثر : ٢٧٧ ، بحار الأنوار : ٥٢ / ٢٨٣ ، أحتجاج الطبرسي : ٢ / ٤٤٩ .

(٣) الكافي : ٢٦٨/١ .

(٤) كمال الدين : ٣٨٠ .

(٥) كما الدين : ٤٤٠ .

الجاهلون...[١] ، وقال : إبني هذا أنه سمي رسول الله﴿ ﷺ ﴾ وكنيه ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً مثله في هذه الأمة مثل الخضر ومثل ذي القرنين والله ليغيبن غيبة...[٢] .

والإحاديث الشريفة بهذه المعاني كثيرة جداً متواترة من طرق أهل البيت﴿ عليهم السلام ﴾ ونقلها العديد من حفاظ أهل السنة من مختلف مذاهبهم كما رأينا والكثير منها مروي بأسانيد صحيحة ، وهي من اوضح الأدلة على صحة غيبة الإمام المهدي وكونها بامر الله﴿ عز وجل ﴾ حيث ثبت صدورها بل وتدوينها قبل وقوع الغيبة بزمن طويل فجاءت الغيبة مصدقة لها مثبتة لصحة مضامينها وصدورها من ينابيع الوحي من علام الغيوب تبارك وتعالى حتى لو كانت مرسلة أو كان ثمة نقاش في بعض أسانيدها .

قال الشيخ الصدوق – رضوان الله عليه- : ان الإئمة﴿ عليهم السلام ﴾ قد أخبروا بغيبته ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم

---

(١) كفاية الإثر : ٢٩٢ وعن كمال الدين في إعلام الورى : ٢٥٣/٢ وسائل الشيعة : ١٦ / ٢٤٦ ب ٣٣ح ٢٣ .

(٢) كمال الدين : ٣٨٤ ، والخرائج للقطب الراوندي : ٣ / ١١٧٤ وعن كمال الدين في إعلام الورى : ٢٤٩/٢ .

واستحفظ في الصحف ودوّنَ في الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتي سنة أو أقل أو أكثر ورواياته ودونه في مصنفاته وهي الكتب التي تعرف بالأصول مدونة مستحفظة عند شيعة آل محمد من قبل الغيبة .

فلا يخلو حال هؤلاء الأتباع المؤلفين المؤلفين للكتب أن يكونوا قد علموا بما وقع الآن من الغيبة فألفوا ذلك في كتبهم ودونوه في مصنافاتهم من قبل كونها وهذا محال عند أهل البيت والتحصيل ، أو أن يكونوا أسسوا في كتبهم الكذب فأتفق لهم الأمر كما ذكروا وتحقق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم وأختلاف آرائهم وتباين أقطارهم ومحالهم وهذا أيضاً محال كسبيل الوجه الأول فلم يبق في ذلك إلا انهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عن رسول الله﴿ ﷺ ﴾من ذكر الغيبة وصفة كونها في مقام بعد مقام إلى آخر المقامات ما دونوه في كتبهم وألفوه في اصولهم . وبذلك وشبهه فلج الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً[1] .

---

(١) كمال الدين : ١٩ من مقدمة المؤلف .

ومما يزيد هذا الدليل الوجداني وضوحاً أن هذه الاحاديث الشريفة أخبرت عن تفصيلات دقيقة في شكل هذه الغيبة وهوية الإمام الغائب وأنه الثاني عشر من الإئمة والتاسع من ذرية الحسين﴿ عليه السلام ﴾ وغير ذلك من التفصيلات التي لم تنطبق تأريخياً إلا على غيبة الإمام المهدي﴿عليه السلام﴾ وهذا من الدلائل الاعجازية الواضحة على صحة إمامته وغيبته – عجل الله فرجه - .

ويقول الشيخ المفيد أيضاً : فقد كانت الأخبار عمن تقدم من أئمة آل محمد﴿ عليهم السلام ﴾ متناصرة بأنه لا بد للقائم المنتظر من غيبتين إحداهما أطول من الأخرى يعرف خبره الخاص في القصرى ولا يعرف العام له مستقراً في الطولى إلا من تولى خدمته من ثقاة أوليائه ...والإخبار بذلك موجودة في مصنفات الشيعة الإمامية قبل مولد أبي محمد الإمام الحسن العسكري وأبيه وجده﴿ عليهم السلام ﴾ وظهر حقها عند مضي الوكلاء والسفراء الذين سميناهم (رحمهم الله) وبان صدق رواتها بالغيبة

الطولى وكان ذلك من الآيات الباهرات في صحة ما ذهبت إليه الإمامية ودانت به في معناه ...)[١] .

وهذا الاستدلال يصدق في إثبات صحة كلا الغيبتين الصغرى والكبرى لأن الأحاديث الشريفة تحدثت عنهما وعن تفصيلاتهما .

فلسفة مرحليّة الغيبة

أشرنا إلى أن الغيبة عموماً إجراء تمهيدي كان لا بد منه ليتمكن الإمام المهدي – عجل الله فرجه – من الظهور وإنجازه لمهمته الإصلاحية العالمية الكبرى .

وقد أقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هذه الغيبة على مرحلتين والعلة واضحة إذ إن وقوع الغيبة الكاملة بصورة مفاجئة سوف يفقدها مجموعة من العوامل اللازمة لتأهيل المجتمع الإسلامي والبشري لظهوره ﴿عليه السلام﴾ وإقامة الدولة الإسلامية العالمية .

إذ المحور العام لعملية التأهيل هذا هو التمحيص الإعدادي كما تشير لذلك الأحاديث الشريفة على ما سيأتي تفصيله

---

(١) عدة رسائل للشيخ المفيد : ٣٦٢ ، الفصل الخامس من الفصول العشرة في الغيبة .

خلال الحديث عن الغيبة الكبرى ، ومثل هذا التمحيص يحتاج إلى جملة عوامل وقناعات عقائدية متينة تمثل قاعدة الأستناد للإنسان المسلم للنجاح في عملية التمحيص وتراكم الخبرات واللياقات النفسية والمعرفية عبر أجيال المجتمع الإسلامي أستعداداً للظهور .

إن النبي الأكرم﴿ ﷺ ﴾ والأئمة من أهل بيته﴿ عليهم السلام ﴾ قد مهدوا لهذه الغيبة بخطوات عديدة ازدادت عمقاً وشمولية كلما اقترب أوآنها كالإخبار عن حتمية وقوعها وخفاء ولادة صاحبها وتوسيع العمل بنظام الوكلاء وتوفير ما تحتاجه الأمة من المعارف الإسلامية والقواعد الشرعية التي يتم على أساسها أستنباط الأحكام الشرعية وغير ذلك إلا أن التمهيد للغيبة الكاملة بقي بحاجة إلى خطوات تكميلية ونماذج تطبيقية تؤكدها وتبينها وهذا ما قام به الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ في الغيبة الصغرى وهو الأطار العام لمسيرته وتحركه في هذه الفترة التي جاءت بمثابة مرحلة أنتقال بين حالة الظهور الكامل للأئمة السابقين﴿ عليهم السلام ﴾ وبين الغيبة الكاملة للمهدي الموعود فهي في الواقع خطوة تمهيدية أخيرة للغيبة الكبرى .

والحقيقة المتقدمة نجدها متجلية بوضوح في سيرته ﴿عليه السلام﴾ في الغيبة الصغرى ومن خلال دراسة أهداف تحركاته فيها ومقارنة هذه الأهداف بالخصوصيات المميزة لفترة الغيبة الكبرى . لذلك ندخل إلى الحديث عن سيرته ﴿عليه السلام﴾ من باب دراسة أهدافها بالتحديد لكي يتضح الترابط بينها وبين سيرته في الغيبة الكبرى .

تعقيب السلطة العباسية لخبر الإمام

يظهر من روايات مرحلة الغيبة الصغرى أن السلطة العباسية أخذت تتعقب خبر الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ ، وكأنها كانت على اطمئنان بوجوده استناداً إلى ما تواتر نقله عن النبي الأكرم ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من أخبار الائمة الإثني عشر من عترته وكانت تعلم أن الحسن العسكري ﴿عليه السلام﴾ هو الحادي عشر منهم فلا بد من ولادة الثاني عشر أيضاً وهو خاتمهم الموعود بإنهاء الظلم والجور على يديه حسبما ورد في البشارات النبوية المتواترة .

وقد لاحظنا في رواية الكليني ـ ضمن حديثنا عن رعاية الإمام لوكلائه ـ أن هدف السلطة من التجسس على الوكلاء هو الوصول إلى الإمام ﴿عليه السلام﴾ ولذلك كانت التأكيدات المشددة

من قبل الأئمة السابقين ﴿ﷺ﴾ ومن الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾نفسه تركز على النهي عن ذكر أسم الإمام في الغيبة الصغرى ، لأنه إذا عرف الأسم أشتد الطلب[1] . ويستفاد من رواية نقلها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة : ان السلطات العباسية حصلت بالفعل على معلومات عن وجود الإمام ﴿عليه السلام﴾ وسعت لأغتياله فتحداها الإمام ﴿عليه السلام﴾ ليثبت انه محفوظ بالرعاية الإلهية .

تقول الرواية : (وحدث عن رشيق صاحب المادراي قال : بعث الينا المعتضد ونحن ثلاثة نفر فأمرنا أن يركب كل واحد منا فرساً ونجنب آخر ونخرج مخفين لا يكون معنا قليل ولا كثير إلا على السرج مصلى وقال لنا : الحقوبسامرة ، ووصف لنا محلة وداراً وقال : إذا أتيتموها تجدون على الباب خادماً أسود فاكسبوا الدار ومن رأيتم فيها فأتوني براسه . فوافينا سامرة فوجدنا الامر كما وصفه وفي الدهليز خادم أسود وفي يده تكة ينسجها فسالناه عن الدار ومن فيها فقال : صاحبها فو الله ما التفت الينا وأقل أكتراثه بنا فكسبنا الدار كما أمرنا فوجدنا

---

(١) كمال الدين : ٤٤١ .

سرية ومقابل الدار سترما نظرت قط إلى انبل منه كأن الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت .

ولم يكن في الدار أحد فرفعنا الستر فإذا بيت كبير كأن بحراً فيه ماء وفي أقصى البيت حصير قد علمنا أنه على الماء وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة قائم يصلي . فلم يلتفت ألينا ولا إلى شيء من أسبابنا . فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطى البيت فغرق في الماء وما زال يضطرب حتى مددت يدي إليه فخصلته وأخرجته وغشي عليه وبقي ساعة وعاد صاحبي الثاني إلى فعل ذلك الفعل فناله مثل ذلك ، وبقيت مبهوتاً فقلت لصاحب البيت : المعذرة إلى الله وأليك فو الله ما علمت كيف الخبر ولا إلى من اجيء وأنا تائب إلى الله ، فما التفت إلى شيء مما قلنا وما انفتل عما كان فيه ، فهالنا ذلك وأنصرفنا عنه

وقد كان المعتضد ينتظرنا ، وقد تقدم إلى الحجّاب إذا وافيناه أن ندخل عليه في أي وقت كان فوافيناه في بعض الليل فأدخلنا عليه فسالنا عن الخبر فحكينا له ما راينا ، فقال : ويحكم ! لقيكم أحد قبلي؟ وجرى منكم إلى أحد سبب أو قول ؟ قلنا : لا ، فقال : انا نفيّ من جدي ــ وحلف بأشد أيمان له ــ أنه

رجل إن بلغه هذا الخبر يضربن أعناقنا . فما جسرنا أن نحدث به إلا بعد موته[١].

---

(١) غيبة الطوسي : ١٦٤ .

الباب السادس

إنجازات الإمام المهدي(عليه السلام) في الغيبة الصغرى

إثبات وجوده وإمامته

وهو الهدف الذي توخاه من حضوره للصلاة على ابيه - سلام الله عليهما - كما تحدثنا عن ذلك سابقاً وهو من أهم خطواته وتحركاته في غيبته الصغرى وتبرز أهمية هذا الهدف من كونه يوفر القاعدة الأساس التي يستند إليها تحرّك المهدي في عصر الغيبة إذ أن من الواضح من النصوص الشرعية أن النجاة من الضلالة وميتة الجاهلية تكمن في معرفة إمام العصر والتمسك بطاعته وهذا الإمام مستور غير ظاهر في عصر الغيبة الكبرى لذا فإن الإيمان به - وهو مقدمة طاعته والتمسك بولايته - فرع الاطمئنان والثقة بوجوده إلى درجة تمكن المؤمن من مواجهة التشكيكات الناتجة من عدم مشاهدته بصورة حسية ظاهرة . وهذا الاطمئنان هو الذي أكملت أسبابه تحركات الإمام المهدي - عجل الله فرجه - في فترة الغيبة الصغرى بما اتم من الحجة في التقائه بالثقات وإظهار الكرامات التي لا يمكن تصور صدورها عن غير الإمام وغير ذلك مما سجلته الروايات

المتحدثة عن هذه الفترة والتي دونّها العلماء الإثبات في كتبهم[1] .

إكمال ما تحتاجه الأمة من معارف الإسلام

طوال ما يزيد على القرنين قام أئمة أهل البيت النبوي﴿ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴾ بتبليغ معظم ما تحتاجه الأمة خلال عضر الغيبة الكبرى من معارف القرآن الكريم وسنّة جدهم سيد المرسلين﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴾ والتي تمثل بمجموعها الإسلام النقي والدين القيي الذي أمر الله تبارك وتعالى بأتباعه والعمل على وفقه ، والعروة الوثقى المعبّرة عن التمسك بالثقلين اللذين تكون بهما النجاة من الضلالة وميتة الجاهلية ، وتضمن هذا التراث تحديد وتوضيح قواعد وأصول أستنباط الأحكام الشرعية والمعارف الإسلامية من هذا التراث الروائي الثر لسنة الرسول ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴾ وأئمة عترته﴿ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴾ الذين أمروا أصحابهم بحفظه وتدوينه ليكون مصدراً - إلى جانب القرآن الكريم - لجميع المعارف والأحكام الإسلامية التي تحتاجها الأمة الإسلامية إلى ظهور الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ وكانت ثمرة هذا الامر تلك الروايات

---

(١) راجع روايات الألتقاء به في عصر الغيبة الصغرى الموجودة في كتب الغيبة والتي جمع الكثير منها السيد البحراني في كتاب تبصرة الولي .

الشريفة من قبل أصحاب الأئمة حيث عرفت بالأصول الأربعمائة التي تم تدوينها في عصر الأئمة السابقين للإمام المهدي﴿ عليه السلام ﴾ وحفظت فيها جل نصوص السنة النبوية الشريفة [١].

وخلال الغيبة الصغرى أكمل الإمام الثاني عشر المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ ما تبقى مما تحتاجه الأمة خلال الغيبة الكبرى من تلك المعارف وما يعين المؤمنين على التحرك والاستقامة على الصراط المستقيم ويحفظ للأمة استمرار مسيرتها التكاملية وهذا هو الهدف العام الثاني لسيرته ﴿ عليه السلام ﴾ في فترة الغيبة الكبرى كما يتجلى في الكثير من الرسائل الصادرة عنه فيها .

تثبيت نظام النيابة

قام الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ في هذه الفترة بتعيين عددٍ من الثقات المخلصين في إيمانهم من شيعته وكلاء عنه يتحركون بإذنه وبأمره ويشكلون جهازاً للارتباط بالمؤمنين وقد مهد له في ذلك جده الإمام الهادي ومن قبله الإمام الجواد﴿ عليه السلام ﴾ ثم

---

(١) راجع في هذا النص الباب كتاب (منع تدوين الحديث – أسباب ونتائج) للسند علي الشهرستاني : ٣٩٧- ٤٦٥ الفصل الخاص بتأريخ تدوين السنة النبوية عند مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) .

تابعه الإمام العسكري ﴿ عليه السلام ﴾ الذي رسّخ نظام الوكلاء تمهيداً لغيبة ولده . فكان يُعلن توثيق بعض وجوه أصحابه وأنه وكيل عنه ، فمثلاً قال ﴿ عليه السلام ﴾ بشأن عثمان بن سعيد العمري وكيله الذي أصبح فيما بعد وكيلاً لولده الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ وكان وكيلاً للإمام الهادي﴿ عليه السلام ﴾ أيضاً : (هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات ، فما قاله لكم فعنّي يقوله وما ادى إليكم فعنّي يؤديه)[١] .

وقد ذكر الشيخ الصدوق أسماء إثني عشر شخصاً من وكلاء ونواب الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ في الغيبة الصغرى وأضاف اليهم السيد محمد الصدر أسماء ستةٍ آخرين أستناداً إلى ما ورد في المصادر التأريخية وكتب الرجال[٢]، وكان الإمام يتولى تنصيبهم مباشرة ويصدر بيانات (توقيعات) في ذلك وفي نفي الوكالة عمّن يدّعيها ولم يكن منهم [٣].

وثمة تغيير مهم حدث في نظام الوكلاء في هذه الفترة عما كان عليه في زمن الإمام العسكري﴿ عليه السلام ﴾ وهو أستحداث الإمام

---

(١) غيبة الطوسي : ٢١٥ .

(٢) تأريخ الغيبة الصغرى : ٦٠٩ ـ ٦٢٨ .

(٣) غيبة الطوسي : ١٧٢ ـ ٢٥٧ ز

المهدي﴿ عليه السلام ﴾ منصب الوكيل الخاص أو السفير العام بينه وبين المؤمنين وهو منصب لم تكن الحاجة إليه قائمة في السابق حيث كان بأمكان الوكلاء أو غيرهم الاتصال بالإمام بصورةٍ أو بأخرى وكان الإمام ظاهراً فلا حاجة لوكيل أو نائب خاص ينوب عنه أما في عهد الغيبة الصغرى فقد اقتضى عدم ظهور الإمام أيجاد هذا المنصب ليكون محواً لرجوع المؤمنين خاصة وأنهم كانوا قد أعتادوا في السابق أن يكون الإمام واحداً في كل عصر .

وكان تعيين الوكيل الخاص أو السفير من قبل الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ مباشرة وعادة ما يكون عبر توقيع يصدره ويبلغه مباشرة كما هو الحال في الوكيل الأول أو عبر الوكيل السابق فيما بعد .

إن الزعماء الشيعة ، والأصحاب الأربعة الذين تعاقبوا على هذا المنصب هم : عثمان بن سعيد العمري الذي كان كما عرفنا وكيلاً للامامين الهادي والعسكري﴿ عليهما السلام ﴾ ، ثم خلفه إبنه عمرو بن عثمان ثم الحسين بن روح وخاتمهم كان علي بن محمد السمري – رضي الله عنهم أجمعين – .

وكان توجيه الإمام لعمل هؤلاء السفراء مباشراً ومستمراً في كل ما كانوا ينوبون عنه من مهام الإمامة حتى فيما يرتبط بأجوبتهم على الأسئلة العقائدية للمؤمنين التي قد يكون من الممكن أن يجيبوا عنها بما يعرفون إلا أنهم ما كانوا يفعلون شيئاً من ذلك إلا بتعليم مباشر منه(عليه السلام) الامر الذي يضفي صبغة الحجة الشرعية على ما صدر عنهم ، وهذا ما تدل عليه عدة روايات منها مثلاً ما رواه الشيخ الطوسي في الغيبة ضمن حديث طويل بشأن استشهاد الإمام الحسين ﴿ عليه السلام ﴾ إذ ينقل عن راوي الحديث محمد بن أبراهيم الذي كان قد حضر المجلس الذي أجاب فيه الحسين بن روح على السؤال : قال محمد بن أبراهيم أبن اسحاق﴿ رضي الله عنه ﴾ فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (قدس سره) من الغد وأنا أقول في نفسي أتراه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه ؟ فابتدأني فقال : يا محمد بن إبراهيم لئن أخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح من مكان سحيق أحب الي من ان اقول في دين الله برأيي ومن عند نفسي بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه عليه [1].

---

(١) غيبة الطوسي : ١٩٨- ١٩٩ .

وواضحٌ أن الاوضاع السياسية القائمة التي أوجبت غيبة الإمام المهدي﴿ عليه السلام ﴾ لم تكن تسمح بأن يكون عمل الوكلاء علنياً لذلك كان الشرط الأول في الوكلاء وخاصة السفراء أن يكونوا على مرتبة عالية من الالتزام بالكتمان وعدم الكشف عن مكان بل عن وجود الإمام ولذلك كان اختيار الحسين بن روح مثلاً للسفارة رغم وجود من هم أعلم منه وأكثر وجاهة بين الأصحاب[1] .

لقد قام الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ بتثبيت نظام الوكالة والنيابة الخاصة في الغيبة الصغرى كمقدمة لأرجاع المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى إلى النائب العام الذي حددت النصوص الشرعية الصفات العامة له وأمر الإمام بالرجوع إليه في عصر الغيبة الكبرى ومهّد له في الغيبة بتعيين أشخاصٍ تتوفر فيهم هذه الصفات لتتعرف الأمة على مصاديق من له الاهلية للنيابة العامة عن الإمام وتستعين بها لمعرفة من تتوفر فيه نظائرها في الغيبة الكبرى وبعبارة أرخى كانت تجربة السفراء الأربعة نموذجاً معيناً من قبل الإمام المعصوم ﴿ عليه السلام ﴾ يبين للأمة شرعية الرجوع إلى نائب الإمام في غيبته من جهة ومن جهة ثانية تقدم

---

(١) غيبة الطوسي : ٢٤٠ .

لها نموذجاً تقوم به من يدهي النيابة عن الإمام في الغيبة الكبرى أستناداً إلى الصفات التي ذكرتها النصوص الشرعية كشروط للنيابة عن الإمام .

حفظ الكيان الايماني

ولكن مهمة إثبات وجود الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ والتعريف بوكلائه كانت تؤدي أحياناً إلى تسرب بعض الأخبار للسلطة فيتدخل الإمام لحفظ نظام الوكلاء حتى ينجز دوره المطلوب في الغيبة الصغرى . فمثلاً يروي ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن الحسين بن الحسن العلوي قال : (كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه فقال له : هوذا يجبي الاموال وله وكلاء وسمّوا جميع الوكلاء في النواحي وأنهى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير فهم الوزير بالقبض عليهم فقال السلطان : أطلبوا أين هذا الرجل فأن هذا أمر غليظ فقال عبيد الله أبن سليمان : نقبض على الوكلاء ، فقال السلطان : لا ، ولكن دسوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال ، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه قال : فخرج بان يتقدم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر

فاندس لمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به فقال : معي مال أريد أن أوصله ، فقال له محمد : غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً ، فلم يزل يتلطفه ومحمد يتجاهل عليه وبثوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدم اليهم)[1] .

يستفاد من الروايات الواردة بشأن سيرة الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ في غيبته الصغرى أن جهوده لدفع أذى أرهاب السلطات العباسية لم يقتصر على والوكلاء كما رأينا في الفقرة السابقة بل شملت أيضاً حفظ سائر المؤمنين من البطش العباشي وهذه سنّة ثابتة في سيرة آبائه﴿ عليهم السلام ﴾ جميعاً فقد جدوا في رعاية المؤمنين ودفع الأذى عنهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

ومن نماذج رعايته للمؤمنين في هذا الجانب ما رواه الكليني في الكافي : عن علي بن محمد قال : (خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحيرة ، فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقطائي فقال له : الق بني الفرات والبرسيين وقل لهم : لا يزوروا مقابر قريش فقد امر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه)[2] .

---

(١) الكافي : ١ / ٥٢٥ .

(٢) الكافي : ١ / ٥٢٥ .

كما شملت هذه الرعاية قضاء حوائج المؤمنين الشخصية والأجتماعية والإصلاح بينهم والدعاء لهم وتزويدهم بالوصايا التربوية والأجابة على أسئلتهم الدينية وتعليمهم الأدعية وغير ذلك مما سجلته المصادر التأريخية المختصة بهذه الفترة[1].

وثمة أهداف أخرى سعى الإمام لتحقيقها في فترة الغيبة الصغرى مثل كشف التيارات المنحرفة داخل الكيان الشيعي منها : خط عمه جعفر ومنها تيار الوكلاء المنحرفين ، وقد أثبت التأريخ نجاح الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ في القضاء عليها إذ أنقرض أتباعها سريعاً قبل أنقضاء فترة الغيبة الصغرى .

وفي الفقرة اللاحقة نلتقي بنموذجين من تحرك الإمام في هذه الفترة لتحقيق الأهداف المذكورة وهما : إصدار التوقيعات والإلتقاء بالمؤمنين .

---

(١) راجع تأريخ الغيبة الصغرى : ٣٦٧ ، و٥٩٧ وما بعدهما .

إصدار الرسائل (التوقيعات)

حفلت المصادر المؤرخة لسيرة الإمام المهدي – عجل الله فرجه – بنصوص العديد من الرسائل والبيانات التي كان يصدرها ﴿ عليه السلام ﴾ في فترة الغيبة الصغرى والتي عرفت بالتوقيعات . وهي تشكل أحد الأدلة الوجدانية المحسوسة الدالة على وجوده وقيامه بمهام الإمامة في غيبته [١].

وتمثل التوقيعات إحدى وسائل أتصال الإمام بالمؤمنين وإيصال توجيهاته إليهم بحكم أوضاع عصر الغيبة التي حددت الاتصالات المباشرة ومما ساعد على إتباع هذه الوسيلة وقوّة تأثيرها في المؤمنين تمهيد آبائه﴿ عليهم السلام ﴾ لذلك باتباع هذا الاسلوب في وقتٍ مبكر خاصةً في عصر الإمام الكاظم ﴿ عليه السلام ﴾ الذي قضى شطراً كبيراً من مدة إمامته التي ناهزت خمسة وثلاثين عاماً في سجون العباسيين أو تحت مراقبتهم الشديدة وتعرضهم للأذى الشديد لأصحابه فكان يتصل بالمؤمنين ويجيب على اسئلتهم الدينية ويتوددهم ويوصل إليهم توجيهاته عبر الرسائل التي لم تنقطع حتى عندما كان في

---

(١) راجع نماذجها في المجلد الثاني من كتاب معادن الحكمة . لمحمد بن الفيض الكاشاني وكتاب الصحيفة المهدية لوالده وغيرها من كتب الغيبة. ...

السجن عبر وسائل مبتكرة وأشخاص فشلت السلطات العباسية في التعرف على ولائهم للإمام الحق ﴿ عليه السلام ﴾.

وقد أشتد العمل بهذا الأسلوب في عهد الإمامين الهادي والعسكري ﴿ عليهما السلام ﴾ . وذلك بسبب أزدياد المراقبة التي فرضتها السلطات العباسية عليهما إذ جعجعت بهما إلى (سرّ من رأى) عاصمة الامبراطورية العباسية يومذاك والتي كانت أشبه ما تكون بالقلعة العسكرية ، ولذلك كانت تسمى أيضاً (العسكر) وجعلتهما أشبه ما يكونان بالسجينين في هذه القلعة وأضافة لذلك فإن تأكيدهما على أستخدام هذا الأسلوب جاء كتمهيد مباشر لغيبة ولدهما المهدي - عجل الله فرجه - من خلال تعويد المؤمنين على هذا الأسلوب دفعاً للشبهات وإتماماً للحجة ولكي يتقبلوا العمل بما يرد في الرسائل بتسليم إيماني راسخ خاصة وأن الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ كان يستخدم الخط نفسه الذي كان يستخدمه أبوه في رسائله وذلك تثبيتاً للأيمان في قلوب المؤمنين به وقطعاً للطريق على المستغلين [١].

---

(١) الغيبة للطوسي : ٢٢٠ .

وقد جاء قسم من هذه التوقيعات جواباً على أسئلة من المؤمنين عبر السفراء الأربعة ، والقسم الأخر كان بمبادرة من الإمام نفسه فيما يرتبط ببعض القضايا المهمة كحمايته للمؤمنين والوكلاء كما رأينا أو فيما يرتبط بالنص على تعيين السفراء وغير ذلك .

كما اشتملت على ما يحتاجه المؤمنون من معارف الإسلام الحق وأحكامه في مختلف شؤونهم الحياتية عقائدية وفقهية وتربوية وأخلاقية وأدعية وغيرذلك ، وما تحتاجه الأمة في عصر الغيبة كالإرجاع إلى الفقهاء العدول ، والتأكيد على استمرار رعايته في غيبته وتحديد علائم ظهوره وغير ذلك . كما أن في بعضها نماذج تطبيقية لأستنباط الحكم الشرعي من الأحاديث المروية تعويداً للأمة على العمل الإجتهادي في عصر الغيبة الكبرى[١] ، وبعبارة جامعة يمكن القول إن هذه التوقيعات كانت من جهة وسيلة لقيادة المؤمنين وحفظ كيانهم ومن جهة أخرى وسيلة لإكمال ما يحتاجونه في عصر الغيبة الكبرى من حقائق الإسلام وأحكامه .

---

(١) راجع مثلاً توقيعاته (عليه السلام) لمحمد بن عبد الله الحميري المروية في كتاب الأحتجاج : ٢ / ٤٨٣ وما بعدها .

روت المصادر الروائية المعتبرة الكثير من الروايات التي تتحدث عن التقاء المؤمنين بالإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ في غيبته الصغرى ، فلا يكاد يخلو الكتاب من الكتب المصنفة في تواريخ الأئمة أو الإمام المهدي – عجل الله فرحه – خاصة من ذكر مجموعة من هذه الروايات . وقد روى الشيخ الصدوق عن محمد بن أبي عبد الله أحصائية لعدد لقاءاته من مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، فذكر ثمانية وستين شخصاً[1] وأوصل الميرزا النوري العدد إلى (٣٠٤) أشخاص أستناداً إلى الروايات الواردة في المصادر المعبترة [2] وفيها المروية بأسانيد صحيحة ومعظمهم التقوه في الغيبة الصغرى وبعضهم في حياة أبيه ﴿ عليهما السلام ﴾ وهذه الروايات تخص الذين رأوه وعرفوه وليس الذين لم يعرفوه .

ويستفاد من هذه الروايات أنه ﴿ عليه السلام ﴾ كان يبادر إلى الألتقاء بالمؤمنين في الكثير من الحالات ويظهر على يديه المعجزات والدلائل بحيث يجعلهم يؤمنون بانه هو الإمام ويثبت لهم

---

(١) كمال الدين :٢٤٢ .

(٢) النجم الثاقب : ٢ / ٤٤- ٤٨ من الترجمة العربية .

وجوده﴿ عليه السلام ﴾ وإمامته وهذا ما يصرح به لعيسى الجوهري الذي التقاه في سنة (٢٦٨هـ) في صابر قرب المدينة المنورة حيث قال له في نهاية اللقاء وبعد ما أراه من الدلائل ما جعله على يقين من هويته ﴿ عليه السلام ﴾ :

(يا عيسى ما كان لك أن تراني لولا المكذبون القائلون بأين هو ومتى كان وأين ولد ومن رآه وما الذي خرج أليكم وبأي شيء نبأكم وأي معجز أتاكم أما والله لقد دفعوا امير المؤمنين مع ما رووه وقدموا عليه وكادوه وقتلوه وكذلك آبائي عليهم السلام ولم يصدقوهم ونسبوهم إلى السحر وخدمة الجن إلى ما تبين .

يا عيسى فخبر أولياءنا ما رأيت وأياك أن تخبر عدونا فتسلبه فقلت : يا مولاي أدع لي بالثبات فقال : لو لم يثبتك الله ما رأيتني وأمض بنجحك راشداً فخرجت أكثر حمداً لله وشكراً)[١].

ويتضح من روايات التشرف بلقياه في الغيبة الصغرى أنه كان يقوم خلالها بقضاء حوائج المؤمنين إقتفاءً لسنة آبائه

---

(١) تبصرة الولي : ١٩٧ .

الطاهرين ﴿ عليهم السلام ﴾ كما كان يقوم خلالها بتوضيح بعض القضايا العقائدية المرتبطة بغيبته وتوثيق الارتباط به ﴿ عليه السلام ﴾ فيها والتي تشتمل أيضاً على توضيح ما سيحققه الله على يديه عند ظهوره .

كما يستفاد منها أن الكثير من المؤمنين كان يجتهدون في طلب لقياه ويسعون إليه خاصة في موسم الحج لما روي أنه يحضره كل سنة [١] . وقد دلت بعض الروايات على وقوع الألتقاء به بالفعل في الموسم . كما كان البعض يلجأون إلى السفراء الأربعة للفوز بذلك ، فكان يسمح للمخلصين منهم بذلك فمثلاً روى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة فقال :

روى محمد بن يعقوب - رفعه عن الزُهري - قال : طلبت هذا الأمر طلباً شاقاً حتى ذهب لي فيه مال صالح فوقعت إلى العمري وخدمته ولزمته وسألته بعد ذلك عن صاحب الزمان فقال لي : ليس إلى ذلك وصول فخضعت فقال لي : بكر بالغداة ، فوافيت وأستقبلني ومعه شاب من أحسن الناس

---

(١) الكافي : ١ / ٣٣٧-٣٣٩ ، الغيبة للنعماني : ١٧٥ .

وجهاً وأطيبهم رائحة بهيئة التّجار . وفي كمه شيء كهيئة التجّار .

فلما نظرت إليه دنوت من العمريّ فأومأ إلي فعدلت إليه وسألته فأجابني عن كل ما أردت ثم مرّ ليدخل الدار وكانت من الدور التي لا نكترث لها فقال العمريُّ : إذا أردت أن تسأل سل فإنك لا تراه بعد ذا ، فذهبت لأسأل فلم يسمع ودل الدّار ، وما كلمني بأكثر من أن قال : ملعون ملعون من أخّر العشاء إلى أن تشتبك النجوم ، ملعون ملعون من أخر الغداة إلى ان تنقضي النجوم ودخل الدار)[1] .

إعلان أنتهاء الغيبة الصغرى

قبل ستة أيام من وفاة السفير الرابع أخرج للمؤمنين توقيعاً من الإمام المهدي - عجل الله فرجه - يعلن فيه أنتهاء الغيبة الصغرى وعهد السفراء المعينين من قبل الإمام مباشرة إيذاناً ببدء الغيبة الكبرى ونص التوقيع هو :

(١) الغيبة للطوسي : ١٦٤ ، الاحتجاج للطبرسي : ٢ / ٢٩٨ ، وسائل الشيعة : ٣ / ١٤٧

(بسم الله الرحمن الرحيم ، يا علي بن محمد السمري ، أعظم الله أجر أخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فأجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك . فقد وقعت الغيبة التامة . فلا ظهور إلا بأذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الامد وقوة القلب وإمتلاء الأرض جوراً . وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمن أدعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) [١].

وكان هذا أخر توقيع صدر عن الإمام في الغيبة الصغرى وهو بمثابة إعلان عن تحقيق تحركه فيها للأهداف المرجوة منها كمرحلة تمهيدية للغيبة الكبرى ، فقد ظهر للناس خلالها منه ﴿ عليه السلام ﴾ مباشرة أو عبر سفرائه من البينات ما يثبت وجوده وإمامته وصحة غيبته الكبرى . وقد تم تدوينها في هذه الفترة من قبل عدد من وجوه العلماء [٢] ، وأتضح للأمة أنتفاع

(١) كمال الدين : ٥١٦ ، غيبة الطوسي : ٢٤٢ .

(٢) يلاحظ هنا مثلاً أن كتاب الكافي للشيخ الكليني وهو من أهم مصادر تراث أهل البيت (عليهم السلام) في المجالات العقائدية والفقهية تم تدوينه خلال فترة الغيبة الصغرى فقد توفي الشيخ الكليني سنة ٣٢٩هـ وهي نفس سنة وفاة الشيخ السمري آخر السفراء أي في نفس سنة أنتهاء الغيبة الصغرى .

الناس من وجوده خلالها ورعايته لمسيرتهم من خلف أستارها وأمر فيه بالرجوع إلى الفقهاء في الحوادث الواقعة وصرح بأن وجوده أمان لأهل الأرض[١] ، كما ان الجيل الذي كان قد عاصر زمان الأئمة كان قد أنتهى وظهرت أجيال أعتادت عصر الغيبة وفكرة القيادة النائبة ، لذلك فقد تأهلت الأمة للدخول في عصر الغيبة الكبرى [٢].

---

(١) كما صرح بذلك (عليه السلام) في توقيعه الذي اجاب فيه على أسئلة إسحاق ين يعقوب ، راجع كمال الدين : ٤٨٣ ، غيبة الطوسي .

(٢) تأريخ الغيبة الصغرى : ٦٣٠ ــ ٦٥٤ وفيه توضيحات مهمة بشأن نص التوقيع المهدوي الشريف للسمري .

الباب السابع

الغيبة الكبرى للإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ وأسبابها

الإطار العام لتحرك الإمام ﴿ عليه السلام ﴾

إن الهدف العام لتحرك الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ في فترة الغيبة الكبرى هو رعاية مسيرة الأمة الإسلامية وتأهيلها لظهوره والقيام بالمهمة الكبرى المتمثلة بإنهاء الظلم والجور وإقامة الدولة الإلهية العادلة في كل أرجاء الأرض وتأسيس المجتمع التوحيدي الخالص .

وبعبارة أخرى فإن الأطار العالم لسيرته – عجل الله فرجه – في هذه الفترة هو التمهيد لظهوره بما يشتمل عليه ذلك من رعاية الوجود الإيماني وحفظه وتسديد نشاطاته وتطويره عبر الأجيال المتعاقبة التي يعاصرها وحفظ الرسالة الخاتمة من التحريف إضافة إلى القيام بالميسور من مهام الإمامة الاخرى وإن كان ذلك بأساليب أكثر خفاءً مما كان عليه الحال في الغيبة الضغرى وبذلك يتحقق الأنتفاع من وجوده﴿ عليه السلام ﴾ كما ينتفع بالشمس إذا غيّبها السحاب .

وهذا الهدف العام لسيرته في هذه الغيبة الكبرى نلاحظه بوضوح فيما ورد بشأن تحركه في هذه الغيبة .

وقبل التطرق لنماذج من هذا التحرك نلقي نظرة عامة على بعض ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة بشأن علة الغيبة وأسرارها إذ إن من الواضح أن التمهيد للظهور يكون بإزالة الأسباب التي أدت للغيبة ، لذا فإن التعرف على أسباب الغيبة يلقي الأضواء على طبيعة تحرك الإمام المهدي﴿ عليه السلام ﴾ خلالها

علل الغيبة في الأحاديث الشريفة

لقد تناولت مجموعة من الأحاديث الشريفة علل وقوع الغيبة . نذكر أولاً نماذج منها استناداً إلى العلل التي تذكرها : مشيرين إلى ان لكل نموذج نظاءر عديدة رواها المحدثون بأسانيد متعددة

١- روى سدير عن أبيه عن الإمام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ قال : أن للقائم غيبة منا غيبة يطول أمدها فقلت له : يا بن رسول الله ولم ذاك قال : لأن الله عز وجل أبى إلا أن يجعل فيه سنن الأنبياء ﴿ عليهم السلام ﴾ في غيباتهم ، وانه لا بد له يا سدير من أستيفاء

مدة غيباتهم ، قال الله تعالى ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾، أي سنن من كان قبلكم[١].

وروى عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد﴿ عليه السلام ﴾ يقول : إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها ، يرتاب فيها كل مبطل ، فقلت له : ولم جعلت فداك قال لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟ قال : وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدم من حجج الله تعالى ذكره ، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر﴿ عليه السلام ﴾ إلا بعد افتراقهما ، يا بن الفضل أن هذا الأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أن الله عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة وأن كان وجهها غير منكشف[٢] .

---

(١) إثبات الهداة : ٣ / ٤٨٦ ــ ٤٨٧ .

(٢) كمال الدين : ٤٨١ علل الشرائع : ١ / ٢٤٥ .

٢- ومنها ما رواه زرارة عن الإمام الباقر ﴿ عليه السلام ﴾ قال : إن للقائم غيبة قبل ظهوره ، قلت : ولم ؟ قال : يخاف – وأومى بيده إلى بطنه ، قال زرارة يعني : القتل [1] .

ومنها ما روي عن عبد الله بن عطا ، عن أبي جعفر ﴿ عليه السلام ﴾ قال : قلت له إن شيعتك بالعراق كثيرة والله ما في اهل بيتك مثلك ، فكيف لا تخرج؟ قال : فقال : يا عبد الله بن عطاء ! قد أخذت تفرش أذنيك للنوكى أي والله ما أنا بصاحبكم ، قال : قلت له : فمن صاحبنا؟ قال : أنظروا من عمى على الناس ولادته ، فذاك صاحبكم ، انه ليس منا أحد يشار إليه بالأصبع ويمضغ بالألسن إلا مات غيظاً أو رغم أنفه[2] .

٣- ومنها من روي عن الحسن بن محبوب بن أبراهيم الكرخي قال :

قلت لأبي عبد الله ﴿ عليه السلام ﴾ أو قال له رجل : أصلحك الله ألم يكن علي قوياً في دين الله ؟ قال : بلى قال : فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يمنعهم وما منعه من ذلك ؟ قال : آية في

---

(١) علل الشرائع : ١ / ٢٤٦ ، غيبة النعماني : ١٧٦ ، غيبة الطوسي : ٢٠١ .

(٢) الكافي : ١ / ٣٤٢ ، غيبة النعماني : ١٦٧-١٦٨ .

كتاب الله﴿ عز وجل ﴾ منعته ، قال : قلت ؟ وأي آية هي ؟ قال: قول الله عز وجل : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ . أنه كان لله ﴿ عز وجل ﴾ ودائع مؤمنون في اصلاب قوم كافرين ومنافقين ، فلم يكن عليّ ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع ، فلما خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله ﴿ عز وجل ﴾ فإذا ظهرت ظهر على من ظهر فقاتله [(١)] .

٤- ومنها ما روي عن الإمام الصادق﴿ عليه السلام ﴾ قال : والله لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميّزوا وتمحصوا ، ثم يذهب من كل عشرة شيء ولا يبقى منكم إلا الأندر ثم تلا هذه الآية ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[(٢)].

٥- ومنها ما روي عن الإمام الباقر ﴿ عليه السلام ﴾ انه قال :

---

(١) علل الشرائع : ١٤٧ ، كمال الدين : ٦٤١ .

(٢) قرب الأسناد للحميري : ١٦٢ وعنه في بحار الأنوار : ٥٢ / ١١٣.

دولتنا آخر الدول ، ولم يبق أهل بيتٍ لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء ، وهو قول الله عز وجل﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١] .

٦- ومنها ما روي عن الإمام الرضا(عليه السلام) أنه قال – في جواب من سأله عن علة الغيبة : لئلا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسيف [٢] .

وهذا المعنى مروي عن كثير من الأئمة بألفاظٍ متقاربة منها ما روي عن المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ نفسه أنه قال في توقيعه إلى أسحق بن يعقوب في جواب أسئلته : وأما علة ما وقع من الغيبة ، فإن الله عزوجل يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. إنه لم يكن أحد من آبائي ﴿ عليهم السلام ﴾ إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي)[٣].

٧- ويقول – عجل الله فرجه في رسالته الأولى للشيخ المفيد : (نحن وأن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب

---

(١) الآية في سورة الأعراف : ١٢٨ ، والحديث في غيبة الطوسي : ٢٨٢ .

(٢) علل الشرائع : ١ / ٢٤٥ ،عيون الأخبار الرضا : ١/ ٢٧٣ .

(٣) كمال الدين : ٤٨٣ ، غيبة الطوسي :١٧٦ .

الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ، ما دامت دولة الدنيا للفاسقين [١].

٨- ويقول ﴿ عليه السلام ﴾ في رسالته الثانية للشيخ المفيد : ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على أجتماع من القلوب في الوفاء بالحمد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا فما يحسبنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم [٢].

هذه نماذج لأبرز الأحاديث الشريفة المروية بشأن علل الغيبة والأسباب التي نذكرها فيها بعض التداخل نشير أليها ضمن النقاط الثمانية التالية:

١- أستجماع تجارب الأمم السابقة

إن الحكمة الإلهية في تدبير شؤون خلقه تبارك وتعالى أقتضت غيبة الإمام المهدي - عجل الله فرجه - للحكمة نفسها التي اقتضت غيابات الأنبياء في الامم السابقة لأن ما جرى في هذه

---

(١) معادن الحكمة : ٢ / ٣٠٣ ، بحار الأنوار : ٥٣ / ١٧٤ .

(٢) الأحتجاج : ٢ / ٣٢٥ وعنه في معادن الحكمة : ٢ / ٣٠٦ وبحار الأنوار : ٣٥ /١٧٦ .

الأمم مجتمعه يجري على الأمة الإسلامية صاحبة الشريعة الخاتمة . فمثلما أقتضى تحقيق أهداف الرسالات السماوية غيبة بعض أنبيائها بدليل عدم أستعداد الامم السابقة لتحقق هذه الأهداف ، كذلك الحال مع الأمة الإسلامية فإن تحقق أهداف شريعتها الخاتمة أقتضى غيبة خاتم أوصيائها الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ حتى تتأهل بشكل كامل لتحقق هذه الأهداف وواضح أن هذا السبب مجمل بل أنه يشكل الإطار العام لعلل الغيبة التي تذكرها الطوائف الأخرى من الأحاديث الشريفة .

والملاحظ في هذه الطائفة من الأحاديث أنها تعتبر أمر الغيبة من الأسرار الإلهية التي لا تتضح إلا بعد أنتهاء الغيبة وظهور الإمام والتي لم يؤذن بكشفها قبل ذلك ، الامر الذي يشير إلى أن ما تذكره الأحاديث الشريفة لا يمثل كل العلل الموجبة للغيبة بل بعضها وثمة علل أخرى ليس من الصالح كشفها قبل الظهور – للجميع على الأقل – ولكن الإيمان بها فرع الإيمان بحكمة الله تبارك وتعالى وأنه الحكيم الذي لا يفعل إلا ما فيه صلاح عباده .

٢- العامل الأمني

مخافة القتل كما جرى مع غيبات أنبياء الله موسى وعيسى وغيرهم ﴿ﻋﻠﻴﻬﻢ السلام﴾ ، والأمر في غاية الوضوح مع الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ الذي كانت السلطات العباسية تسعى سعياً حثيثاً لقتله كما رأينا سابقاً . وهذا السبب يصدق بشكل كامل على أصل وقوع الغيبة الصغرى على الأقل .

ومعلوم أن المقصود هو حفظ وجود الإمام لكونه حجة الله على خلقه ولكي لا تخلو الأرض من قائم لله بحجته وهادٍ بأمره إليه تبارك وتعالى .

أما ما هو سبب أختصاص الغيبة بالإمام الثاني عشر لحفظ وجوده مع أباءه الطاهرين﴿ﻋﻠﻴﻬﻢ السلام﴾ كانوا أيضا حجج الله على خلقه وقد تعرضوا أيضاً للمطاردة والأغتيال فلم يمت أي منهم إلا بالسيف أو السم[1]؟ .

فالجواب واضح فهو - عجل الله فرجه - آخر الأئمة المعصومين﴿ﻋﻠﻴﻬﻢ السلام﴾ وهو المكلف بإقامة الدولة الإسلامية العالمية

---

(١) أعتقادات الصدوق : ٩٩ في أعلام الورى للطبرسي : ٢ / ٢٩٧ ب ٥ المسألة الأولى من المسائل السبع في الغيبة ، الفصول المهمة : ٢٧٢ .

وعلى يديه يحقق الله﴿ عزوجل ﴾ وعده بإظهار الإسلام على الدين كله وتوريث الأرض للصالحين ، فلا بد من حفظ وجوده حتى ينجز هذه المهمة . يضاف إلى ذلك أن السلطات العباسية كانت عازمة على قتله وهو في المهد لعلمها بطبيعة مهمته الإصلاحية العامة .

أما في الغيبة الكبرى فهذه العلة تبقى مؤثرة ما لم تتوفر جميع العوامل اللازمة لإنجاز مهمته مثل توفر الأنصار وغير ذلك ، لأنه سيبقى غرضاً لسهام مساعي حكام الجور لإبادته قبل ان ينجز هذه المهمة الإصلاحية الكبرى كما جرى على آبائه ﴿ عليهم السلام ﴾ وهذا الأمر واضح للغاية ويفهم من توضيحات الإمام الباقر ﴿ عليه السلام ﴾ لعبد الله بن عطاء في الحديث الثاني من هذه الطائفة .

٣- السماح بوصول الحق للجميع لخروج ودائع الله

إنّ إخراج ودائع الله ، المؤمنين من أصلاب قوم كافرين يشكل عاملاً آخر ولعل المقصود منه أعطاء الفرصة لوصول الدين الحق للجميع كي تتضح لهم أحقية الرسالة الإسلامية التي يحملها الإمام المهدي – عجل الله فرجه – وبالتالي تبني

أشخاص ينتمون إلى المدارس الضالة والأخلاف المنحرفين للأهداف المهدوية والأنتقال بهم إلى صفوف أنصار المهدي المنتظر – عجل الله فرجه – .

وواضح أن هذه العلة تفسر تأخير ظهوره ﴿ عليه السلام ﴾ بصورة واضحة مباشرة ، وبالتالي تفسر بصورة غير مباشرة – غيبته إلى حين توفر هذا العامل من العوامل اللازمة لظهوره – عجل الله فرجه – باعتبار أن ظهوره مقترن بالبدء الفوري في تنفيذ مهمته الإصلاحية الكبرى التي تتضمن نزول العذاب الأليم على المنحرفين .

٤- التمحيص الأعدادي لجيل الظهور

إن التمييز والتمحيص الإعدادي للمؤمنين به ﴿ عليه السلام ﴾ يتحقّق من خلال الأوضاع الصعبة الملازمة لغيبته ﴿ عليه السلام ﴾ ، ومعلوم أن الإيمان به وبغيبته هو بحدّ ذاته عامل مهم في تمحيص الإيمان وتقوية الثابتين عليه لأنه يمثل مرتبة سامية من مراتب التحرر من أسر التصديق بالمحسوسات المادية فقط . لذلك كان الإيمان بالغيب أولى صفات المتقين كما تذكره الآيات الأولى من سورة البقرة وقد طبقت الأحاديث الشريفة هذه الصفة على الإيمان

بالإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ في غيبته بأعتباره من أوضح مصاديقها لاسيما إذا لاحظنا طول أمدها [١].

ولذلك نلاحظ في الأحاديث الشريفة مدحاً بالغاً لمؤمني عصر الغيبة الثابتين على الالتزام بالشريعة الناتجة عن عدم ظهوره المشهود [٢].

وأستناداً إلى هذه العلة نفهم ن الغيبة عامل إعداد لأنصار المهدي ـ عجل الله فرجه ـ من خلال ترسيخ هذا الإيمان بالغيب الذي يتضمن التحرر من أسر الماديات والذي يؤهلهم لنصرة المهدي في إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى .

٥- اتضاح عجز المدارس الأخرى

إنّ إثبات عجز المدارس الأخرى عن تحقيق السعادة والكمال المنشود للمجتمع البشري ، فيه تأهيل واضح للمجتمع البشري عموماً للتفاعل الأيجابي مع المهمة الإصلاحية الكبرى للإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ ، فهو يزيل العقبات الصادّة عن

---

(١) كفاية الأثر ٥٦ ، ينابيع المودة : ٤٤٢ .

(٢) راجع مثل ما روي عن الكاظم ﴿ عليه السلام ﴾ في وصف المؤمنين في عصر الغيبة .

(أولئك منّا ونحن منهم ، قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة ، فطوبى لهم لم ثم طوبى لهم وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة) ، كمال الدين : ٣٦١ ، كفاية الأثر : ٢٦٥ .

هذا التفاعل المطلوب لتحقق الأهداف الإلهية خاصة فيما يرتبط بالأنخداع بشعارات المدارس الأخرى المادية أو ذات الأصول السماوية والمنحرفة عنها بمرور الزمن .

٦- حفظ روح الرفض للظلم

إن الإمام المهدي – عجل الله فرجه – هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، فيزيل حكام الجور وحاكمية الفساد بالسيف بعد إتمام الحجة الكاملة على المنحرفين خلال الغيبة الكبرى وما قبلها كما أشرنا إلى ذلك في النقطة السابقة . فظهوره ﴿ عليه السلام ﴾ مقترن بالتحرك الجهادي الحاسم ، فلا هدنة مع المنحرفين ومن هنا يلزم توفر هذه الصفة في أتباعه أيضاً ولعل هذا هو المقصود من تعبير الأحاديث الشريفة(لئلا يكون في عنقه بيعة لطاغية).

وواضح أن هذا الدور الحاسم يجعل تكالب الظالمين عليه أشد إذا كان وجوده ظاهراً قبل تحركه الإصلاحي الشامل وقبل توفر الظروف المناسبة لتحركه والعدد اللازم من الأنصار ، فهو في هذه الحالة إما أن يهادن الظلمة ويجّمد أي نشاط له ولو كان غير حاسم كما كان حال آبائه ﴿ عليهم السلام ﴾ وفي ذلك أخطار كثيرة

مثل أضعاف روح الرفض للظلم لدى المؤمنين وهم يرون أن إمامهم المكلف بإزالة الظلم بصورة كاملة صامت تجاهه ، فضلاً عن أن هذا الموقف السلبي لن يوقف كيد الظالمين ومساعيهم المستمرة لقتله تخلصاً من هاجس دوره المرتقب ، وأما أن يتحرك لإنجاز مهمته قبل توفر العوامل اللازمة لنجاحها وهذا الأمر يعني مقتله قبل أن يحقق شيئاً من مهمته الكبرى .

لذا فلا بد من تجنب الظهور قبل إكتمال الأوضاع اللازمة لتحركه الإصلاحي الأكبر والأستتار في أسلوب الغيبة بما يمكنه من الأستمرار في نشاطه على صعيد توفير العوامل اللازمة لنجاح مهمته الكبرى عند الظهور .

٧- صلاح أمره وأمر المؤمنين به

إن في الغيبة صلاح أمره ﴿ عليه السلام ﴾ وأمر المؤمنين به ، وهذه علة مجملة تحدد أحد أوجه الحكمة الإلهية في الأمر بالغيبة بأن في ذلك صلاح أمر الإمامة ولعله بمعنى أن الغيبة هي أفضل أسلوب ممكن لقيام المهدي – عجل الله فرجه – بمهام الإمامة في ظل الأوضاع المضادة لأهداف الثورة المهدوية كما تقدم في

الفقرة السادسة ، وبأن فيها صلاح شيعته والمؤمنين به ، ولعله بمعنى فتح آفاق التكامل والتمحيص في صفوفهم وأجيالهم المتلاحقة كما تقدم في الفقرة الرابعة حتى يعد الجيل القادر – كما وكيفاً – على الاستجابة لمقتضيات الثورة المهدوية الكبرى ، أو أن يكون المقصود صلاحهم في حفظ وجودهم من الإبادة قبل تحقق المهمة الإصلاحية المطلوبة أو عجزهم عن نصرة الإمام بالصورة المطلوبة عند قيامه – دونما غيبة- كما جرى في موقف المسلمين من ثورة الإمام الحسين﴿ عليه السلام ﴾ وقبله من خلافة أخيه الإمام الحسن وأبيه أمير المؤمنين ﴿ عليهما السلام ﴾ .

٨- عدم توفّر العدد المطلوب من الأنصار

والعامل الأخير هو عدم توفر العدد اللازم كماً والمناسب كيفاً من الأنصار له ﴿ عليه السلام ﴾ في مهمته الإصلاحية الكبرى التي تحتاج إلى عدد كافٍ من الأنصار وعلى مستويات عالية من الإخلاص للشريعة المحمدية وأهدافها والعلم بها وبمكائد أعدائها بحيث يمتلكون التجربة الجهادية اللازمة لخوض حركة

الصراع الحاسمة مع الكفر والشرك والفسق والنفاق . وهذه العلة مكملة للعلة المذكورة في الفقرة الرابعة .

الباب الثامن

إنجازات الإمام المهدي(عليه السلام) في غيبته الكبرى

كما أشرنا في مقدمة الحديث فإن سيرة الإمام المهدي – عجل الله فرجه – وتحركاته في غيبته الكبرى تتمحور حول هدف التمهيد لظهوره والمساهمة في أزالة العلل الموجبة لغيبته وعليه يمكننا القول بأنه يعمل في سبيل ترشيد الأمة واستجماعها لخبرات أجيالها المتعاقبة ، وفي سبيل إيصال الحق إلى الجميع ودعم وتأييد العاملين من أجل نشر الإسلام النقي وحفظه ، وهو يرعى عملية التميز والتمحيص الإعدادي لجيل الظهور ، ويكشف فشل المدارس الاخرى وعجزها عن تحقيق السعادة المنشودة للبشرية ، ويساهم في حفظ روح الرفض للظلم ويحبط المساعي لقتلها . أنه ﴿ عليه السلام ﴾ يقوم بكل ذلك ولكن بأساليب خفية غير ظاهرة قد يتضح الكثير منها عند ظهوره كما يتضح دوره ﴿ عليه السلام ﴾ .في الكثير من الحوادث الواقعة التي تصب في صالح تحقق الأهداف المتقدمة والتي لم تعرف أسباب وقوعها أو أنّ ما عرض من الأسباب لم يكن كافياً في .

رعايته للكيان الإسلامي

يقول الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ في رسالته الأولى للشيخ المفيد (...فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم ، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مُذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

إنا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء وأصطلمكم الأعداء[1].

إن الإمام يتابع أوضاع المؤمنين ويحيط علماً بالتطورات التي تحصل لهم ومحاولات الاستئصال والإبادة التي يتعرضون لها ويتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشكالها وهذه الرعاية هي أحد العوامل الأساسية التي تفسر حفظ أتباع مذهب أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾ واستمرار وجودهم وتناميه على مدى الأجيال على الرغم من شدة الحملات التصفوية التي عرضوا لها والإرهاب الفكري الحاد الذي مورس ضدهم لقرونٍ طويلة .

---

(١) الأحتجاج :١ / ٣٢٣ وعنه في معادن الحكمة : ٢ / ٣٠٣ .

فهذه التصفيات الجسدية والمحاربة الفكرية الواسعة التي شهدها التأريخ الإسلامي كانت قادرة ولا شك على إنهاء وجودهم جسدياً وفكرياً لولا الرعاية المهدوية .

حفظ الإسلام الصحيح وتسديد العمل الاجتهادي

إن الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ يقوم أيضاً في غيبته الكبرى بحفظ الإسلام النقي الذي يحمله مذهب أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾ .

وهذه المهمة من المهام الرئيسة للإمامة ، ومن مظاهر قيامه ﴿ عليه السلام ﴾بها في غيبته تسديد العمل الاجتهادي للعلماء والفقهاء ومنع إجماعهم على باطل بطريقة أو بأخرى : (لأن هذه الآثار والنصوص في الأحكام موجودة مع من لا يستحيل منه الغلط والنسيان، ومسموعة بنقل من يجوز عليه الترك والكتمان . وإذا جاز ذلك عليهم لم يؤمن وقوعه منهم إلا بوجود معصوم يكون من ورائهم ، شاهد لأحوالهم ، عالم بأخبارهم ، غن غلطوا هداهم ، أو نسوا ذكّرهم أو كتموا ، علم الحق من دونهم .

وإمام الزمان ﴿ عليه السلام ﴾ وإن كان مستتراً عنهم بحيث لا يعرفون شخصه ، فهو موجود بينهم ، يشاهد أحوالهم ويعلم أخبارهم ، فلو أنصرفوا عن النقل ، او ضلّوا عن الحق لما وسعته التقية ولأظهره الله سبحانه ومنع منه إلى ان يبين الحق وتثبت الحجة على الخلق)[١].

والمقصود من الظهور هنا ليس الظهور العام بل المحدود لبعض العلماء وبالمقدار اللازم لتبيان الحق ، وهذه من القضايا التي بحثها العلماء في باب الإجماع ، فمثلاً يقول العلامة السيد محمد المجاهد في كتابه مفاتيح الأصول : البناء على قاعدة اللطف التي لأجلها وجب على الله نصب الإمام فإنها تقضي ردهم لو أتفقوا على الباطل فإنه من أعظم الألطاف ، فإن أمتنع حصوله بالطرق الظاهرة فبالأسباب (الخفية)...إن وجود الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ في زمن الغيبة لطف قطعاً ، فيثبت فيه كل ما أمكن ، لوجود المقتضي وانتفاء المانع . وإن هذا اللطف قد ثبت وجوبه قبل الغيبة فيبقى بعده بمقتضى الأصل إضافة إلى أن النقل المتواتر قد دل على بقائه .

---

(١) كنز الفوائد للعلامة الكراجكي : ٢ / ٢١٩ .

وقد ورد ذلك عن النبي ﴿ ﷺ ﴾ والأئمة ﴿ عليهم السلام ﴾ بألفاظ ومعانٍ متقاربة ، فعن النبي ﴿ ﷺ ﴾ : (إن لكل بدعة يُكاذب بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلاً يذب عنه ويعلن الحق ويرد كيد الكائدين) وعنه ﴿ ﷺ ﴾ وعن اهل البيت (أن فيهم في كل خلف عدولاً ينفون عن الدين تحريف الغالين وأنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) .

وفي المستفيض عنهم ﴿ عليهم السلام ﴾ :(إن الأرض لا تخلو إلا وفيها عالم إذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم إلى الحق وأن نقصوا شيئاً تمم ذلك ولولا ذلك لألتبس عليهم أمرهم ولم يفرقوا بين الحق والباطل) .

وعن أمير المؤمنين ﴿ عليه السلام ﴾ في عدة طرق : اللهمَّ إنك لا تخلي الارض من قائم بحجة إما ظاهر مشهور أو خائف مغمور لئلا تبطل حججك وبيناتك...)وفي بعضها : (لا بد لأرضك من حجة لك على خلقك يهديهم إلى دينك ويعلمهم علمك لئلا تبطل حجتك ولئلا يضل تبع أوليائك بعد إذ هديتهم به إما ظاهر ليس بالمطاع أو مكتتم أو مترقب إن غاب عن الناس

شخصه في حال هدايتهم فإن علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة فيهم ، بها عاملون) .

وفي تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ورد في عدة روايات : أن المنذر رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ ، وفي كل زمان إمام منا يهديهم إلى ما جاء به النبي﴿ ﷺ ﴾ وفي بعضها عن أئمة أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾ في الآية (والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة .

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ قال :ولم تخل الأرض منذ خلقها الله تعالى من حجة له فيها ظاهر أو غائب مستور ولن تخلو إلى ان تقوم الساعة ولولا ذلك لم يعبد الله قيل : كيف ينتفع الناس بالغائب المستور؟ قال﴿ عليه السلام ﴾ : كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب .

وعن الحجة القائم ﴿ عليه السلام ﴾ قال : وأما وجه الأنتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأنظار السحاب وأني لأمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان أهل السماء .

والأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى ومقتضاها تحقق الرد عن الباطل والهداية إلى الحق من الإمام في زمن الغيبة

والمراد حصولها بالأسباب الخفية كما يشعر به حديث السحاب الأنتفاع بالإمام كالانتفاع بالشمس إذا غيبها السحاب دون الظاهرة فأنها منتفية بالضرورة ولا ينافي ذلك تضمن بعضها الأعلان بالحق فأنه من باب الأسناد إلى السبب..(١).

تسديد الفقهاء في عصر الغيبة

وكما أشرنا عند الحديث عن نظام (السفارة والنيابة الخاصة) في الغيبة الصغرى ، فإن هذا النظام كان تمهيداً لإرجاع الأمة في الغيبة الكبرى إلى الفقاء العدول كممثلين له ﴿ عليه السلام ﴾ ينوبون عنهم كقيادة ظاهرة أمر بالرجوع إليها في توقيعه الصادر إلى أسحاق بن يعقوب : وأما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم .

وقد أشار الأئمة ﴿ عليهم السلام ﴾ من قبل إلى هذا الدور المهم للعلماء في عصر الغيبة الكبرى ، فمثلاً روي عن الإمام علي الهادي ﴿ عليه السلام ﴾ أنه قال : لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن

---

(١) مفاتيح الأصول : ٤٩٦-٤٩٧ ، باب الأجماع .

دينه بحجج الله ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا أرتد عن دينه . ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها ، أولئك هو الأفضلون عند الله[1] .

والمستفاد من قوله ﴿ عليه السلام ﴾ فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم) أن الفقهاء العدول يمثلون في الواقع واسطة بين الأمة والإمام - عجل الله فرجه - الأمر الذي يعني أن يحظى بعضهم - وخاصة الذين يحظون بمكانة خاصة في توجيه الأمة ودور خاص فكري أو سياسي في قيادتها - بتسديد من قبل الإمام - عجل الله فرجه - بصورةٍ مباشرة أو غير مباشرة وبالخصوص في التحركات ذات التأثير على مسيرة الأمة وحركة الإسلام ، فهو يتدخل بما يجعل هذه التحركات في صالح الأمة أو بما يدفع عنها الأخطار الشديدة الماحقة ، وقد نقلت الكثير من الروايات الكاشفة عن بعض هذه التدخلات والتي لم تنقل أو لم تدون أكثر بكثير . وقسم منها يكون

---

(١) الأحتجاج : ٢ / ٢٦٠ .

التدخل من قبل الإمام بصورة مباشرة وقسم آخر يكون بصورة غير مباشرة عبر أحد أوليائه [1].

أصحاب الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ في غيبته الكبرى

يُستفاد من عدد من الأحاديث الشريفة أن للإمام المهدي – عجل الله فرجه – جماعة من الأولياء المخلصين يلتقون به بأستمرار في غيبته الكبرى ومن أهل كل عصر وتصرح بعض الأحاديث الشريفة بأن عددهم ثلاثين شخصاً فقد روى الشيخ الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في الغيبة بأسانيدها عن الإمام الصادق﴿ عليه السلام ﴾ قال : لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة ولا بد له في غيبته من عزلة ونعم المنزل طيبة وما بثلاثين من وحشة [2] ، وروى الكليني بسنده عن الإمام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ قال : للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة ، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه إلا خاصة شيعته والأخرى لا يعلم بمكانه إلا خاصة مواليه [3]، وتصرح بعض الأحاديث

---

(١) جمع الشيخ كريمي الجهرمي مجموعة من هذه الروايات في كتاب ترجمه للعربية تحت عنوان : (رعاية الإمام المهدي للمراجع والعلماء الأعلام) منشورات دار ياسين البيروتية والكتاب مطبوع بالفارسية في قم .

(٢) الكافي : ١ / ٣٤٠ ، غيبة النعماني : ١٨٨ ، تقريب المعارف للحلبي : ١٩٠ .

(٣) الكافي : ١ / ٣٤٠ ، غيبة النعماني : ١٧٠ ، تقريب المعارف : ١٩٠ .

الشريفة بأن الخضر ﴿ عليه السلام ﴾ من مرافقيه في غيبته[1].
ولعله ﴿ عليه السلام ﴾ يستعين بهؤلاء الأولياء – ذوي المراتب العالية في الأخلاص – في القيام بما تقدم من مهام حفظ المؤمنين ورعايتهم وتسديد العلماء ودفع الأخطار عن الوجود الإيماني وتسيير حركة الأحداث – حتى خارج الكيان الإسلامي بما يخدم مهمة التمهيد لظهروه وإعداد العوامل اللازمة له .

الالتقاء بالمؤمنين في غيبته الكبرى

إن سيرة الإمام في غيبته الكبرى تفصح بأن لقاءاته فيها لا تنحصر في هذا العدد المحدود من الأولياء المخلصين في كل عصر بل تشمل غيرهم ولو بصورة ير مستمرة فالأخبار الخاصة الدالة على مشاهدته في الغيبة الكبرى كثيرة وعددها يفوق حد التواتر بحيث نعلم لدى مراجعتها واستقرائها عدم الكذب والخطأ فيها في الجملة [2]، فقد نقل الميرزا النوري مائة

---

(١) كمال الدين : ٣٩٠ وعنه في إثبات الهداة : ٣ / ٤٨٠ .

(٢) راجع تاريخ الغيبة الصغرى : ٦٤٠ وما بعدها وتاريخ الغيبة الكبرى : ١٠٧ وقد ناقش السيد الصدر في هذين الكتابين قضية الالتقاء بالإمام في الغيبة الكبرى وعدم تعارضها مع الامر الإمام المهدي – عجل الله فرجه – في توقيعه للشيخ السمري بتكذيب من أدعى المشاهدة في الغيبة الكبرى كما ناقشها الميرزا النوري في الباب السابع من كتاب النجم الثاقب والعلامة المجلسي في بحار الأنوار وغيرهم كثير وأثبتوا جواز الالتقاء بالإمام في الغيبة الكبرى .

منها في النجم الثاقب وفي المصادر الاخرى ما يزيد على ذلك بكثير أضافة إلى ان من المؤكد أن هناك مقابلات غير مروية ولا مسجلة في المصادر وإن كانت متناقلة عبر الثقات وأن المهدي – عجل الله فرجه – يتصل بعدد من المؤمنين في أنحاء العالم في كل جيل مع حرصهم على عدم التفوه بذلك وكتمه إلى الأبد ، بل يمكن القول بأن المقابلات غير المروية أكثر بكثير من المقابلات المروية .

وتشمل هذه المقابلات قضاء حوائج المؤمنين – كما كانت سيرة آبائه الأئمة ﴿ عليهم السلام ﴾ بمختلف أقسامها المادية والمعنوية ، كما تشمل على توجيه ، الوصايا التربوية وتوضيح غوامض المعارف الإلهية أو التنبيه إلى الأحكام الشرعية الصحيحة وغير ذلك من مهام الإمام في كل عصر .

ترسيخ الإيمان بوجوده

وتحققت من هذه اللقاءات إضافة لذلك ثمار مهمة تتمحور حول ترسيخ الإيمان بوجوده ﴿ عليه السلام ﴾ وإزالة التشكيكات المثارة تجاه ذلك في كل عصر بما يعزز مسيرة المؤمنين في التمهيد لظهوره ﴿ عليه السلام ﴾ ، خاصة وإن معظم هذه المقابلات تقترن

عادة بصدور ما لا يمكن صدوره عن غير الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ من ايضاحات علمية دقيقة أو كرامات إعجازية تقطع أي مجالٍ للشك في هويته – عجل الله فرجه – وهي في معظم الأحوال تكون بمبادرة من الإمام نفسه وبصورةٍ لا يتوقعها الفائز بلقياه ﴿ عليه السلام ﴾ وبعد مدةٍ – قد تطول أحياناً – من صدق المؤمن في طلب مقابلته والإخلاص لله في القيام بالأعمال الصالحة بهدف الفوز بذلك ، كما أنها عادة ما تكون بالمقدار اللازم لقضاء حاجة المؤمن الطالب لها أو تحقيق الإمام لغاية المرجوة منها وغالباً ما ينتبه المؤمن إلى ان من التقاه هو الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ بعد أنتهاء المقابلة ، وكل ذلك حفظاً لمبدأ الاستتار في هذه الفترة .

حضور موسم الحج

وتصرح الأحاديث الشريفة بأن سيرته ﴿ عليه السلام ﴾ في غيبته حضور موسم الحج في كل عام ، وواضح ما في حضور هذا الموسم السنوي المهم من فرصة مناسبة للالتقاء بالمؤمنين من أنحاء أقطار العالم وإيصال التوجيهات إليهم ولو من دون

التعريف بنفسه بصراحة والتعرف على أحوالهم عن قرب دون الحاجة إلى أساليب إعجازية .

إن الأحاديث الشريفة التي تذكر حضوره ﴿ عليه السلام ﴾ هذا الاجتماع الإسلامي السنوي العام ، ذكرت أنه ﴿ عليه السلام ﴾ : يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه [1] ، ويبدو أن المقصود هو الرؤية مع تحديد هويته﴿ عليه السلام ﴾ بمعنى أن يعرفوه أنه هو المهدي إذ توجد عدة روايات أخرى تصرح برؤيته في هذا الموسم وبعضها يصرح بعدم معرفة المشاهدين لهويته على نحو التحديد وأقتصار معرفتهم بأنه من ذرية رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ [2].

---

(١) الكافي : ١ / ٣٣٧ ، ٢٣٩ ، غيبة النعماني :١٧٥ .

(٢) راجع مثلاً الرواية التي ينقلها الشيخ الصدوق في كمال الدين :٤٤٤.

الباب التاسع

تكاليف عصر الغيبة الكبرى

أهتمت الأحاديث الشريفة بقضية تكاليف عصر الغيبة بحكم الأبعاد العملية التي تشمل عليها فيما يرتبط بتحرك الإنسان في هذه الفترة المتميزة بفتنٍ كثيرة وصعوبات في مواجهتها ناتجة عن عدم الحضور الظاهر لإمام العصر وعدم تيسر الرجوع إليه بسهولة .

في هذا الفصل نذكر على نحو الإيجاز أبرز هذه التكاليف طبق ما حددته الاحاديث الشريفة مع تفصيل الحديث عن أهمها والذي ينطوي على تجسيد التكاليف الأخرى ألا وهو واجب أنتظار ظهور الإمام – عجل الله فرجه – لأنه عرض للكثير من أشكال سوء الفهم .

وأبرز التكاليف الأخرى فكما يلي :

١- ترسيخ المعرفة بإمام العصر – عجل الله فرجه – وغيبته وحتمية ظهوره وأنه حي يراقب الأمور ويطلّع على أعمال الناس وأوضاعهم وينتظر توفر الشروط اللازمة لظهوره ،

وإقامة هذه المعرفة على أساس الأدلة النقلية الصحيحة والبراهين العقلية السليمة .

وأهمية هذا الواجب واضحة في ظل عدم الحضور الظاهر للإمام في عصر الغيبة والتشكيكات الناتجة عن ذلك ، كما أن لهذه المعرفة تأثيراً مشهوداً في دفع الإنسان المسلم نحو العمل الإصلاحي البنّاء على الصعيدين الفردي والاجتماعي ، فهي تجعل لعمله حافزاً إضافياً يتمثل بالشعور الوجداني بأن تحركه يحظى برعاية ومراقبة إمام زمانه الذي يسّره ما يرى من المؤمنين من تقدم ويؤذيه أي تراجع أو تخلف عن العمل الإصلاحي البناء والتمسك بالأحكام والأخلاق والقيم الإسلامية التي ينتظر توفر شروط ظهوره لإقامة حاكميتها في كل الأرض وإنقاذ البشرية بها .

وقد التقينا في الأحاديث الشريفة التي أخبرت عن غيبة الإمام المهدي قبل وقوعها بإشارات صريحة إلى هذا الواجب وسنلتقي ضمن الأحاديث عن واجب الأنتظار بنماذج أخرى. يضاف إلى ذلك معظم الأدعية المندوب تلاوتها في عصر الغيبة تحفز على القيام بهذا الواجب وترسيخ المعرفة بالإمام ، فمثلاً

الكليني في (الكافي) عن زرارة أن الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ قال : (أن للقائم غيبة ...وهو المنتظر وهو الذي يشك الناس في ولاته ...فقال زرارة : جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شيءٍ أعمل ؟ قال : يا زرارة متى أدركت ذلك الزمان فلتدع بهذا الدعاء : اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك فإنك أن لم تعرفني رسولك لم اعرف حجتك ، أللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني...)[1] وفي الحديث إشارة إلى الأسس العقائدية للإيمان بإمام العصر وثمار معرفته .

٢- ومن التكاليف المهمة الأخرى التي أكدتها الأحاديث الشريفة لمؤمني عصر الغيبة هو تمتين الأرتباط الوجداني بالمهدي المنتظر والتفاعل العلمي مع أهدافه السامية والدفاع عنها والشعور الوجداني العميق بقيادته وهذا هو ما تؤكده أيضاً معظم التكاليف التي تذكرها الأحاديث الشريفة كواجبات للمؤمنين تجاه الإمام مثل الدعاء له بالحفظ والنصرة

---

(١) الكافي : ١ / ٣٣٧ ، غيبة النعماني : ١٦٦ – ١٦٧ ، كمال الدين : ٢ / ٣٤٢ ، غيبة الطوسي : ٢٠٢ .

وتعجيل فرجه وظهوره وكبح أعدائه والتصدق عنه والمواظبة على زيارته وغير ذلك مما ذكرته الأحاديث الشريفة وقد جمعها آية الله السيد الأصفهاني في كتابه مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم وكتابه وظائف الأنام في غيبة الإمام .

٣- أحياء أمر منهج أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾[1] الذي يمثله – عجل الله فرجه – بما يعنيه ذلك من العمل بالإسلام النقي الذي دافعوا عنه ونشر أفكارهم والتعريف بمظلوميتهم وموالاتهم والبراءة من أعدائهم والعمل بوصاياهم وتراثهم وما تقدم من تعاليمهم ونبذ الرجوع إلى الطاغوت وحكوماته والرجوع إلى الفقهاء العدول الذين جعلوهم حجة على الناس في زمن الغيبة والاستعانة بالله في كل ذلك كما ورد في النص :

وإن أصبحتم لا ترون منهم الأئمة﴿ عليهم السلام ﴾ أحداً فاستغيثوا بالله﴿ عز وجل ﴾وأنظروا السنة التي كنتم عليها وأتبعوها وأحبوا ما

---

(١) المحاسن للبرقي :١٧٣ ، الكافي : ٨ / ٨٠ ، كمال الدين : ٦٦٤ وفي الحديث الشريف ثناء جليل من الإمام الباقر (عليه السلام) على من يجد نفسه لأحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام) .

كنتم تحبون وأبغضوا من كنتم تبغضون فما أسرع ما يأتيكم الفرج[١]

٤- تقوية الكيان الإيماني والتواصي بالحق الإسلامي النقي والتواصي بالصبر وهو من التكاليف التي تتأكد في عصر الغيبة بحكم الصعوبات التي يشتمل عليها ، والثبات على منهج أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾ : يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان ...[٢]

هذه العناوين أبرز التكاليف الخاصة بعصر الغيبة وثمة تكاليف خاصة ببعض الحوادث التي تقع فيه أو بعض علائم الظهور مثل مناصرة الموطئة – الذين يوطئون للمهدي سلطانه – أو أجتناب فتنة السفياني أو تشديد الحذر عند ظهور بعض العلائم القريبة من أوان الظهور وغير ذلك .

وبعد هذا العرض السريع ننتقل للحديث عن واجب الأنتظار الذي يمثل أهم هذه التكاليف ويشتمل العمل به على معظم التكاليف السابقة ، ونتناوله ضمن الفقرات التالية :

---

(١) كمال الدين :٣٢٨ وعنه في بحار الأنوار : ٥١ / ١٣٦ .

(٢) كمال الدين : ٣٣٠ ، بحار الأنوار : ٥٢ / ١٤٥ .

أهيمة الأنتظار

تؤكد الأحاديث الشريفة وباهتمام بالغ على عظمة آثار أنتظار الفرج بعنوانه العام الذي ينطبق على الظهور المهدوي كأحد مصاديقه البارزة وكذلك على أنتظار ظهور الإمام بالخصوص . فبعضها تصفه بأنه أفضل عبادة المؤمن كما هو المروي عن الإمام علي ﴿ عليه السلام ﴾ : أفضل عبادة المؤمن أنتظار فرج الله[١]، وعبادة المؤمن أفضل بلا شك من عبادة مطلق المسلم فيكون الأنتظار أفضل العبادات الفضلى إذا كان القيام به بنية التعبد لله وليس رغبة في شيء من الدنيا ويكون بذلك من أفضل وسائل التقرب إلى الله تبارك وتعالى كما يشير إلى ذلك الإمام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ في خصوص أنتظار الفرج المهدوي حيث يقول : طوبى لشيعة قائمنا ، المنتظرين لظهوره في غيبته والمطيعين له في ظهوره ، اولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٢] . ولذلك فإن أنتظار الفرج هو أعظم

---

(١) المحاسن للبرقي وعنه في بحار الأنوار : ٥٢ / ١٣١ .

(٢) كمال الدين : ٣٥٧ .

الفرج[١] كما يقول الإمام السجاد ﴿ عليه السلام ﴾ ، فهو يدخل المنتظر في زمرة أولياء الله .

وتعتبر الأحاديث الشريفة أن صدق أنتظار المؤمن لظهور إمام زمانه الغائب يعزز إخلاصه ونقاء إيمانه من الشك ، يقول الإمام الجواد ﴿ عليه السلام ﴾ : له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون [٢]. وحيث إن الأنتظار يعزز الأيمان والأخلاص لله عز وجل والثقة بحكمته ورعايته لعباده فهو علامة حسن الظن بالله ، لذا فلا غرابة أن تصفه الأحاديث الشريفة بأنه : أحب الأعمال إلى الله[٣] ، وبالتالي فهو أفضل أعمال أمتي[٤] .كما يقول رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ .

الانتظار يرسخ تعلق الإنسان وارتباطه بربه الكريم وإيمانه العملي بأن الله عز وجل غالب على أمره وبأنه القادر على كل شيء والمدبر لأمر خلائقه بحكمته الرحيم بهم وهذا من

---

(١) كمال الدين : ٣٢٠ .

(٢) كفاية الأثر : ٢٧٩ ، كمال الدين : ٣٧٨ .

(٣) الخصال للشيخ الصدوق : ٢ / ٦١٠ ، كمال الدين : ٦٤٥ ، تحف العقول : ١٠٦ .

(٤) كمال الدين : ٦٤٤ .

الثمار المهمة التي يكمن فيها صلاح الإنسان وطيّه لمعارج الكمال ، وهو الهدف من معظم أحكام الشريعة وجميع عباداتها وهو أيضاً شرط قبولها فلا قيمة لها إذا لم تستند إلى هذا الإيمان التوحيدي الخالص الذي يرسخه الانتظار ، وهذا أثر مهم من آثاره الذي تذكره الأحاديث الشريفة نظير قول الإمام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾: ألا اخبركم بما لا يقبل الله﴿ عزّ وجلّ ﴾ من العباجة عملاً إلا به ... شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والأقرار بما أمر الله والولاية لنا والبراءة من أعدائنا – يعني الأئمة خاصة- والتسليم لهم والورع والاجتهاد والطمأنينة والانتظار للقائم﴿ عليه السلام ﴾ [١] .

وتصريح الأحاديث الشريفة بأن التحلي بالأنتظار الحقيقي يؤهل المنتظر – وبالأثار المترتبة عليه المشار اليها آنفاً – للفوز بمقام صحبة الإمام المهدي كما يشير إلى ذلك الإمام الصادق في تتمة الحديث المتقدم حيث يقول : من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر ، وكذلك يجعله يفوز بأجر هذه الصحبة الجهادية وهذا ما يصرح به الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ حيث يقول : من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان

---

(١) غيبة النعماني : ٢٠٠ ، إثبات الهداة : ٣ / ٥٣٦ .

في فسطاط القائم ﴿ عليه السلام ﴾..."[1] ، ويفوز أيضاً بأجر الشهيد كما يقول الإمام علي ﴿ عليه السلام ﴾ : الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس والمنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله[2] ، بل ويفوز بأعلى مراتب الشهداء المجاهدين ، يقول الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن كان مع القائم في فسطاطه، قال الراوي : ثم مكث هنيئة ، ثم قال : لا بل كمن قارع معه بسيفه ، ثم قال : لا والله إلا كمن أستشهد مع رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾[3] .

والأحاديث المتحدثة عن آثار الانتظار كثيرة ويُفهم منها أن تباين هذه الآثار في مراتبها يكشف عن تباين عمل المؤمنين بمقتضيات الانتظار الحقيقي ، فكلما سمت مرتبة الانتظار تزايدت آثارها المباركة وبالطبع فإن الحقيقي .

---

(١) كما الدين : ٦٤٥ .

(٢) في الخصال : ٦٢٥ وعنه في بحار الأنوار : ٥٢ / ١٢٣ .

(٣) المحاسن للبرقي : ١/ ٢٧٨ ، ٢٧٩ ح ١٥٣ وعنه في بحار الأنوار : ٥٢ / ١٢٦ ح١٨ .

حقيقة الانتظار

الانتظار عبارة عن : كيفية نفسانية ينبعث منها التهئؤ لما تنتظره وضده اليأس ، فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ آكد ألا ترى أنه إذا كان لك مسافر تتوقع قدومه ازداد تهيؤك لقدومه كلما قرب حينه ، بل تبدل رقادك بالسهاد لشدة الانتظار . وكما تتفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهة ، كذلك تتفاوت مراتبه من حيث حبك لمن تنتظره ، فكلما أشتد الحب أزداد التهيؤ للحبيب وأوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلق بحفظ نفسه ولا يشعر بما يصيبه من الالآم الموجعة والشدائد المفظعة .

فالمؤمن المنتظر مولاه كلما أشتد أنتظاره أزداد جهده في التهيؤ لذد بالورع والاجتهاد وتهذيب نفسه وتجنّب الأخلاق الرذيلة والتحلي بالأخلاق الحميدة حتى يفوز بزيارة مولاه ومشاهدة جماله في زمان غيبته كما أتفق ذلك لجمع كثير من الصالحين ، ولذلك أمر الأئمة الطاهرون ﴿ عليهم السلام ﴾ فيما سمعت من الروايات وغيرها بتهذيب الصفات وملازمة الطاعات ، بل رواية أبي بصير مشعرة أو دالة على توقف الفوز بذلك الأجر

حيث قال الإمام الصادق﴿ عليه السلام ﴾ : من سره أن يكون من اصحاب القائم فالينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه ... ولا ريب أنه كلما أشتد الانتظار أزداد صاحبه مقاماً وثواباً عند الله﴿ عز وجل ﴾...[1] .

والانتظار يعني : ترقب ظهور وقيام الدولة القاهرة والسلطنة الظاهرة لمهدي آل محمد﴿ عليه السلام ﴾ . وإمتلائها قطساً وعدلاً وأنتصار الدين القويم على جميع الأديان كما أخبر به الله تعالى نبيه الأكرم ووعده بذلك ، بل بشر به جميع الأنبياء والأمم ، أنه يأتي مثل هذا اليوم الذي لا يعبد فيه غير الله تعالى ولا يبقى من الدين شيء مخفي وراء ستر وحجاب مخافة أحد...[2] ،

أذن الانتظار يتضمن حالة قلبية توجدها الأصول العقائدية الثابتة بشأن حتمية ظهور المهدي الموعود وتحقق أهداف الأنبياء ورسالاتهم وآمال البشرية وطموحاتها على يديه ﴿ عليه السلام ﴾ ، وهذه الحالة القلبية تؤدي إلى انبعاث حركة عملية تتمحور

---

(١) مكيال المكارم : ٢ / ١٥٢-١٥٣ .

(٢) النجم الثاقب : ٢ / ٤٤٣ من الترجمة العربية .

حول التهيؤ والاستعداد للظهور المنتظر ، ولذلك أكدت الأحاديث الشريفة على لزوم ترسيخ المعرفة الصحيحة المستندة للادلة العقائدية بالإمام المهدي وغيبته وحتمية ظهوره .

وعليه يتضح أن الانتظار لا يكون صادقاً إلا إذا توفرت فيه : (عناصر ثلاثة مقترنة : عقائدية ونفسية وسلوكية ولولاها لا يبقى للانتظار أي معنى إيماني صحيح سوى التعسف المبني على المنطق القائل : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ... [1]﴾ المنتج لتمني الخير للبشرية من دون أي عملٍ إيجابي في سبيل ذلك)[2] .

ولذلك نلاحظ في الأحاديث الشريفة المتحدثة عن قضية الانتظار تأكيدها على معرفة الإمام المهدي ودوره وترسيخ الارتباط المستمر به ﴿ عليه السلام ﴾ في غيبته كمظهر للانتظار والالتزام العملي بموالاته والتمسك بالشريعة الكاملة وإعداد المؤمن نفسه كنصير للإمام المهدي – عجل الله فرجه – يتحلى بجميع الصفات الجهادية والعقائدية والأخلاقية اللازمة

---

(١) المائدة ٥ :٢٤ .

(٢) تاريخ الغيبة الكبرى : ٣٤٢ .

للمساهمة في إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى وإلا لن يكون انتظاراً حقيقياً .

(إن انتظار الفرج نوعان : انتظار بناء باعث للترحك والالتزام الرسالي ، فهو يعتبر نمطاً من أنماط الإباحية ...إن نوعي الانتظار هذين هما نتيجة لنوعين من الفهم لماهية الظهور التأريخي العظيم للمهدي الموعود﴿ عليه السلام ﴾ ...والبعض يفسر القضية المهدوية وثورتها الموعودة بأنها ذات صبغة أنفجارية لا غير وأنها نتيجة لأنتشار الظلم والتمييز والقمع وغصب الحقوق والفساد...فعندها يقع الانفجار وتظهر يد الغيب لأنقاذ الحق ...وعليه فإن أفضل عونٍ يمكن أن يقدمه الإنسان لتعجيل الظهور المهدوي وأفضل أشكال الانتظار هو السماح بـ ترويج الفساد .

لكن المستفاد من الآيات أن ظهور المهدي الموعود حلقة من حلقات مجاهدة أنصار الحق لأشياع الباطل التي تكون عاقبتها الانتصار الكامل لأنصار الحق ومشاركة الإنسان في الحصول على هذه السعادة مرهون بأن يدخل عملياً في صفوف أنصار الحق .

ويستفاد من الروايات الإسلامية أن ظهور المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ يقترن ببلوغ جبهتي السعداء والأشقياء ذروة عملهم كل حسب أهدافه لا أن ينعدم السعداء ويبلغ الاشقياء ذروة إجرامهم وظلمهم ، وتتحدث الأحاديث الشريفة عن صفوة أنصار الحق تلتحق بالإمام فور ظهوره...فحتى لو فرضنا أنهم قلة من الناحية الكمية إلا أنهم من الناحية الكيفية خيرة أهل الإيمان وبمستوى أنصار سيد الشهداء﴿ عليه السلام ﴾ كما تتحدث عن التمهيد لثورة الإمام المهدي بسلسلة من الانتفاضات التي يقوم بها انصار الحق ... كما تتجدث بعضها عن حكومة يقيمها أنصار الحق وتستمر حتى تفجر ثورة الإمام المهدي)[1] .

إذن يتضح مما تقدم أن للانتظار الشرعي المطلوب جملة من الشروط لا يتحقق بدونها العمل به كأهم تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة وقد تحدثت عنها الأحاديث الشريفة وجمعها الإمام السجاد﴿ عليه السلام ﴾ حيث قال ضمن حديث له عن القضية المهدوية : (أن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان ، لأن الله تبارك وتعالى

---

(١) النهضة والثورة المهدوية للشهيد المطهري(رحمه الله): ٦١-٨١ من الطبعة الفارسية (بتلخيص) .

أعاطاهم من العقول والأفهام ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة العيان وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ بالسيف ، اولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله عز وجل سراً وجهراً)[١].

شروط الانتظار

على ضوء هذا النص والتوضيحات الذي تقدمته يمكن أجمال شروط الانتظار في النقاط التالية التي تتضمن أيضاً توضيح السبيل العملي الذي ينبغي للمؤمن أنتهاجه لكي يكون منتظراً حقيقياً :

١- ترسيخ معرفة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ والإيمان بإمامته والقيام بمهامها في غيبته ومعرفة طبيعة دوره التأريخي وأبعاده والواجبات التي يتضمنها ودر المؤمنين تجاهه ، وترسيخ الأرتباط به ﴿ عليه السلام ﴾ وبدوره التأريخي . وكذلك الإيمان بأن ظهوره محتمل في أي وقت بما يؤهله للمشاركة في ثورته .

---

(١) كمال الدين : ٣١٩ .

ولتحقق هذه الأستعداد اللازم لكي يكون الانتظار صادقاً يجب التحلي بالصفات الأخرى التي يذكرها الإمام السجاد ﴿ عليه السلام ﴾ والتي تمثل في واقعها الشروط الأخرى لتحقق مفهوم الانتظار على الصعيد العملي .

٢٠ ترسيخ الأخلاص في القيام بمختلف مقتضيات الانتظار وتنقيته من جميع الشوائب والأغراض المادية والنفسية ، وجعله خالصاً لله تبارك وتعالى وبنية التعبد له والسعي لرضاه وبذلك يكون الانتظار أفضل العبادة وقد صرح آية الله السيد محمد تقي الأصفهاني بأن توفر هذه النية الخالصة شرط في القيام بواجب الانتظار . وعلى أي حال فإن توفر هذا الشرط يرتبط بصورة مباشرة بالأعداد النفسي لنصرة الإمام عند ظهوره لأن فقدانه يسلب المنتظر الأهلية اللازمة لتحمل صعاب نصرة الإمام – عجل الله فرجه – في مهمته الإصلاحية الجهادية الكبرى .

٣- تربية النفس وإعدادها بصورة كاملة لنصرة الإمام من خلال صدق التمسك بالثقلين والتخلق بأخلاقهما ليكون المؤمن بذلك من أتباع الإمام المهدي﴿ عليه السلام ﴾ حقاً : (وشيعتنا

صدقاً) وتتوفر فيه شروط الشخصية الإلهية والجهادية القادرة على نصرة الإمام في طريق تحقيق أهدافه الإلهية وفي ذلك تمهيد لظهوره ﴿ عليه السلام ﴾ على الصعيد الشخصي .

٤- التحرك للتمهيد للظهور المهدوي على الصعيد الاجتماعي بدعوة الناس إلى دين الله الحق وتربية أنصار الإمام والتبشير بثورته الكبرى ونلاحظ في حديث الإمام السجاد ﴿ عليه السلام ﴾ وصفه للمنتظرين بأنهم (الدعاة إلى دين عز وجل سراً وجهراً) وفي ذلك إشارة بليغة إلى ضرورة استمرار تحرك المنتظرين في التمهيد للظهور ورغم كل الصعاب ، فإذا كانت الأوضاع موائمة دعوا لدين الله جهراً وإلا كان تحركهم سرياً دون أن يسوّغوا لأنفسهم التقاعس عن هذا الواجب التمهيدي تذرعاً بصعوبة الظروف .

الفصل الثالث

النواب الأربعة

عثمان بن سعيد بن عمرو الأسدي

ويقال له العَمْري بفتح العين وسكون الميم ، نسبةً إلى جدّه عمرو ، كما يُقال له السَّمّان والزّيّات ، لأنه كان يتّجر بالسّمن،وكنيته أبو عمرو . وقد ذكر السيد حسن الصدر أنه من ولد عمار أبن ياسر[١] ، وهي نسبة غير معروفة ، لأنهم نصّوا على كونه أسدياً . ويقال له العسكري أيضاً ، لنه من عسكر سامراء .

وقد ذكروا في ترجمته أنّه خدم الإمام الهادي﴿ عليه السلام ﴾ وعمره إحدى عشرة سنة ، وفي هذا دلالة على أنه تلقى أصول تربيته الأولى في هذا البيت الرفيع . وقد سلك أبنه محمد بن عثمان مسلك أبيه في خدمتهم فمكنتهم صلتهم هذه أن يكونوا بعدئذٍ في مقدمة مشايخ الشيعة ورؤسائهم . كما رويت في حقّهم عن آل العسكري تزكيات ثمينة . منها قول الإمام الهادي﴿ عليه السلام ﴾

---

(١) تأسيس الشيعة : ٤١٠ .

لأحمد بن أسحاق : العمري ثقتي ، فما أدّى إليك فعنّي يؤدي ، وما قال لك فعني يقول ، فأسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون . وقول أبنه الإمام الحسن لأحمد بن إسحاق أيضاً : العمري وأبنه ثقتان ، فما أديا إليك فعنّي الثقتان المأمونان(١) . وهذه شهادات واضحة في الأشارة إلى وكالتهما والأعتماد عليهما ، حتى كان الشيعة في زمان العسكري يحملون أموالهم عن طريق العمري الأب ، فكان يجعلها في أجربة السّمن وأزقاقه خوفاً من أنتشار أخبارها ، حتى قيل أنه كان يتجر بالسّمن تغطية على هذا الأمر . كما أنّ هناك تأكيدات كثيرة من الذين أرخوا حياته على رجاحة عقله وتدينه وإخلاصه . وهي بلا شك صفاته الحقيقية التي رفعته إلى مرتبة أحترام جميع الشيعة ، وأجتماعهم على أمانته والرجوع إليه في زمن الغيبة . وقد أستفاض في أخباره ما يدلّ على تحرّجه الشديد من القول الجزاف أو نثر الكلام على عواهنه . يقول عبد الله بن جعفر الحميري :

---

(١) وردت هاتان الشهادتان في مجلس نقل تفاصيله الكليني في الكافي : ١ / ٣٣٠ ، وحضره عبد الله بن جعفر الحميري ، وأحمد بن أسحاق وهما من رؤساء الشيعة في عصرهما .

أجتمعتُ به أنا وأحمد بن إسحاق فسألته : انت رأيت الخلَف من بعد أبي محمد ؟

فقال : إي والله ، ورقبته مثل ذا – وأومأ بيده – .

فقلت له : فبقيت واحدة .

فقال لي : هاتِ .

قلت : فالأسم ؟ .

قال : محرمٌ عليكم أن تسألوا عن ذلك ، ولا أقول هذا من عندي فليس لي أن أحلّل ولا احرم ولكن عنه ﴿ عليه السلام ﴾ فإن الأمر عند السلطان أن أبا محمد مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه وأخذهُ من لاحق له فيه . وهو ذا عياله يجولون ليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً . وإذا وقع الأسم وقع الطلب . فاتّقوا الله وأمسكوا عن ذلك [1].

وكانت رسائل الإمام وتوقيعاته تخرج إليه وإلى أبنه في مختلف الأغراض وشتى المهمات ، فكان الشيعة ينسخونها بدقة وأمانة بالغتين ، ويذيعونها في صفوفهم . وكان لهذه الرسائل دور في

---

(١) الكافي : ١/ ٣٣٠ ، غيبة الطوسي : ٢١٩ .

تطهير الحركة الشيعية من المتمردين على قيادة الوكلاء ، او المرتدين عن التشيع ، أو الذين كانوا يحاولون تشويه معالم الفكر الشيعي بالأفكار الغربية عنه . فكان يكفي أن يقال إن التوقيع خرج في لعن أحمد بن هلال أو الشلمغاني أو غيره حتى يسقط سقوطاً شنيعاً ، ولا يبقى له فيه ذكر ، ولا معه أتباع ويخرج من صفوف الشيعة خروجاً لا رجعة له بعده . وكان من الطبيعي أن تكون الثقة بهذه الرسائل مترتبة على الثقة بالوكلاء ونابعة من تصديقهم فيما ينقلونه لذلك كانت هذه الرسائل تؤدي مهمتين مزدوجتين الأولى : أنها كانت سبباً مهماً في المحافظة على نقاوة الفكر الشيعي من التيارات الطارئة عليه في ذلك الوقت ، الذي كان من المحتمل أن يشوه إلى حد بعيد . كالقول بأنقطاع الإمامة بعد الحسن العسكري﴿ عليه السلام ﴾ أو وجود الفترة أو أنتقال الإمامة إلى الأخوة ، أو تسرب الأفكار الغالية المتطرفة إليه في الوقت الذي كان فيه الجو الديني والسياسي مهيّئاً لنموها . والثانية : إنّ حركة التطهير هذه كانت ترُص صفوف الشيعة وتجمع كلمتهم ، مما أدّى إلى اجتيازهم ظروفهم المضطربة في زمن الغيبة الصغرى بنجاح تام . والتوقيعات هذه ، تتألف من ردود قصيرة تدوّن على أصل

المسائل التي كان بعض الشيعة يرسلونها إلى الإمام المهدي يسألون فيها عن أمور مختلفة ، فكانت أجوبته تردُ عليهم في أصل مسائلهم . وقد يراد بالتوقيع ، جميع الكتب التي ترد من ناحيته ، وقد سبق أن أشرنا إلى ان هذه الآثار كانت ترد على أصحاب أبيه فلمّا مضى أكثرهم أنحصرت في الوكلاء السفراء ، وهو ما أدّى إلى تخصيص وظيفة السفارة ، وتحديد مفهومها ، بحيث لم يَعُد يخرج شيء إلا عن طريق هؤلاء السفراء . وقد ذكر مؤرخو الشيعة من هؤلاء الذين كانت ترد عليهم التواقيع إضافة إلى الوكلاء : أحمد إبن أسحاق الأشعري ، وحفص بن عمرو العمري ، وأبنه محمد بن حفص ، وحافز بن يزيد الوشاء ، والحسن بن النظر ، وإبراهيم بن عبدة النيسابوري ، ومحمد بن صالح الهمداني ، وغيرهم كثير يمكن مراجعة أخبارهم في مظانّها . ولكي تكون لنا فكرة واضحة عن هذه الرسائل والمواضيع التي تعالجها ، نذكر نموذجين منها .

١- ممّا خرج إلى عثمان بن سعيد وأبنه محمد بن عثمان ، هذه الرسالة التي يبدو منها أنها جواب عن مناظرة رجل يقال له (المختار) كان ينكر أن يكون للعسكري ولد وكان يدعو إلى

إمامة جعفر بن علي عم الإمام المهدي . وقد روى الرسالة سعد بن عبد الله الأشعري (ت ٣٠١هـ) ونقلها (الصدوق) في إكماله وهي :

وفقكُمَا الله لطاعته ، وثَبّتكما على دينه ، وأسعدكُما بمرضاته ، انتهى إلينا ما ذكر أنّ(الميسمي) أخبركما عن المختار ومناظرته من لقي واحتجاجه بانه لا خلف غير جعفر بن علي وتصديقه إياه .

وفهمت جميع ما كتبتما به . مما قال أصحابكم عنه . وأنا أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء ، ومن الضلالة بعد الهدى ، ومن موبقات الأعمال ، ومرديات الفتن ، فإنه﴿ عزّ وجلّ ﴾يقول ﴿ الم ❖ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ كيف يتساقطون في الفتنة ويترددون في الحيرة ، ويأخذون يميناً وشمالاً ؟ فارقوا دينهم أم أرتابوا ! أما عاندوا الحق أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة .

أو عملوا ذلك فتناسوا ما يعلمون أن الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهراً وإما مغموراً ! أو لم أنتظام أئمهتم بعد نبيهم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ واحداً بعد واحد ، إلى أن أفضى بأمر الله﴿ عزّ وجلّ ﴾إلى

الماضي – يعني الحسن بن علي ﴿ عليه السلام ﴾ – فقام مقام آبائه ﴿ عليهم السلام ﴾ يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . كان نوراً ساطعاً وشهاباً لامعاً وقمراً ظاهراً ، ثم أختار الله﴿ عز وجل ﴾ له ما عنده ، فمضى على منهاج آبائه﴿ عليهم السلام ﴾حذو النّعلِ بالنّعل ، على عَهْدٍ عَهِدَهُ ووصيةٍ أوصى بها إلى وصي ستره الله﴿ عز وجل ﴾بأمره إلى غايته وأخفى مكانه بمشيئة القضاء السابق والقدر النافذ ، وفينا موضعه ولنا فضله . ولو قد أذن الله﴿ عز وجل ﴾ فيما قد منعه عنه ، وأزال عنه ما قد جرى به حكمه لأراهم الحقّ ظاهراً بأحسن حيلة وأبين دلالة وأوضح علامة ولأبان عن نفسه وأقام الحجة .

ولكن أقدار الله عز وجل لا تغلب وإرادته لا ترد وتوقيعه لا يسبق فليدعن عنهم أتباع الهوى وليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه ولا يبحثوا عما ستر عنهم فيأثموا ولا يكشفوا ستر الله﴿ عز وجل ﴾ فيندموا . وليعلموا أن الحق معنا وفينا . ولا يقول ذلك سوانا إلا كذاب منهمك ، ولا يدعيه غيرنا إلا ضال غوي

فليقتصروا منّا على هذه الجملة دون التفسير ، ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله) [١].

٢- ومما خرج إلى أحمد بن أسحاق الأشعري جواب رسالة بعثها إليه ضمن كتاب من جعفر بن علي يدعو بعض الشيعة إلى إمامته ويعلمه أنه القيم بعد أخيه الحسن . فكان الجواب :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، اتاني كتابك ، ابقاك الله والكتاب الذي أنفذته درّجه وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمنه على أختلاف ألفاظه . ولو تدبرته ، لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه . والحمد لله رب العالمين ، حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا . أبى الله﴿ عزّوجلّ ﴾ للحق إلا تماماً وللباطل إلا زهوقاً هو شاهدٌ علي بما ذكره .ولي عليكم – إذا اجتمعنا ليوم لا ريب فيه ، ويسألنا عما نحن فيه مختلفون – أنه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ، ولا عليك وعلى أحدٍ من الخلق جميعاً إمامة مفترضة ولا طاعة ولا ذمة . وسأبين لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله تعالى ، يا هذا ، يرحمك الله ، إنّ لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم سدى .

---

(١) إكمال الصدوق : ١٨٩/ ٢ . والنص مصحح من نسختي الإكمال الحجرية والنجفية الحروفية .

بل خلقهم بقدرته ، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً ثم بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم وما آتاهم من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والآيات الغالبة فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً وأتخذه خليلاً ومنهم من كلمه تكليماً وجعل عصاه ثعباناً مبيناً ، ومنهم من أحيى الموتى بإذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله ، ومنهم من علمه منطق الطير وأوتي من كل شيء . ثم بعث محمداً ﴿ﷺ﴾ رحمةً للعالمين ، وتمم به نعمته ، وختم به أنبياءه ، وأرسله إلى الناس كافة ، وأظهر من صدقه ما أظهر ، وبين من علاماته ما بين ثم قبضه ﴿ﷺ﴾ حميداً فقيداً سعيداً . وجعل الأمر من بعده إلى اخيه وأبن عمه ووصيه ووارثه علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ ، ثم إلى الأوصياء من ولده واحداً واحداً ، احيى بهم دينه ، وأتم بهم نوره وجعل بينهم وبين إخوانهم والأدنين من ذوي أرحامهم فرقاناً بيناً يعرف به الحجة من المحجوج ، والإمام من المأموم بأن عصمهم من الذنوب وبرأهم من العيوب وطهرهم من الدنس ونزههم من اللبس وجعلهم خزان علمه ، ومستودع حكمته وموضع سره وأيدهم بالدلائل ولولا ذلك لكان الناس على سواء ولا دعا أمر الله

﴿ عزّ وجلّ ﴾كل أحد ولما عرف الحق من الباطل ولا العالم من الجاهل . وقد أدعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما أدعاه .

فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتم دعواه . أبفقهٍ في دين فو الله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يفرق بين خطأ وصواب .أما بعلمٍ! فما يعلم حقاً من باطل ،و لا محكماً من متشابه ولا يعرف حدّ الصلاة ووقتها . أم بورع فالله شهيدٌ على تركه صلاة الفرض أربعين يوماً . يزعم ذلك لطلب الشعوذة . ولعل خبره قد تأذى إليكم وهاتيك ظروف مسكره منصوبة ، وآثار عصيانه لله﴿ عزّ وجلّ ﴾مشهورة قائمة . أم بآيةٍ! فليأت بها . أم بحجة ! فليقمها . ام بدلالة ! فليذكرها . قال الله﴿ عزّ وجلّ ﴾في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم ❖ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ❖ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ❖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ

غَافِلُونَ ❖ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ فالتمس (تولى الله توفيقك)من هذا الظالم ما ذكرت لك وأمتحنه وسله عن آية من كتاب الله يفسرها لك أو صلاة فريضة يبين حدودها . حفظ الله الحق على أهله ، وأقره في مستقره وقد أبى الله ﴿ عزّوجلّ ﴾أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين ﴿ عليهما السلام ﴾.

وإذا أذن لنا في القول ظهر الحق وأضمحل الباطل وأنحسر عنكم وإلى الله أرغب في الكفاية وجميل الصنيع والولاية . وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآل محمد [1].

محمد بن عثمان العَمْري

وهو أبن الشيخ المتقدم وشريك أبيه في الوكالة فلما توفي أبوه أستقل بها وحده . وقد مرت التوثيقات فيه وفي أبيه ، لذلك لم تتردّد الشيعة في قبول وكالته والالتفاف حوله . وهو الذي أشتهرت الرواية عنه بأنه رأى الإمام المهدي مرتين ، مرة عند البيت الحرام وهو يقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني ومرة

---

(١) غيبة الطوسي : ١٧٤ . واحتجاج الطبرسي : ٢٧٩ / ٢ . والنص مصحح في كليهما

متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول :اللهم أنتقم لي من أعدائي[1] .

ولهاتين الشهادتين أهمية خاصة في أخبار المهدي لأنهما مستفيضتان عن هذا الرجل الموثوق كما يتكرر ذكرها في المصادر . وقد مكنته طول المدة التي ظل قائماً فيها بالوكالة أن يقود الحركة الشيعية قيادة هادئة سليمة لا تعرف الشيعة في هذا الأمر غيره ، ولا يرجعون إلى أحدٍ سواه . وحينما حضره موته جمع مشايخ الشيعة ورؤساءهم ، فأوصى بمحضرهم إلى الحسين بن روح ، وأعلمهم أنه مأمورٌ بالوصية إليه . ولم يكن الحسين بن روح أكثرهم خصوصية به ، ولكن المشايخ قبلوها لأنها أمر من الإمام ، فلم يختلف عليه أحد مع ان هناك أكثر من مرشح كانت الشيعة تظن أن الوصية مصروفة اليه منهم إسماعيل بن علي النوبختي ، وقد سئل فقيل له : كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم بن روح دونك؟فقال : هم أعلم وما أختاروه ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة لعلي كنت أدلُّ على مكانه وأبو القاسم لو كان الحجة تحت ذيله وقرض

---

(١) إكمال الصدوق : ١١٤ / ٢ . وغيبة الطوسي : ١٣٨ و ١٥١ .

بالمقاريض ما كشف الذيل[1]. ومنهم جعفر بن أحمد بن مثيل ، الذي يروي الشيخ الطوسي في حقه ما نصه : وقال مشايخنا : كنا لا نشك إن كانت كائنة من أبي جعفر لا يقوم مقامه إلا جعفر بن أحمد بم مثيل أو أبوه لما رأينا من الخصوصية به وكثرة كينونته في منزله حتى بلغ أنه كان في آخر عمره لا يأكل طعاماً إلا ما اصلح في منزل جعفر بن أحمد بن مثيل وأبيه بسببٍ وقع له . وكان أصحابنا لا يشكون إن وقعت حادثة لم تكن الوصية إلا إليه من الخصوصية به . فلما كان عند ذلك ووقع الاختيار على أبي القاسم سلموا ولم ينكروا وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر ﴿ رضي الله عنه ﴾[2] الغرض أن هذه النصوص وغيرها تشير بوضوح إلى جلالة محمد بن عثمان والمكانة التي يحتلها في زعامة الشيعة في الغيبة الصغرى . وقد توفي في سنة ٣٠٥ هـ وفي رواية أخرى في سنة ٣٠٤هـ .

---

(١) النص من غيبة الطوسي : ٢٤٠ ، وفيه (وضغطتني الحجة على مكانه لعلي كنت أدل عليه) ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) غيبة الطوسي : ٢٢٥ . وفيه بعد قوله (بسبب وقع له) : (وكان طعامه الذي يأكله في منزل جعفر وأبيه) . وقد وجدتها زائدةٍ ومكررة فحذفتها من النص .

الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي

وهو من بني نوبخت عائلة فارسية كان جدهم الأعلى نوبخت منجماً في خدمة المنصور وتنبأ له بمقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فأقطعه ألف جريب ، ولمّا مات قام ولده أبو سهل مقامه وأحسب أن العائلة كلها من ابي سهل هذا . وقد عرفوا بالتشيع كما عرفوا بأنهم كانوا ذوي مواهب متعددة ووجاهةٍ اجتماعية منهم : إسماعيل بن أسحاق صاحب كتاب الياقوت في علم الكلام وإسماعيل بن علي الذي تردّد أسمه كثيراً في هذه الرسالة وأبنه إسحاق بن إسماعيل الذي قتله الخليفة القاهر بعد أن عمل على مجيئه للخلافة ومنهم الحسين بن علي كاتب أبن رائق أمير الأمراء ووزيره في أول دخوله إلى بغداد وبمشورته ونصحه وصل أبن رائق إلى ما وصل إليه ومنهم موسى بن الحسن وكان نجماً وعاملاً ومفوهاً وأبنه الحسن بن موسى صاحب كتاب فرق الشيعة ومنهم أحمد بن أبراهيم أحد مشايخ الشيعة في عصر السفراء وهو صهر محمد بن عثمان وأحد خواصه وجّد أحمد بن محمد الكاتب المعروف بهبة الله لأمه . وقد روى هبة الله كثيراً من أخبار السفراء وسمع من جدته أم كلثوم بنت محمد بن عثمان ، لنه أبن أبنتها وهذا معنى قوله الذي تردّد في المصادر القديمة حدثني خالي

جعفر بن أحمد بن إبراهيم النوبختي. ولما مات محمد بن عثمان أختص أحمد بن إبراهيم بالحسين بن روح وصار يكتب له أجوبة المسائل التي كانت تخرج على يديه.

أما الحسين بن روح فقد كان وكيلاً لمحمد بن عثمان ينظر في أملاكه ويلقى بأسراره رؤساء الشيعة فمهدت له هذه الحال أن يحتل في الحركة الشيعية موضعاً مروقاً وأن ينتشر فضله وتدينه بينهم .

ثم أن العمري في سِنِيه الأخيرة كان يأمر بتسليم ما يصل إليه من أموال الشيعة إلى الحسين بن روح فلما انتهت إليه الوكالة لم يكن ذلك غريباً عليهم لمعرفتهم بتوثيق العمري إياه وأختصاصه به .

ومن مجموعة أخبار تظهر للدارس مكانته في الفقه والرواية وتسليمهم بطول باعه فيهما حتى قيل : إن دور الشلمغاني في كتاب التكليف لم يكن أكثر من أصلاح فصوله وعرضها على الشيخ أبن روح فينقحها له ويحككها .

كما كانت الأسئلة الفقهية ترد عليه من مدينة قم على ما فيها من علماء وفقهاء فيجيب عنها ويفتي فيها لذلك قالوا في مثلها

أنها من غملاء أبي القاسم بن روح وخط أحمد بن إبراهيم كما حفظت عنه أجوبة دقيقة وفريدة في كثير من المسائل العويصة التي كانت مثار الجدل بين المتكلمين .

ولكن نقف نعرض أحد أجوبته في أغمض المسائل الكلامية . وهي : لماذا يمكن الله تعالى أعداءه من أوليائه في الحياة الدنيا ؟ ولماذا يسلطهم عليهم من غير أن يكونوا قد أجترحوا ذنباً أو فارقوا ما يوجب غضبه عليهم ؟.

قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني :

كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح فقال له رجل : أني أريد أن أسألك عن شيء ؟

فقال : سل عما بدا لك ؟

فقال الرجل : أخبرني عن الحسين بن علي ، أهو ولي الله؟ .

قال : نعم .

قال : أخبرني عن قاتله لعنه الله ، أهو عدو الله ؟ .

قال : نعم .

قال الرجل : فهل يجوز أن يسلط الله﴿ عزّ وجلّ ﴾ عدوه على وليه .

فقال له أبو القاسم (قدس سره) : أفهم عني ما أقول لك . أعلم أن الله﴿ عزّ وجلّ ﴾ لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان ولا يشافههم بالكلام ولكنه جل جلاله يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً كثلهم ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم . فلما جاؤوهم من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون معهم في الأسواق قالوا لهم : أنتم بشرٌ مثلنا ولا نقبل منكم حتى تأتوا بشيء نعجز أن نأتي بمثله ، فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه . فجعل الله ﴿ عزّ وجلّ ﴾ لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها فمنهم من جاء بالطوفان بعد الأنذار والأعذار فغرق جميع من طغى وتمرد ومنهم من ألقي في النار فكانت عليه برداً وسلاماً ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة ، وأجرى من ضرعها اللبن ، ومنهم من فلق له البحر وفجر له من الحجر العيون ، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً يلتقف ما يأفكون ، ومنهم من ابرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ومنهم من أنشق له القمر وكلمته البهائم

مثل البعير والذئب وغير ذلك . فلما أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق من أممهم أن يأتوا بمثله كان تقدير الله جل جلاله ولطفه بعباده أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبين وأخرى مغلوبين وفي حال قاهرين وأخرى مقهورين ولو جعلهم عز وجل في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم لأتخذهم الناس آلهة من دون الله ﴿ عزّ وجلّ ﴾ ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والأختبار . ولكنه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين وفي العافية والظهور على الأعداء شاكرين ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين وليعلم العباد أن لهم ﴿ عليهم السلام ﴾ إلهاً هو خالقهم ومدبرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله ويكونوا حجة لله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيه وأدعى لهم الربوبية أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل وليهلك من هلك عن بينة ويحيى عن بينة .

قال محمد بن إبراهيم بن أسحاق ﴿ رحمه الله ﴾: فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح(قدس سره)من الغدو ، وأنا أقول في نفسي : أتراه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه ؟ فابتدأني فقال :

يا محمد بن إبراهيم ، لئن أخرٌ من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح من مكان سحيقٍ أحبُ إليّ من أن أقول في دين الله عزوجل برأيي ومن عند نفسي . بل ذلك عن الأصل ومسموع من الحجة (صلوات الله عليه) [1].

ثم أن من صفات الشيخ أبن روح التي كثر الحديث عنها في مصادر ترجمته ، استيعابه للظروف السياسية القائمة وتقديره للأوضاع التي كانت تمر بها الحركة الشيعية . ففي أيام سفارته أنفصمت عروة الشلمغاني وخرج اللعن بن هلال وفيها أيضاً ظهرت حركة الحلاج ودعواه في السفارة الموهومة كما تعرض للحبس في دار الخليفة المقتدر سنة ٣١١هـ وتعرض له ثانية في سنة ٣١٧هـ بسبب مال طولب به [2]. ومع ذلك فقد استطاع أن يقود سفينة الحركة قيادة أتسمت بالمداراة والحزم حتى قيل عنه : انه كان من أعقل الناس عند المؤالف والمخالف وكان فيما ذكروا عنه إذا دخل عليه عشرةُ ، تسعةٌ يلعنونه وواحدٌ يتشكك في أمره فما يكادون يخرجون حتى يحبه تسعةٌ يَتَقَرَّبون بمحبته إلى الله تعالى وواحد يقف فيه ، لأن المعروف عنه أنه

---

(١) إكمال الصدوق : ١٨٤ / ٢ . وغيبة الطوسي :١٩٨ .

(٢) صلة الطبري لعريب بن سعد القرطبي : ٧٣ .

كان يجاري الحاضرين في فضل الصحابة فيما يروونه وفيما لم يرووه . وحكوا عنه أنه حضر مجلساً تناظر فيه أثنان في فضل الصحابة فزعم واحد منهما أن الترتيب في الفضل لأبي بكر ثم لعمر ثم لعلي فقال الآخر بل علي أفضل من عمر فلما طال الكلام بينهما قال الحسين بن روح : الذي أجتمعت الصحابة عليه هو تقديم الصديق ثم بعده الفاروق ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علي الوصي ، وأصحاب الحديث على ذلك وهو الصحيح عندنا .

وحكى أبن كبرياء النوبختي عنه أن له بواباً شتم معاوية فأمر بطرده وصرفه عن خدمته فبقي البواب مدة يسأل في أمره فلم يرده إلى خدمته[1].

لقد توفي (رحمه الله)في بغداد في سنة ٣٢٦ هـ .

علي بن محمد السّمري

علي بن محمد السمري[1] : وهو الوكيل الرابع بوصية من الحسين بن روح . وأخباره مع الأسف قليلة ، لأن المدة التي

---

(١) غيبة الطوسي : ٢٣٧ .

قضاها في وكالته قصيرة ، إذ لم تدم أكثر من ثلاث سنوات فقد توفي في شعبان سنة ٣٢٩هـ . كما يحتمل أن تكون الظروف السياسية المتقبلة في أواخر سني الخليفة الراضي حملته والشيعة عامة على الاستفادة من التقية في مواجهة هذه التقلبات فتستر بوظيفته المنصوب لها بعيداً عن مراقبة الدولة فقلت أخباره ولكن النزر المتبقي منها يظهر أن الشيعة لم تختلف عليه ولا في وكالته وأن مشايخهم كانوا على أتصال دائم به يحملون إليه أموالهم ويتلقون التوجيهات والأوامر منه ، كما يتقصى أخبارهم ويسأل عن أحوالهم بأسمائهم . وحينما حضرته وفاته اجتمعت الشيعة عند وسألته عن وصيه فلم يخرج لهم شيئاً وذكر لهم أنه لم يؤمر بالوصية إلى أحدٍ بعده . وبذلك أنتهى عصر السفراء الذي دام تسعاً وستين سنة .

بقي أن نذكر أن هؤلاء السفراء مارسوا وظيفتهم في بغداد،وعاشوا وماتوا فيها ، وقبورهم ما زالت إلى اليوم ظاهرةً معروفةً يزورها الشيعة باحترام وتقدير . ولعل عيشهم وموتهم إنما كتب لهم أن يكونوا في هذه المدينة بالذات لأن

---

(١) سمر بالتحريك : بلد في البطحة بين البصرة وواسط . ولا يبعد أن تكون نسبة الشيخ إليها .

بغداد كانت قلب العالم الإسلامي ومجتمع أهل الفلسفة والكلام والجدل في ذلك الوقت وفي تربتها يتم تحكيك العقائد والأصول . وهذه هي طبيعة المراكز الحضارية التي تتكثف فيها أسباب النضوج الفكري ومقومات الحضارة . فلم يكن في ميسور عقيدةٍ ما أن تنتشر وتأخذ صيتاً عريضاً قبل أن تغربل في بغداد وتعرض على صيارفة العلم . وقد ظهرت ثمرة هذه الحقيقة في كتابة تاريخ الحركة الشيعية في فترة الغيبة الصغرى فقد جرت الحوادث الرئيسية فيه على مسرحي سامراء وبغداد وعلى مسمع ومرأى من مؤرخي الشيعة وغير الشيعة ووردت فصوله في كتبهم جميعاً . كما ان شخصياته الذين جرت حوادثه على أيديهم عاشوا في أضواء هذه المراكز الحضارية وفي خضم الأحداث . ولعل أقل ما يمكن قوله عن هؤلاء السفراء : ان دورهم كان نظيفاً وناصعاً من غير مغمزٍ فيهم ولا مطعنٍ في تعاملهم مع أتباعهم ومريديهم . وسواءٌ خدعوا أنفسهم والشيعة بهذه السفارة أم كانوا صادقين فيها فقد أخلصوا لمهمتهم التي ندبوا لها ونهضوا بأعبائها بشجاعة وصدق . ومن المحتمل أن لو لم يكن هؤلاء الحكماء على رأس الحركة الشيعية في تلك الفترة العصيبة لتمزقت شر ممزّقٍ

ولتحول تاريخ الشيعة عبر ثلاثة قرونٍ هي عمر الإسلام كله إلى مجموعة مشتتةٍ من العقائد الناقصة والمقالات المبتورة ، والفكر المُهَلهَل .

الفصل الرابع

بين الجزيرة والمثلث

أعتقد – قارئي العزيز – أننا قد أخذنا في الباب السابق فكرة مبسطة حول المثلث الشهير بمثلث برمودا وما تحدث فيه من حوادث غريبة أثارت حيرة العلماء في حينها وكان من جملتها – كما بيناه – هبوط بعض صحون الطائرة فيه وانطلاقها منه ومعه عرفنا رأي العلماء في الغرب أو الشرق حول هذه الظاهرة واحتمالاتها بشأنها . وقد طرحنا نحن أيضاً هناك فرضيتنا والتي قلنا فيها بأحتمال أن تكون هذه البقعة هي نفسها الجزيرة الخضراء المباركة التي سنتعرض لقصتها في هذا الفصل .

ولكي نعرف تفصيلاً ما هي قصة هذه الجزيرة المباركة بوجود الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ فسننقل – أنا وأنت – في هذا الفصل الجديد من بحثنا إلى ما قبل سبعة قرون مضت لنعيش مع أهل

الزمان الغابر فنتعرف على رجل منهم يسكن العراق مجاوراً للغري الشريف ويدعى الشيخ زين الدين علي بن فاضل [١].

وكان هذا الشيخ قد ذهب إلى منطقة ما من المحيط الأطلسي قد تكون هي مثلث برمودا وقد تكون غيرها ، إلا أنه رضوان الله عليه قد أعطانا وصفاً لتلك المنطقة التي زارها سنة ٦٩٠ هـ [٢] نجده متشابهاً ومتطابقاً تمام التطابق مع كثير من الأوصاف التي ذكرت لمثلث برمودا من قبل العديد من الطيارين والملاحين أو العلماء ومنها على سبيل ما ذكره قائد سرب الطائرات الخمسة - والذي تعرضنا لقصته بالتفصيل فيما سبق - حين ضلّ الطريق ودخل منطقة المثلث . فكان من جملة ما قاله في مكالمته مع برج المراقبة العبارات التالية :

وحتى البحر لا يشبه نفسه يظهر أننا ندخل مياهاً بيضاء وأننا نمر فوق جزيرة صغيرة. ثم كان آخر ما تلفظ به .لقد ضعنا نهائياً

---

(١) له ترجمة في (الذريعة) ج١٦ ص٣٤٣ وفي (طبقات أعلام الشيعة) ج٥ ص١٤٥ .

كما ترجم له الميرزا الأفندي في (رياض العلماء) مرتين : في الجزء الرابع ص١٧٥ والجزء الثاني ص٣٨٦ و وصفه بأنه من أجلة أصحابنا . كذلك ترجم له - نقلاً عن الرياض - العلامة الكبير السيد محسن الأمين العاملي في موسوعته (اعيان الشيعة) في المجلدين : السابع ص١٥٨ والثامن ص٣٠٢ - ٣٠٣ من الطبعة الخامسة الكبيرة .

(٢) راجع مخطوطة (تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي) للعلامة السيد هاشم البحراني - الحكاية الخامسة والسبعون .

نفس هذه العبارات سنسمعها من فم الشيخ زين الدين علي بن فاضل حين يصف لنا في رحلته تلك المنطقة التي وصلها وذلك عند ما ذهب مع أستاذه إلى الأندلس ومن الأندلس خرج مسافراً برفقة قافلة تجارية إلى أرض البربر(بلاد المغرب) ومن بلاد المغرب حيث كانت هناك جزيرة لبعض المسلمين من الشيعة تسمى جزيرة الرافضة مطلة على الأطلسي – كما سنرى – أنطلق في مركب خاص راح يمخر به عباب الأطلسي حتى وصل إلى بقعة كبيرة من المياه البيضاء[1] ، قال عنها في قصته :

فلما كان في السادس عشر من مسيرنا في البحر رأيت ماءً أبيضاً فجعلت أطيل النظر أليه فقال لي الشيخ وأسمه محمد : مالي أراك تطيل النظر إليه ؟ فقلت : اني أراه على غير لون ماء البحر [2].

---

(١) وقد مر بنا في ص : ٤٢-٤٣ من هذا الكتاب تأكيد الطيارين والملاحين وربابنة السفن على وجود المياه البيضاء في منطقة المثلث . وهناك قلنا بأن هذه المياه قد لاحظها حتى كريستوف كولومبس أثناء رحلته الشهيرة إليها بل وحتى روّاد الفضاء في عصرنا هذا . كما ذكرنا هناك أيضاً بأن ما ذكره الباحث الأمريكي تشارلز بيرلتز من ان كريستوف كولومبس هو أول من شاهد هذه المياه البيضاء وسجل ملاحظاته عنها ليس صحيحاً إذ سبقه علي بن فاضل هذا بمائتي عام في قصته هذه .

(٢) بحار الأنوار / الجزء : ٥٢ / ص١٦٦ .

فترى التشابه كبيراً بين قول الشيخ زين الدين أني أراه على غير لون ماء البحر وبين قول قائد السرب وحتى البحر لا يشبه نفسه وكذلك بين قول الشيخ رأيت ماء أبيضاً وبين قول قائد السرب إننا ندخل مياهاً بيضاء . ثم إنك ستسمع جواب الشيخ محمد على سؤال الشيخ زين الدين حول سبب أختلاف ماء البحر حين يقول له :

هذا هو البحر الأبيض ..وتلك الجزيرة وهذا الماء مستدير حولها مثل السور من أي الجهات أتيته وجدته وبحكمة الله تعالى أن مراكب أعدائنا إذا دخلته غرقت وأن كانت محكمة ببركة مولانا وإمامنا صاحب العصر عليه السلام[١].

وهنا أيضاً نجد التشابه واضحاً بين جواب الشيخ محمد في قوله وتلك الجزيرة الخضراء وبين تأكيد قائد سرب الطائرات الخمسة إننا نمر فوق جزيرة صغيرة .

كما يجب أن لا نغفل عن الخبر الذي ذكره الشيخ محمد في جوابه حول غرق مراكب أعداء الإمام إذا دخلت المياه البيضاء وأن كانت محكمة وبين الواقع الذي عليه المثلث اليوم

(١) بحار الأنوار / الجزء : ٥٢ / ص :١٦٦ .

من غرق البواخر والسفن وأختفاء الطائرات وغيرها فيه مهما كانت متطورة أو متقنة ومحكمة .

ولكن ليست كل طائرة وباخرة تغرق وتختفي فقد وجدنا بعضها لا يصيبها شيء رغم مرورها في منطقة المثلث مما لا نجد له تفسيراً هنا إلا أن يكون هذا البعض - من البواخر والطائرات - مما لا يصدق عليه كونه من مراكب أعداء الإمام وأن كان مالكه كافراً ، لعله من العلل أو لسبب من الأسباب كأن يكون في داخلها مسلم مثلاً أو شيء آخر لا نعلمه . ويتضح لنا هذا في مفهوم جواب الشيخ محمد ان مراكب أعدائنا إذا دخلته غرقت وأن كانت محكمة ببركة مولانا وأمامنا صاحب العصر﴿ عليه السلام ﴾ مما يعني أن المراكب التي لا يصدق عليها كونها مراكب محضة للأعداء لا يصيبها شيء ولا تغرق! فهو لم يقل أن كل مركب إذا دخلها يغرق) أو ان المراكب إذا دخلته غرقت. بل خصص الغرق والتلف والدّمار بالمراكب التي يصدق عليها كونها مراكب اعدائنا .

وأن ما حدث للمراكب والطائرات والسفن والبواخر على أختلاف أنواعها وتعدد جنسياتها من الكوارث والحوادث الغريبة والغامضة . هو عين ما أخبربه الشيخ محمد في جوابه :

أن مراكب أعدائنا إذا دخلته غرقت وان كانت محكمة ببركة مولانا وأمامنا صاحب العصر﴿ عليه السلام ﴾ .

في بحار الشيخ المجلسي

وقصة هذه الجزيرة المسماة بالخضراء موجودة في بحار الشيخ المجلسي رضوان الله تعالى عليه . وبحار الشيخ المجلسي – عزيزي القارئ – ليست مجموعة من البحار المعروفة التي تقع على الأرض وتحيط ببلدانها كالبحر الأحمر والأبيض أو الكاريبي! بل هي مجموعة من بحار العلوم التي جمعها ذلك الشيخ الفذ المدعو محمد باقر المجلسي من امهات المصادر ومئات الكتب الفريدة التي ذكرها في مقدمته وبيّن خصوصياتها وطرقه إلى أصحابها . وقد أشتملت بحاره هذه على مختلف العلوم الإسلامية المتعلقة بأصول الدين وفروعه ، ولا نغالي إذا قلنا عنها بأنها موسوعة علوم .

وتقع هذه الموسوعة الإسلامية في خمس وعشرين مجلداً ضخماً من المجلدات القديمة الكبيرة ذات الطبعة الحجرية . وقد طبعت في السنين الأخيرة ، فأصبحت هذه الموسوعة في طبعتها الجديدة الحروفية(١١٠) أجزاء من القطع الوزيري ، طبع منها ١٠٤ مجلدات ! وقد أختار لها الشيخ المجلسي عليه الرحمة أسم بحار الأنوار الجامعة لدور أخبار الأئمة الأطهار .

ومن أعماق هذه البحار أستخرجت قصة الجزيرة الخضراء وحاولت ان أقدمها للقارئ الكريم بعد أن وضعت تحتها بعض الهوامش التي يتطلبها عرض القصة التي دارت أحداثها في العقد الأخير من القرن السابع الهجري بينما نعيش اليوم ونحن على أبواب القرن الخامس عشر من الهجرة النبوية الشريفة .

وليكن معلوماً هنا بأن الذي يجب أن لا يغيب عن البال هو أن الشيخ المجلسي ليس أول من وجد هذه الرسالة ورواها في بحاره كما قد يظن ذلك بعض من لا دراية له بهذه الحكاية وأنّما قد سبقه إلى ذكرها بعض كبار علمائنا المحققين نذكر منهم في هذه العجالة العلامة السند القاضي نور الله المرعشي

صاحب (أحقاق الحق) و(مجالس المؤمنين) المستشهد في الهند من قبل أن يولد الشيخ المجلسي بثمانية عشر عاماً[١] حيث ذكر شطراً منها في (مجالسه) الذي شرع في تأليفه عام ٩٨٢هـ وأنتهى منه في عام ٩٩٠هـ [٢]. فقد قال هذا القاضي الشهيد رحمة الله عليه عند تعداده للأماكن المخصوصة بالأئمة الطاهرين وشيعتهم في المجلس الأول ما ترجمته .

الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض :

وهي جزيرة تقع في بلاد البربر في بحر الأندلس ، يقطنها الإمام صاحب الزمان ﴿ عليه السلام ﴾ وأولاده وأصحابه ، وبين الأندلس وساحل البحر المذكور مسيرة خمسة عشر يوماً . وأن مقدار مسيرة يومين من بداية تلك المسافة صحراء مقفرة لا يحصل فيها ماء ، وأما سائر الطريق فعامر والقرى فيه كثيرة ومتصلة .

وعلى ساحل البحر أيضاً موضع على شكل جزيرة يسميها أهل الأندلس بجزيرة الرفضة ، لأن سكان تلك الجزيرة كلهم شيعة إمامية . وأن أمتعتهم الضرورية تجلب اليهم من الجزيرة

---

(١)كانت شهادة القاضي عام ١٠١٩هـ وولادة المجلسي عام ١٠٣٧هـ.

(٢) راجع الذريعة إلى تصانيف الشيعة / ج١٩ / ص : ٣٧٠ .

الخضراء حيث يقيم الإمام صاحب الزمان﴿ عليه السلام ﴾ ، من قبل وكيل الناحية المقدسة في كل عام مرتين يحملها إليهم في السفن على البحر الأبيض المحيط بتلك الناحية المقدسة ويقسمها على أهالي تلك الجزيرة ويعود .

وقد ساعد التوفيق أحد صلحاء الشيعة في الأزمنة السابقة لأن يصل إلى ذلك الموضع . وقد روى تفصيل تلك القصة الطويلة الشيخ الأجل السعيد الشهيد محمد بن مكي(قدس سره) وهو احد أعاظم فقهاء الشيعة الإمامية بأسناده عن الرجل الصالح المشار أليه وحرّرها في بعض أماليه .

كما اوردها السيد الأجل العظيم الشأن الأمير شمس الدين أسد الله التستري رحمه الله تعالى في رسالته التي صنفها بأمر السلطان المغفور له صاحب قران في حكم ومصالح غيبة الإمام صاحب الزمان ﴿ عليه السلام ﴾.

ويظهر من تلك القصة أن للإمام ﴿ عليه السلام ﴾ في تلك الناحية المقدسة أولاداً وأصحاباً يشتغلون في مساجدهم ومنازلهم بالطاعة والعبادة وتعليم وتعلّم المسائل الدينية . وقد وقف

خارج البقعة المقدسة جنود العساكر على أهبة الأستعداد كلّهم ينتظرون فرج آل محمد)(١) .

هذا ونحيل ذكر الباقين من العلماء ـ وخصوصاً الشهيد الأول الذي روى تفصيل القصة باسناده عن علي بن فاضل وحرّرها في بعض أماليه كما اشار القاضي هنا ـ .

الرسالة ..وقصة الجزيرة

وهذه هي القصة كما اوردها الشيخ المجلسي ﴿ رحمه الله ﴾في (بحاره) من دون تعليق إو اشارة أو شرح سوى قوله رحمة الله عليه (وجدت رسالة مشتهرة بقصة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض أحببت ايرادها لأشتمالها على ذكر من رآه ولما فيه من الغرائب . وأنما أفردت لها باباً لأنّي لم أظفر به في الأصول المعتبرة ولنذكرها بعينها كما وجدتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لمعرفته والشكر له على ما منحنا للأقتداء بسنن سيّد بريّته محمد الذي أصطفاه من بين خليقته وخصّنا

---

(١) مجالس المؤمنين / للقاضي الشهيد نور الله المرعشي / المجلس الأول في الأماكن / مخطوط .

بمحبة علي والإئمة المعصومين من ذريته صلى الله عليهم أجمعين الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ... فقد وجدت [١] في خزانة أمير المؤمنين﴿ عليه السلام ﴾ وسيد الوصيّين وحجة رب العالمين وإمام المتقين علي بن أبي طالب

---

(١) ولكن من هو هذا القائل (وبعد فقد وجدت..) والذي يبدو لنا من عبارته هذه انه كان عارفاً بخط الشيخ الفضل بن يحيى كاتب تلك القصة والراوي لها عن علي بن فاضل صاحب الرحلة إلى الجزيرة ؟.

والواقع أن هذه الرسالة التي وجدها الشيخ المجلسي والمشهرة كما قال عنها بقصة(الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض) لا توجد فيها أية اشارة إلى شخص(الواجد) أو أسمه ولو كان فيها شيء من ذلك لما أهمله الشيخ المجلسي بل لذكره ونبه عليه جاري عادته في (البحار) ولما لم يفعل عرفنا أنه لم يكن لديه شيء من ذلك .

على أنه هناك من يرى القائل في اول الرسالة (وبعد فقد وجدت) هو العالم العامل والفاضل الكامل الشهيد الأول محمد بن مكي (رحمه الله) . وقد ذكر هذا الرأي ومال إليه خاتمة المحدثين الميرزا حسين نوري – نور الله مرقده – في كتابه (النجم الثاقب) ناقلاً ذلك عن كتاب المناقب للمولى محمد كاظم الهزارجريبي وهو أحد الأعلام من تلامذة الوحيد البهبهاني حيث ذكر هذا المولى في مناقبه ما ترجمته كما في (النجم الثاقب – ص٢٩٦) :

(وهذه الحكاية منقولة عن خط الشيخ الأجل الأفضل الأعلم الأعمل الأكمل عمدة الفقهاء والمجتهدين مجدّد مراسم الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) محمد بن مكي المشهور بالشهيد...إلى قوله : وأن الشيخ المعظم الشهيد السعيد المشار اليه هو القائل : وبعد فقدت وجدت ...الخ) .

ومن نص هذه العبارة نعرف أن الأشكال الذي اورد على هذا الرأي في مقدمة كتاب (كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار – ص : ١٨) بدعوى أن مما يبعده هو عدم معقولية أن يكون الشيخ المجلسي غير عارف بخط الشهيد الأول .. إشكال غير وارد لأن عبارة صاحب المناقب هذه صريحة بكون هذه الحكاية (منقولة عن خط الشهيد) ومن المحتمل قوياً ان يكون الشيخ المجلسي قد وجد الرسالة المنقولة عن خطه لا المكتوبة بخطه ! والا لصرح بذلك ونبّه عليه لمعرفته بخط الشهيد الأول فعدم التصريح هنا دليل العدم .

لكن الذي يدقق النظر في عبارة القاضي الشهيد نور الله في المجالس والتي يقول فيها (وقد روى تفصيل تلك القصة الطويلة الشيخ الأجل السعيد الشهيد محمد بن مكي (رحمه الله)

﴿ عليه السلام ﴾ بخط الشيخ الفاضل والعالم العامل الفضل بن يحيى بن علي الطيبي الكوفي (قدس سره)[1] ما هذا صورته :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم .

وبعد ..فيقول الفقير إلى عفو الله سبحانه وتعالى الفضل بن يحيى بن علي الطيبي الإمامي الكوفي عفى الله عنه :قد كنت سمعت من الشيخين الفاضلين العالمين ، الشيخ شمس الدين بن نجيح الحلي[2] والشيخ جلال الدين عبد الله بن الحوام[1]

وهو أحد أعاظم فقهاء الشيعة الإمامية باسناده عن الرجل الصالح المشار اليه وحرّرها في بعض أماليه) سيحصل لديه الاطمئنان من أخبار القاضي نور الله هذا بأن للشهيد الأول (رحمه الله) طريقاً مسنداً معنعناً إلى صاحب القصة الشيخ زين الدين علي بن فاضل غير طريق الوجادة الذي ذكره المولى محمد كاظم الهزارجريبي في مناقبه .

وأن كان هذا لا يمنع أن يكون للشهيد الأول طريقان إلى رواية هذه القصة : الأول – الوجادة : حيث وجد الرسالة في خزانة أمير المؤمنين(عليه السلام) فنقلها بخطه عن خط الفضل بن يحيى . والثاني السماع : حيث اتاحت له الفرصة بعد ذلك أن يروي القصة سماعاً بسنده عن علي بن فاضل ويحررها في اماليه ولا أستبعد أن يكون الشهيد الأول إلى علي بن فاضل بواسطة الفضل بن يحيى الطبي نفسه اما كيف نثبت ذلك فهذا ما حاولته .

(١) وقد ترجم له الحر العاملي في امل الأمة ج٢ ص٢١٧ والمحقق الأفندي في رياض العلماء ج٤ ص٣٧٥ والسيد الخوئي في معجم رجال الحديث ج١٣ ص٣٤١ والشيخ الطهراني في الذريعة ج٥ ص١٠٥ وعمر رضا كحاله في معجم المؤلفين المجلد ١٣ ص٤١١ .

(٢) وقد ترجم له العلامة الكبير السيد محسن الأمين العاملي في أعيان الشيعة المجلد السابع الصفحة ٣٥٢ ناقلاً عن (مجموعة) للعلامة المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي وصفه فيها بقوله (عالم فاضل فقيه محدّث أصولي روى حديث الجزيرة الخضراء عن نفس صاحبها الشيخ زين الدين المازندراني النجفي سنة ٦٩٩) .

للشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق وجلاء العيون للسيد عبد الله شبر وكما في نسخة تفسير الأئمة للميرزا محمد رضا النصيري المعاصر للشيخ المجلسي ونسخة التبصرة

الحلي قدس الله روحيهما ونوّر ضريحهما في مشهد سيد الشهداء وخامس أصحاب الكساء مولانا وأمامنا أبي عبد الله الحسين﴿ عليه السلام ﴾ في النصف من شهر شعبان سنة تسع وتسعين وستمائة [٢] من الهجرة النبوية على مشرفها محمد وآله أفضل الصلاة وأتم التحية حكاية ما سمعاه من الشيخ الصالح التقي والفاضل الورع الزكي زين الدين علي بن فاضل المازندراني[٣] المجاور بالغري على مشرفيه السلام حيث اجتمعا به في مشهد الإمامين الزكين الطاهرين المعصومين السعيدين

للسيد هاشم البحراني . وقد ترجمه بهذا الأسم (جلال الدين عبد الله بن الحوام الحلي) الشيخ أغا بزرك الطهراني في طبقات اعلام الشيعة ج٥ ص ١٢١ .

(١) وهو الصحيح كما في أغلب النسخ التي نقلت القصة عن البحار فأنها أوردته بهذا الأسم كالكشكول للشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق وجلاء العيون للسيد عبد الله شبر وكما في نسخة تفسير الأئمة للميرزا محمد رضا النصيري المعاصر للشيخ المجلسي ونسخة التبصرة للسيد هاشم البحراني . وقد ترجمه بهذا الأسم (جلال الدين عبد الله بن الحوام الحلي) الشيخ أغا بزرك الطهراني في طبقات اعلام الشيعة ج٥ ص ١٢١ .

(٢) وهذا هو الطريق الأول الذي يروي به الفضل بن يحيى القصة عن علي بن فاضل بواسطة هذين الشيخين الجليلين حين سمع منهما في مشهد الإمام الحسين(عليه السلام) بمدينة كربلاء يوم ١٥ / شعبان / عام ٦٩٩ هـ حكاية ما سمعاه من الشيخ زين الدين علي بن فاضل حول رحلته إلى الجزيرة الخضراء . واما الطريق الثاني والذي يروي فيه الفضل بن يحيى القصة بلا واسطة حين رزق سماعها من علي بن فاضل نفسه في الحلة يوم ١١ / شوال / من العام نفسه فسيأتي بعد وريقات .

(٣) وقد مرّت بنا مصادر ترجمته في ص١٨٥ من هذا الفصل فراجع.

﴿ عليه السلام ﴾ بسرّ من رأى وحكى لهما حكاية ما شاهده ورآه في البحر الأبيض[1]والجزيرة الخضراء من العجائب .

فمر بي باعث الشوق إلى رؤياه وسألت تيسير لقياه والاستماع لهذا الخبر من لقلقة فيه [2] باسقاط رواته وعزمت على الانتقال إلى سر من رأى للاجتماع به . فأتفق أن الشيخ زين الدين علي بن فاضل المازندراني أنحدر من سرّ من رأى إلى الحلة في أوائل شهر شوال من السنة المذكورة [3] ليمضي على جاري عادته ويقيم في المشهد الغروي على مشرفيه السلام.

فلما سمعت بدخوله إلى الحلة وكنت يومئذ بها قد انتظر قدومه فإذا أنا به وقد أقبل راكباً يريد دار السيد ذي النيب الرفيع

---

(١) ليس المراد بالبحر الأبيض هنا البحر الأبيض المتوسط وذلك لأن هذه التسمية بالبحر الأبيض المتوسط تسمية حديثة ولم تكن معروفة يومذاك عند الجغرافيين من العرب! وقد كان البحر الأبيض المتوسط يعرف عندهم بأسماء عديدة منها : البحر الغربي والبحر الرومي والبحر الشامي وبحر الروم .

وقد ذكر له ياقوت الحموي في معجم البلدان أسماءً أخر عند حديثه عنه في مادة (بحر المغرب) قائلاً : وهذا هو البحر الذي وصفناه قبل . وعلى هذا فبحر الأندلس وبحر المغرب وبحر الأسكندرية وبحر الشام وبحر القسطنطينية وبحر الأفرنج وبحر الروم جميعه واحد .

ولم يذكر له أسم البحر الأبيض المتوسط ! فراجع الجزء الأول منه ص :٣٤٥ .

(٢) من لقلقة فيه : أي من لسانه مباشرة بلا واسطة والعبارة مشروحة بقوله (بأسقاط رواته) .

(٣) أي سنة ٦٩٩ هـ الموافقة لعام ١٢٩٩م .

والحسب المنيع السيد فخر الدين الحسن بن علي الموسوي المازندراني [١] نزيل الحلة أطال الله بقاه ولم أكن أذ ذاك الوقت أعرف الشيخ الصالح المذكور لكن خلج في خاطري أنه هو .

فلما غاب عن عيني تبعته إلى دار السيد المذكور فلما وصلت إلى باب الدار رأيت السيد فخر الدين واقفاً على باب داره مستبشراً فلما رآني مقبلا ضحك في وجهي وعرّفني بحضوره فاستطار قلبي فرحاً وسروراً ولم أملك نفسي على الصبر على الدخول إليه في غير ذلك الوقت . فدخلت الدار[٢] مع السيد فخر الدين فسلّمت عليه وقبّلت يديه فسأل السيد عن حالي فقال له :

هو الشيخ فضل بن الشيخ يحيى الطيبي[٣] صديقكم .

---

(١) وقد ترجم له الشيخ أغا بزرك الطهراني في طبقات أعلام الشيعة ـ الجزء الخامس ـ الصفحة : ٤٣ .

(٢) وفي نسخة العلامة المتبحّر السيد هاشم البحراني صاحب البرهان المدرجة في كتابه (تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي) مذكور في الحكاية الخامسة والسبعين بأن دار السيد فخر الدين تقع (في آخر بلدة الحلة من الجامعين قريباً من مقام الصادق(عليه السلام)) .

(٣) وقد ترجم للشيخ يحيى الطيبي هذا كل من الحر العاملي في أمل الآمل القسم الثاني ص٣٤٨ وقال عنه (فاضل عالم أديب شاعر ...الخ) والعلامة الأميني في الغدير الجزء الخامس ص٤٤٦-٤٤٨ عند ترجمته لحياة العالم والشاعر بهاء الدين علي بن عيسى

فنهض واقفاً وأقعدني في مجلسه ورحب بي وأحفى السؤال عن حال أبي وأخي الشيخ صلاح الدين لأنه كان عارفاً بهما سابقاً ولم أكن في تلك الأوقات حاضراً بل كنت في بلدة واسط [١]أشتغل في طلب العلم عند الشيخ العالم العامل الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الواسطي الإمامي تغمده الله برحمته وحشره في زمرة أئمته ﴿ عليهم السلام ﴾[٢] .

الأربلي صاحب كشف الغمة بقوله (ويروي عنه جمع من من أعلام الفريقين منهم ...مجد الدين أبو الفضل يحيى بن علي بن المظفر الطيبي)وترجمه الميرزا الأفندي في رياض العلماء ج٥ ص٣٧٦ فراجعها والا فأنتظر الباب الثالث حيث سنتعرض لتراجمهم مفصلاً عند دراستنا لدراية القصة .

(١) واسط : بلدة في العراق اختطها الحجاج بن يوسف الثقفي واكمل بناءها في سنتين ومنه المثل(تغافل كأنك واسطي) ! لنه كان يتسخّرهم في البناء فيهربون وينامون بين الغرباء في المسجد فيجئ الشرطي ويقول : يا واسطي فمن رفع رأسه أخذه فلذلك كانوا يتغافلون . عن أقرب الموارد للشرتوني .

وقال الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ج٣ ص٢٣٠ (وقد عدّ في القاموس سبعة عشر موضعاً من البلاد والقرى والجبال والأراضي أسم كل منها واسط! أولها بلد العراق أختطها الحجاج في سنتين ويقال واسط القصب أيضاً وهو قصر كان قد بناه أولاً قبل أن ينشئ البلد) .

(٢) وأظن أن هذا الشيخ هو نفسه الذي ترجم له الحر العاملي في امل الآمل القسم الثاني ص٨ بعنوان (الشيخ تقي الدين ابراهيم بن محمد بن سالم ...فاضل عالم يروي كتاب كشف الغمة عن مؤلفه علي بن عيسى وله منه إجازة رأيتها بخط علمائنا) . ونص هذه الاجازة التي أشار اليها الحر العاملي هنا قد ذكرها : الشيخ أغا بزرك الطهراني في الجزء ١٨ من الذريعة ص٤٨ وهي بخط الفضل بن يحيى الطيبي نفسه حيث ذكر فيها أسماء من قرأ معه

فتحادثت مع الشيخ الصالح المذكور متع الله المؤمنين بطول بقائه فرأيت في كلامه أمارات تدل على الفضل في أغلب العلوم من الفقه والحديث والعربية بأقسامها ، وطلبت منه شرح ما حدث به الرجلان الفاضلان العالمان الشيخ شمس الدين والشيخ جلال الدين الحليان المذكوران سابقاً عفى الله عنهما .

فقصّ لي القصة من اولها إلى آخرها بحضور السيد الجليل السيد فخر الدين نزيل الحلة صاحب الدار وحضور جماعة من علماء الحلة والأطراف قد كانوا أتوا لزيارة الشيخ المذكور وفقه الله . وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر شوال سنة تسع وتسعين ستمائة[1] .

كشف النعمة على مؤلفه الأربلي وبضمنهم هذا الشيخ الذي قال عنه (والشيخ العالم تقي الدين إبراهيم بن محمد بن سالم سمع المجلسين الأخيرين وأجيز له الباقي . وكتب العبد الفقير إلى رحمة الله وشفاعة نبيه محمد(ﷺ) والأئمة الطاهرة الفضل بن يحيى بن علي المظفر الطيبي كاتبه وذلك في مجالس عدة آخرها الأثنين رابع عشر من شهر رمضان المبارك من سنة أحدى وتسعين وستمائة ..الخ)

وقد توفي هذا الشيخ بعد هذا التأريخ كما يظهر من ترحم الفضل عليه في هذا الموضع من القصة التي سمعها في شوال من عام ٦٩٩ وأن كنا لا نعلم بالضبط متى كتب الفضل هذه القصة بعد سماعه لها ..أفي نفس الفترة فتكون الوفاة محصورة بين عام ٦٩١-٦٩٩هـ ؟ أم بعد ذلك بفترة؟.

(١) وهذا هو الطريق الثاني لرواية القصة الذي أشرنا إليه في ص١٩٣ والذي يروي فيه الفضل القصة بلا واسطة عن علي بن فاضل حين حدثه بها يوم ١١ / شوال / من عام ٦٩٩هـ في الحلة بحضور جماعة من علمائها . ومع الأسف فأن الفضل بن يحيى لم يسم

وهذه صورة ما سمعته من لفظه أطال الله بقاءه ، وربّما وقع في الألفاظ التي نقلتها من لفظه تغيير لكن المعاني واحدة . قال حفظه الله تعالى :

(قد كنت مقيماً في دمشق الشام منذ سنين مشتغلاً بطلب العلم عند الشيخ الفاضل الشيخ عبد الرحيم الحنفي وفقه الله لنور الهداية في علمي الأصول والعربية ، وعند الشيخ زين الدين علي المغربي الأندلسي المالكي في علم القراءة لأنه كان عالماً فاضلاً عارفاً بالقراءات السبع(١) وكان له معرفة في أغلب

لنا هؤلاء الحضار من علماء الحلة والأطراف لعلنا كنا نجد في تسميتهم بعض الفوائد التي ستأتي عند دراستنا لسند القصة ودرايتها في الباب القادم أن شاء الله .

وفي نسخة التبصرة للبحراني (وكان ذلك يوم الأربعاء الحادي عشر ..الخ)

(١) لا إشكال في قراءة الشيخ زين الدين علي بن فاضل على شيوخ العامة في بعض العلوم ، فقد قرأ قبله وبعده الكثير من الأصحاب والعلماء في أبواب من العلوم والفنون عليهم ولهم في ذلك إجازات وروايات ! ولم يكن القصد من ذلك سوى الالمام بطرق العلم وأفانين المعرفة عند الفريقين والتوجه إلى الدراسة توجها علمياً نزيهاً يراد به وجه الحق وكانت هذه هي سيرة السلف الصالح من علمائنا .

ومن قرأ في حياة الشهيدين رضوان الله تعالى عليهما ودرس اجازاتهما يجد هذا الأمر جلياً في قراءتهما بعضاً من فنون العلم على أيدي بعض الشيوخ من العامة . وأن كان الذي يظهر من عبارة الحر العاملي في الأمل – والتي نقلها عنه الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤته ص٣١-٣٢ وايّده فيها – أن في نفس الحر العاملي عليه الرحمة شيئاً من ذلك فقد نقل صاحب الحدائق عنه في ترجمة الشهيد الثاني قوله :

(ويظهر منه ومن اجازة الشيخ حسن واجازات والده أنه قرأ على جماعة كثيرة من علماء العامة وقرأ عندهم كثيراً من كتبهم في الفقه الحديث والأصول وغير ذلك ، وروى جميع كتبهم وكذلك فعل الشهيد والعلامة ولا شك أن غرضهم كان صحيحاً ولكن ترتب على ذلك ما يظهر لمن تأمل وتتبع كتب الأصول وكتب الاستدلال وكتب الحديث! ويظهر من الشيخ حسن عدم الرضا بما فعلوه) . ثم وافقه صاحب الحدائق على هذا بقوله (أقول : وما ذكره

العلوم من الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان والأصولين وكان لين الطبع لم يكن عنده معاندة في البحث ولا في المذهب لحسن ذاته فكان إذا جرى ذكر الشيعة يقول : قال علماء الإمامية بخلاف غيره من المدرسين فأنهم كانوا يقولون عند ذكر الشيعة : قال علماء الرافضة! فاختصصت به وتركت التردّد إلى غيره .

فأقمنا على ذلك برهة من الزمان اقرأ عليه في العلوم المذكورة ، فأتفق أنه عزم على السفر من دمشق الشام يريد الديار المصرية . فلكثرة المحبة التي كانت بيننا عزّ عليّ مفارقته وهو أيضاً كذلك فآل الامر إلى انه هداه الله صمم العزم على صحبتي له إلى مصر وكان عنده جماعة من الغرباء مثلي يقرؤون عليه فصحبه أكثرهم .

فسرنا في صحبته إلى ان وصلنا مدينة مصر المعروفة بـ(القاهرة)[1] وهي أكبر من مدائن مصر كلها . فأقام بالمسجد

الشيخ حسن جيد) ويقصد بالشيخ حسن هذا جمال الدين أبي منصور ابن الشهيد الثاني صاحب كتاب المعالم في الأصول وكان ابيه من العلماء الأفذاذ .

(١) وهذا صحيح وما ذكر في النسخة المطبوعة باسم (الفاخرة)فهو تصحيف قطعاً بدليل أن اغلب النسخ التي نقلت القصة عن البحار كجلاء العيون للسيد عبد الله شبر والزام الناصب للشيخ علي اليزدي وغيرهما فأنها ذكرتها باسم القاهرة ! وبدليل قوله (وهي أكبر من مدائن مصر كلها فأقام بالمسجد الأزهر..الخ) ونحن نعلم أن المسجد الأزهر موجود في

الأزهر مدة يدرس فتسامع فضلاء مصر بقدومه فوردوا كلهم لزيارته وللانتفاع بعلومه .

فأقام في قاهرة [١] مصر مدّةتسعة أشهر ونحن معه على أحسن حال وإذا بقافلة قد وردت من الأندلس[٢] ومع رجل منهم كتاب من والد شيخنا الفاضل المذكور يعرفه فيه بمرض شديد قد عرض له وأنه يتمنى الاجتماع به قبل الممات ويحثه فيه على عدم التأخير .

فرق الشيخ من كتاب أبيه وبكى وصمم العزم على المسير إلى جزيرة الأندلس . فعزم بعض التلامذة على صحبته ، ومن

مدينة القاهرة منذ أن اختطها المعزّ الفاطمي وجعلها داراً للامارة . بل هو أول جامع بني فيها ، اسسه جوهر قائد الخليفة المعز سنة ٣٦١هـ . راجع (صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار) – محمد بيرم الخامس التونسي / ج٤ / ص : ٨٣- ٨٥ .

(١) وهذا دليل ثالث على كون الفاخرة تصحيف للقاهرة حيث ذكر هنا ان اقامة شيخه كانت في قاهرة مصر وهو الصواب كما صحّحناه .

(٢) الأندلس : هو الأسم العربي لشبه جزيرة ايبيريا بجنوبي اسبانيا . ويبدأ تاريخ الاندلس بفتح المسلمين لشبه الجزيرة في عام ٩٢هـ فصاعداً . وقد توغل المسلمون في فتحهم ذاك حتى وصلوا إلى قلب فرنسا عند مدينتي (تور) و(بواتيه)! .
وهناك قامت للمسلمين إمارة قرطبة(الأندلس) ثم وصلت هذه الدولة إلى أوج الدولة الفتية إلى أوج عظمتها في أيام عبد الرحمن الثالث . ومن ثم بدأت في التدهور والتلاشي لأسباب لا مجال لذكرها هنا ، حتى سقطت من أيدي المسلمين وبسقوطها أسدل الستار على تاريخ عظيم من الفتوحات الاسلامية في أوربا . راجع (دائرة المعارف الاسلامية) لمجموعة من المستشرقين و(الموسوعة العربية الميسرة) .

الجملة أنا ، لأنه هداه الله قد كان أحبني محبة شديدة وحسن لي المسير معه .

فسافرت إلى الأندلس[١] في صحبته فحيث وصلنا إلى أول قرية من الجزيرة المذكورة [٢] عرضت لي حمى منعتني عن الحركة . فحيث رآني الشيخ على تلك الحالة رقّ لي وبكى وقال :

يعزّ علي مفارقتك .

فأعطى خطيب تلك القرية التي وصلنا إليها عشرة دراهم وأمره أن يتعاهدني حتى يكون مني أحد الأمرين وأن من الله بالعافية أتبعه إلى بلده .. هكذا عهد الي بذلك وفقه الله بنور الهداية إلى طريق الحق المستقيم ثم مضى إلى بلد الأندلس ومسافة الطريق من ساحل البحر إلى بلده خمسة أيام [٣] .

---

(١) وتعرف الأندلس اليوم باسم : أسبانيا وأسبانيا دولة ذات سيادة عاصمتها مدريد وتشغل في قارة أوربا كل شبه ايبيريا ما عدا البرتغال . وتمتد من البرانس وخليج بسكاي في الشمال إلى مضيق جبل طارق في الجنوب ، ولها ساحل طويل على البحر الأبيض المتوسط في الشرق والجنوب الشرقي . وسواحلها على الأطلسي في الشمال والجنوب الغربيين . نقلاً عن (الموسوعة العربية الميسرة) .

(٢) وصول الشيخ إلى أول قرية من الجزيرة المذكورة معناه أنه رحمه الله قد عبر مضيق جبل طارق ودخل الأراضي الأسبانية بتعبيرنا اليوم .

(٣) وتعنى عبارة الشيخ زين الدين هذه أن القرية التي أصيب فيها بالحمى والتي تقع على مضيق جبل طارق تبعد عن بلدة أستاذه مسيرة خمسة أيام .

فبقيت في تلك القرية ثلاثة ايام لا أستطيع الحركة لشدة ما أصابني من الحمى ففي آخر اليوم الثالث فارقتني الحمى وخرجت أدور في سكك تلك القرية فرأيت قفلاً [١] قد وصل من جبال قريبة من شاطئ البحر الغربي [٢] يجلبون الصوف والسمن والأمتعة .

فسألت عن حالهم فقيل : ان هؤلاء يجيئون من جهة قريبة من ارض البربر [٣] وهي قريبة من جزائر الرافضة .

---

(١) والقفل معناه : القافلة الراجعة من السفر .

(٢) ربما تكون المراد بالجبال القريبة من شاطيء البحر الغربي هي سلسلة جبال سييرا مورينا في جنوب أسبانيا حيث يحدها من الجنوب الشرقي ساحل البحر الأبيض المتوسط . وبهذا المعنى تكون الجبال القريبة من شاطيء البحر الغربي أي ساحل البحر الأبيض المتوسط وهذه القافلة قد وصلت راجعة من تلك الجبال المذكورة .
ونلاحظ هنا انه في هذا الموضع فقط من القصة كلها ورد ذكر البحر الأبيض المتوسط بقوله (قريبة من شاطئ البحر الغربي) ولأن الشيخ ممّن عاش في القرن السابع الهجري نلاحظه قد استخدم الأسم الشائع في عصره وهو البحر الغربي . وهذا يفيدنا أنه عندما يتحدث عن الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض فأنه لا يريد به البحر الأبيض المتوسط لأن من السهولة عليه أن يقول (الجزيرة الخضراء في البحر الغربي) كما وصف القافلة لنا بأنها راجعة من (جبال قريبة من شاطئ البحر الغربي).
وبهذا الدليل وأدلة أخرى تعرضنا لها من خلال البحث سيتضح لنا اشتباه أحد الأساتذة من المؤلفين المعاصرين في نقده لخبر الجزيرة هذا وذلك حينما تصور هذا الأستاذ أن الشيخ زين الدين يعني بـ(البحر الأبيض) الوارد ذكره في هذه القصة : البحر الأبيض المتوسط ! ولذلك نفى وجود مثل هذه الجزيرة في الأبيض المتوسط لأنها لا وجود لها اليوم في مياهه على حد تعبيره .

(٣) أرض البربر : تسمية يراد بها ارض المغرب المطلة على المحيط الأطلسي وقد كان البربر ينتشرون فيها وفي مساحة شاسعة من الأرض في شمال أفريقيا . تمدها من الشرق واحة سيوه وصحراء ليبيا وجبال تبستي ويحدّها من الغرب المحيط الأطلسي .

فحيث سمعت ذلك منهم إرتحت اليهم وجذبني باعث الشوق إلى أرضهم . فقيل لي : أن المسافة خمسة وعشرين يوماً ! منها يومان بغير عمارة ولا ماء وبعد ذلك فالقرى متصلة. فاكتريت معهم من رجل حماراً بمبلغ ثلاثة دراهم لقطع تلك المسافة

وتزداد نسبة أزدحام الجماعات البربرية كلما أتجهنا من الشرق إلى الغرب باتجاه المحيط الأطلسي وهذا من ناحية التوزيع الجغرافي لهم . واما ديانة البربر فقد أتبعوا في بداية الفتح الأسلامي مذاهب أهل السنة وكان هو المذهب الوحيد الذي عرفوه ولكن نزعتهم الأستقلالية – كما يقول المستشرق رينيه باسيه في دائرة المعارف الإسلامية سرعان ما بدت في أخذهم بآراء الخوارج التي كانت تؤكد فكرة المساواة العامة تأكيداً جازماً .

ولم يكن جميع البربر من الخوارج بل وقفت طائفة كبيرة منهم إلى جانب الشيعة فأنحازوا إلى صف الأدارسة في فاس ووقفوا أيضاً إلى جانب أولئك الذين أنغمسوا في معتقدات الفرس – وهذا الوصف لا زال لنفس المستشرق – وذهبوا إلى ان الإمام تجسيد للاله على الأرض .

وقد غلبت بعد ذلك على بلاد المغرب مذاهب الشيعة التي كانت تخالف مخالفة جوهرية مذاهب الخوارج . ثم حدث رد فعل – كما يقول رينيه – كتب فيه النصر لعقائد أهل السنة على يد قبيلة لمتونة ! وهم مرابطة الصحراء الذين لم يدخلوا في الأسلام إلا في بدايات القرن الرابع الهجري وأسسوا دولتهم المرابطية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري وحتى منتصف القرن السادس وقد شتت هذه الدولة شمل أعدائها من شيعة ! وخوارج وغيرهم وقضت عليهم .

وكذلك على يد قبيلة بني مصمودة في حبال الأطلس وهم الذين أنشأوا دولة الموحدين في القرن السادس الهجري وكان زعيمهم أبن تومرت وقد قضت هذه الدولة أيضاً على كل أعدائها من الشيعة ! والنصارى والخوارج ممن كانوا لا يعتقدون بمعتقداتهم وأجلتهم عن بلادها وفرقت شملهم .

وأنما نقلنا هذا الحديث بطوله – عن دائرة المعارف الإسلامية والجزء الرابع من تاريخ الإسلام للدكتور حسن أبراهيم حسن – فلكي لا تستغرب وجود جزيرة (للرافضة)! في القرن السابع الهجري في بلاد المغرب التي تدين في ذلك القرن بمذاهب أهل السنة .

خصوصاً بعد أن سمعت الآن ما فعلته دولتا المرابطين والموحدين على التوالي بأعدائهما من الشيعة الذين ساد مذهبهم فترة ما في تلك المنطقة – حين شتتوا شملهم وقضوا عليهم وفرقوهم أيدي سبأ في القرنين الخامس والسادس الهجرين .

ولعل أهل هذه الجزيرة هم من اولئك الشيعة الذين لاذو بالبحر فراراً من تلك المجازر ثم اتضح لهم الحق بعد ذلك ببركة الإمام المهدي (عليه السلام) ورعايته وأنفاسه .

التي لا عمارة فيها فلما قطعنا معهم تلك المسافة ووصلنا أرضهم العامرة [١] تمشيت راجلاً وتنقلت على اختياري من قرية إلى أخرى إلى أن وصلت إلى اول تلك الأماكن فقيل لي : أن جزيرة الروافض قد بقي بينك وبينها ثلاثة أيام [٢] .

فمضيت ولم أتأخر [٣] ، فوصلت إلى جزيرة ذات أسوار أربعة ولها أبراج محكمات شاهاقات وتلك الجزيرة بحصونها

---

(١) ويقصد بـ(أرضهم)أرض أصحاب القافلة والعامرة أي المأهولة بالسكان لأنه قبل أن يصل اليها كان يسير معهم في طريق صحراوي لا عمارة فيه ولا ماء كما هو واضح من سياق الكلام حين قال (..لقطع تلك المسافة التي لا عمارة فيها . فلما قطعنا معهم تلك المسافة) أي اليومين اللذين لم ير فيهما عمارة ولا ماءً حتى وصل أرضهم العامرة .

(٢) ومعنى هذا أن الشيخ قد قطع من المسافة الكلية المقدرة للوصول إلى (جزيرة الرافضة) أثنين وعشرين يوماً بضمنها اليومين اللذين لا عمارة فيهما ولا ماء وبقيت له مدة ثلاثة أيام فقط حتى يصل إلى تلك الجزيرة فيصير المجموع خمساً وعشرين يوماً .

(٣) والسؤال المهم الآن هو : أن الشيخ زين الدين حين خرج من الأندلس برفقة تلك القافلة التجارية وعبر معهم مضيق جبل طارق عائداً ليدخل أرض البربر أي بلاد المغرب..هل سار على ساحل البحر الأبيض المتوسط الذي يحد بلاد المغرب من الشمال الشرقي ؟ أم أنه سار على ساحل الأطلسي الذي يحدها من جهة الغرب؟ وذلك لكي نعرف أين تقع جزيرة الرافضة ؟ أعلى البحر المتوسط ؟ أم على المحيط الأطلسي؟ وهذا هو السؤال المهم والضروري .

وقبل أن نستعجل الأحداث في الأجابة عليه سيتضح لنا ان الشيخ قد سار في رحلته هذه إلى جزيرة الرافضة بمحاذاة الأطلسي لا البحر الأبيض المتوسط وذلك لأنه يذكر لنا في قصته أنه حين وصوله إلى الجزيرة المذكورة كان يخرج منها يوميا ويذهب إلى ساحل البحر وينظر إلى جهة الغرب! مما يجعلنا نستفيد أن الجزيرة واقعة على المحيط الأطلسي الذي يحد بلاد المغرب من جهة الغرب لا البحر الأبيض المتوسط الذي يحدّها من جهة الشمال الشرقي وبالتالي فرحلته قد تمت في المحيط الأطلسي حيث تقع هناك الجزيرة الخضراء وبحرها الأبيض المحيط بها إحاطة السور بالبلد .

راكبة على شاطئ البحر[1] ، فدخلت من باب كبيرة يقال لها باب البربر فدرت في سككها أسأل عن مسجد البلد .

فهديت عليه ودخلت إليه فرأيته جامعاً كبيراً معظماً واقعاً على البحر من الجانب الغربي[2] من البد . فجلست في جانب من المسجد لأستريح وإذا بالمؤذن يؤذن للظهر ونادى بـ(حيّ على خير العمل) ولمّا فرغ دعا بتعجيل الفرج للإمام صاحب الزمان ﴿عليه السلام﴾ فأخذتني العبرة بالبكاء .

فدخلت جماعة بعد جماعة إلى المسجد وشرعوا في الوضوء على عين ماء تحت شجرة في الجانب الشرقي من المسجد وأنا

---

(١) ونلاحظ هنا أن الشيخ أخذ يطلق كلمة البحر فلا يضيف إليها اية كلمة أخرى لتحدّد لنا صفة هذا البحر ..وأي بحر هو ؟ كما فعل في السابق حين ذكر الجبال القريبة من ساحل البحر الأبيض المتوسط بقوله (قريبة من شاطئ البحر الغربي) ومنه عرفنا أنه الأبيض المتوسط . بينما نجده هنا يطلق القول فيقول عن الجزيرة : راكبة على شاطئ البحر ! مما يجعلنا نرجّح أنه يقصد بقوله هذا (شاطئ البحر المحيط) أي الأطلسي ، لأنه ليس هنا غير الأطلسي والمتوسط يحد بلاد المغرب من البحار فعدم ذكره هنا لكلمة (الغربي) عند وصفه للبحر الذي تقع على ساحله جزيرة الرافضة يعني أنه يقصد به (البحر المحيط) بقرينة ما سيذكره من انه يحدّ البلد من الجانب الغربي .

(٢) وهذا دليل آخر على أنه يقصد بالبحر هنا البحر المحيط الأعظم أي الأطلسي وذلك لن الجزيرة كما وصفها الآن راكبة على شاطي البحر ومسجدها مطلٌ عليه من الجانب الغربي للبلد أي جزيرة الرافضة فلو كانت الجزيرة واقعة على البحر الأبيض المتوسط والمسجد مطل عليه كما هو مفروض لوجب أن يقول (فرأيته ...واقعاً على البحر من الجانب الشمالي أو الشمال الشرقي من البلد) لأننا نعلم أن البحر الأبيض المتوسط يحد بلاد المغرب من جهة الشمال والشمال الشرقي .

أنظر إليهم فرحاً مسروراً لما رأيته من وضوئهم المنقول عن أئمة الهدى (عليهم السلام) .

فلما فرغوا من وضوئهم وإذا برجل قد برز من بينهم بهيّ الصورة عليه السكينة والوقار فتقدم إلى المحراب وأقام الصلاة فأعتدلت الصفوف وراءه وصلّى بهم إماماً وهم به مأمومون..صلاة كاملة بأركانها المنقولة عن أئمتنا ﴿ عليهم السلام ﴾ على الوجه المرضي فرضاً ونفلاً وكذذا التعقيب والتسبيح .

ومن شدة ما لقيته من وعثاء السفر وتعبي في الطريق لم يمكني أن أصلّي معهم الظهر . فلما فرغوا ورأوني أنكروا عليّ عدم اقتدائي بهم فتوجهوا نحوي بأجمعهم وسألوني عن حالي ومن أين أصلي ؟ وما مذهبي؟ . فشرحت لهم أحوالي وأني عراقي الأصل ، وأما مذهبي فأنني رجل مسلم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الأديان كلها ولو كره المشركون .

فقالوا لي : لم تنفعك هاتان الشهادتان إلا لحقن دمك في دار الدنيا لم لا تقول الشهادة الأخرى لتدخل الجنة بغير حساب فقلت لهم : وما تلك الشهادة إهدوني اليها يرحمكم الله .

فقال لي إمامهم : الشهادة الثالثة [١] هي أن تشهد أن أمير المؤمنين ويعسوب المتقين وقائد الغر المحجلين علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من ولده أوصياء رسول الله وخلفاؤه من بعده بلا فاصلة .

قد أوجب الله﴿ عزّ وجلّ ﴾ طاعتهم على عباده وجعلهم أولياء أمره ونهيه وحججاً على خلقه في أرضه ، وأماناً لبريته لأن الصادق الأمين محمداً رسول رب العالمين ﴿ ﷺ ﴾ أخبر بهم عن الله مشافهة من نداء الله عز وجل له ﴿ عليه السلام ﴾ في ليلة معراجه إلى السموات السبع وقد صار من ربه كقاب قوسين أو أدنى وسمّاهم له واحداً بعد واحد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

---

(١) واضح أن مراد إمامهم هنا الشهادة الثالثة هو الأعتقاد بولاية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) وإمامته وأمامة الأئمة الأحد عشر من أولاده ووجوب طاعتهم وتوّليهم في الدنيا ــ والأخرة أن شاء الله ــ بأعتبارهم الخلفاء والأوصياء الحقيقيين لرسول الله (ﷺ) الذين أخبرهم مشافهة عن الله عز وجل ليلة المعراج كما بينه هنا إمام هذه الجزيرة للشيخ زين الدين . وعلى هذا فان مقصوده من قوله (هي أن تشهد ...الخ) أي أن نعتقد بما سابينه لك من معنى الولاية .

فلما سمعت مقالتهم هذه حمدت الله سبحانه على ذلك وحصل عندي اكمل السرور وذهب عني تعب الطريق من الفرح وعرفتهم أني على مذهبهم فتوجهوا إلي توجه إشفاق وعينوا لي مكاناً في زاويا المسجد . وما زالوا يتعاهدونني بالعزة والإكرام مدّة إقامتي عندهم وصار إمام مسجدهم لا يفارقني ليلا ولا نهاراً .

فسالته عن ميرة [١] أهل بلده من أين تأتي اليهم ؟ فإني لا أرى لهم أرضاً مزروعة[٢] فقال :

تأتي إليهم ميرتهم من الجزيرة الخضراء من البحر الأبيض من جزائر أولاد الإمام صاحب الأمر[٣] ﴿عليه السلام﴾

---

(١) الميرة : بكسر اليم الطعام كما قاله صاحب المصباح المنير .

(٢) وليس هذا بمستغرب أن تكون الجزيرة مطلة على المحيط الأطلسي وليس فيها أرض مزروعة فقد ذكر صاحب (صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار) العلامة محمد بيرم التونسي المتوفى عام ١٣٠٧هـ وهو من اهل تلك البلاد عند حديثه عن صحراء المغرب على شاطئ المحيط الغربي (الأطلسي) والمحصورة بين مراكش والسانيغال قائلا (والشاطئ في البحر مملوه صخراً والريح الغربية تخرج من البحر رمالاً تحدث فيه جزراً منتقلة وقد تحقق أن وسط هاته الصحراء يكون الرمل دائماً منتقلاً إلى الجهة الجنوبية الغربية وكان ذلك أحد أسباب عدم النبات فيها) راجع الجزء الأول منه ص٧٩ الطبعة الأولى بمصر عام ١٣٠٢هـ .

(٣) لقد ناقش بعض الباحثين اليوم في مسألة زاوج الإمام المهدي ووجود الأولاد له (عليه السلام) فذهب بعضهم في تأريخه عن الغيبة الكبرى إلى ان (وجود الذرية ملازم عادة لانكشاف أمره والأطلاع على حقيقته ..ص٦٧) وذكر آخر في أخباره الدخيلة بأنه (لم يرد

في خبر أن له (عليه السلام) ولداً وأنما أختلفت الأخبار في حصول الولد له (عليه السلام) بعد ظهوره ..ص١٥٠) .

وقد فات كلا الباحثين المحترمين وغيرهما ممّن يرى رأيهما ويناقش نفس مناقشتهما أن البحث في الحياة الخاصة للإمام المهدي(عليه السلام) تختلف كل الاختلاف عن البحث في حياة من تقدمه من المعصومين من آبائه (عليه السلام) حتى يكون مجاله التاريخ الخاص أو الروايات الواردة في المقام فليس الحديث عن المهدي (عليه السلام) كالحديث عن الإمام الباقر(عليه السلام) مثلاً لكي نعرف كيف عاش ؟ وكم عدد زوجاته ؟ وهل رزق الأولاد والبنات ؟ .. إلى غير ذلك مما مجاله الروايات والتاريخ والذي أصحبت حياة الإمام الباقر وغيره من الأئمة (عليهم السلام) ملكاً له لا يجد الباحث أي عناء في الرجوع إلى صفحات تلك الحقبة من عمر التأريخ ورواياته ويتناولها بالدراسة .

بينما نحن اليوم في قضية الإمام المهدي (عليه السلام) إمام إمام حي يعيش في رحاب هذا العالم وغائب عن أبصارنا السقيمة وقلوبنا المريضة يقف التاريخ أمامه بأجلال منتظراً ظهوره المبارك ليفتح له صفحاته البيضاء ويسجل عليها بشائر ثورته المباركة على الظلم والجور الذين أمتلأت بها ربوع الأرض كما سجل في واحدة من صفحاته عام ٢٥٥هـ ولادته الشريفة في دار أبيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في سامراء العراق وعليه فحياته (عليه السلام) تختلف كل الأختلاف عن حياة من تقدمه من آبائه المعصومين الكرام (عليهم السلام) من هذه الجهة المذكورة وبأعتبار هذه الخصوصية .

كما فاتهم أيضاً أنه لا يمكن لأي أحد مهما بلغ من العلم بأسرار الفقه وأصوله مهما أمتلك من وسائل التحقيق العلمي أن يتمكن من الأحاطة بأحوال الإمام المهدي (عليه السلام) وأسرار حياته وحالاته الخاصة وأنما هذه شأن المحيطين به (عليه السلام) من أهل الأخلاص والتقى من خاصته وحملة أسراره أو ممّن يتصل بهم الإمام ويطلعهم على بعض شؤونه من سفرائه وغيرهم كما رأينا في قضية علي بن فاضل هذا الذي زار الجزيرة الخضراء عام ٦٩٠هـ بأذن من الإمام (عليه السلام) والتقى بواحد من أحفاده يقال له شمس الدين محمد العالم .

ومن هنا فأن ما تصوره السيد محمد الصدر في تاريخ الغيبة الكبرى من أن وجود الذرية ملازم عادة لأنكشاف أمر الإمام والأطلاع على حقيقته ليس إلا رأياً شخصياً لهذا الباحث المحترم قاده إليه تفكيره الخاص وتصوراته عن الغيبة وفق ما هو مقتنع به من وسائل البحث المتوفرة لديه وعقيدتنا أن الإمام (عليه السلام) أعرف بأمور غيبته وأقدر على تدبير شؤونها بتسديد من الله تعالى وأعانة منه بحيث لا يؤثر عليها وجود الولد أو غيره كما أخبر بذلك الإمام الصادق(عليه السلام) في رواية نقلها لنا الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة وفيها يقول الإمام الصادق (عليه السلام) (أن لصاحب هذا الأمر غيبتين أحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات ويقول بعضهم قتل ، ويقول بعضهم ذهب!...حتى لا يبقى على أمره من اصحابه إلا نفر يسير لا يطلع على موضعه أحدٌ من ولده ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره).

وهذا ما ستراه فعلاً فأن شمس الدين محمد العالم رغم كونه من أحفاد الإمام المهدي(عليه السلام) والنائب الخاص عنه في الجزيرة الخضراء بأمر صدر منه (عليه السلام) فأنه لم يرَ الإمام طيلة حياته وأنما كانت تصله رقعة منه كل أسبوع ليعمل بما فيها بحيث فيها مكتوباً كل ما يحتاج إليه لتمشية الأمور في الجزيرة .

كما أن ما ذهب إليه المحقق التستري في الأخبار الدخيلة من أنه لم يرد في خبر أن له (عليه السلام) ولداً مذهب غير سديد وذلك عدم ورود الخبر بذلك لا يضر فيما نحن من المقام إذ لا يفهم من عدم ورود الأخبار بذلك حرمة الزواج على الإمام كما لا يعني ذلك أن الله سبحانه وتعالى سوف لن يرزقه الولد إذا ما تزوج في خلال فترة الغيبة الكبرى ما دام أحد من آبائه (عليهم السلام) لم يتحدث لنا عن ذلك .

ويجب ان يكو ن معلوماً بانّ هناك كثيراً من الأمور ممّا له علاقة وطيدة بمسألة الغيبة لم يتحدث عنها الأئمة ولم يتعرضوا لها . وبالأخير فأننا نستطيع أن نقول مطمئنين – والله العالم – بأن مقتضى القواعد الإسلامية والآداب الشرعية هو أن يكون الإمام المهدي(عليه السلام) متزوجاً وذلك لما في الزواج من التطبيق لهذه السنة النبوية الشريفة المؤكدة على ألسنة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) وحثهم العظيم عليها ونهيهم من تركها والتي هي سيرة الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأئمة وكل عباد الله الصالحين في كل زمان ومكان الا ما شذ وندر مع نهي الأسلام عن الرهبانية بجميع صورها وأشكالها ومنها العزوف عن الزواج .

والمهدي (عليه السلام) أولى بغيره باتباع هذه السنة الشريفة خصوصاً وأنه أحد المعصومين عندنا الذين لا يتركون مستحباً ولا يفعلون مكروهاً وعليه فلا يبعد بعد هذا زواجه كما قدمناه آنفا. واما الأشكال بصعوبة الحصول على زوجة موثوقة مؤتمنة تليق بشأن الإمام أو غير ذلك فهو من الأقوال الصادرة عن اوهامنا المردودة علينا إذ ليس كل ما نرى فيه صعوبة هو كذلك صعب على الإمام المهدي (عليه السلام) كما ليس كل ما نعتقده مشكلا هو كذلك مشكل عنده فأن هذه كلها من القياسات الباطلة الموهومة .

ولسنا بعذ هذا بحاجة إلى الأستدلال على زواج الإمام المهدي(عليه السلام)ووجود الولد له ببعض الروايات ومنها رواية الشيخ الطوسي المارة الذكر أو بضع فقرات وردت في بعض الأدعية له ولولده (عليه السلام) كما نقل ذلك السيد ابن طاووس في جمال الأسبوع وغيره لما يمكن أن يرد على هذا النوع من الأستدلال من نقاش .

نعم ... يبقى بعد هذا كله إشكال آخر وهو أن القول بوجود الولد للإمام الحجة (عليه السلام) كما تفيده هذه القصة يستلزم وجود دولة عظيمة من البين والبنات للإمام (عليه السلام) كما هو جاري السنن الطبيعية ! فأن مرور ألف عام أو يزيد على الإمام المهدي(عليه السلام) وهو متزوج وله أولاد يقتضي بحكم التناسل وجود ذرية ربما تعدى عددها مئات الألوف أن لم نقل الملايين من أولاده وبناته ! . مع انه من الثابت عندنا أنه لم يرد في الأخبار عن الأئمة (عليهم السلام) لا تصريحاً ولا تلميحاً عند حديثهم عن ظهور الإمام إلى خروج اولاده وأحفاده الذين هم بهذه الكثرة معه مما يدل حتماً على بطلان ذلك اللازم والتالي مثله . وهو أشكال وجيه جابهنا

فقلت له : كم تأتيكم ميرتكم في السنة ؟

فقال : مرتين وقد اتت مرة وبقيت الأخرى [١].

فقلت : كم بقي حتى تأتيكم .

قال : أربعة أشهر .

فتأثرت لطول المدة ومكثت عندهم مقدار أربعين يوماً أدعوا الله ليلاً ونهاراً بتعجيل مجيئها وأنا عندهم في غاية الأعزاز والأكرام . ففي آخر يوم من الأربعين ضاق صدري لطول المدة

به بعض الفضلاء من أهل العلم وسنجيب عليه في الملحق الأول من هذا البحث أن شاء الله .

(١) والذي نستفيده نحن من هذا الجواب هو أن هذه الجزيرة المسماة بجزيرة الرافضة والتي يسكنها هؤلاء الشيعة ما هي إلا قرية صغيرة لا يتعدى عدد نفوس ساكينها ألف شخص أو أقل وذلك لأن الميرة التي يبعثها الإمام (عليه السلام) كل ستة أشهر مرة واحدة وفي كل مرة يرسل لهم سبعة مراكب فقط كما ستعرفه بعد قليل هذا العدد يدل على أنه (عليه السلام) قد خصص لهم مركباً وسدس المركب ميرة للشهر الواحد وبالتالي فهذا ينفي فكرة ضخامة عدد نفوس ساكني هذه القرية وذلك لأننا إذا أردنا أن نحسب معدل ما يستهلكه الشخص الواحد في اليوم من الطعام بـ(كيلو) طعام فهذا يعني أن القرية تحتاج إلى ما لا يقل عن (١٠٠٠) كيلو طعام يومياً إذا قدرنا عدد نفوس ساكنيها بألف شخص مثلاً .
وحينئذ فهم يحتاجون (٣٠٠٠٠)كيلو من الطعام من رز ودقيق وسمن وغير ذلك شهرياً وبالأطنان تحتاج القرية إلى ٣٠ طن في الشهر الواحد من الطعام لأن كما هو معروف يساوي (١٠٠٠) كيلو غرام . فهل كان المركب الواحد من تلك المراكب وفي مثل ذلك الزمان يمكن أن يحمل أكثر من ٣٠ طن على أكثر التقادير وأعلاها ؟.
ولهذا كله فنحن نميل إلى أن عدد نفوس أهل تلك الجزيرة أو القرية لم يكن ليتعدى الألف شخص أن لم يكن أقل من هذا التقدير ولكنه يستحيل أن يكون أكثر من ذلك . ومن المحتمل قوياً أن يكون أهل هذه الجزيرة قد فروا إليها بعقيدتهم بعد حدوث فتن المرابطين والموحدين كما مر بنا في ص٢٠٠-٢٠١ .

فخرجت إلى شاطئ البحر أنظر إلى جهة المغرب[١] التي ذكروا أهل البلد أن ميرتهم تأتي من تلك الجهة[٢]!.

فرأيت شبحاً من بعيد يتحرك فسألت عن ذلك الشبح أهل البلد وقلت لهم : هل يكون في البحر طيرٌ أبيض؟ فقالوا لي : لا .. فهل رأيت شيئاً ؟ قلت : نعم ! .. فاستبشروا ، وقالوا : هذه المراكب التي تأتي الينا في كل سنة من بلاد أولاد الإمام ﴿عليه السلام﴾ .

فما كان إلا قليل حتى قدمت تلك المراكب وعلى قولهم أن مجيئها كان في غير الميعاد. فقدم مركب كبير وتبعه آخر وآخر حتى كملت سبعاً[٣] فصعد من المركب الكبير شيخ مربوع

---

(١) وهذا القول من أكبر الأدلة على أن تلك القرية التي يتحدث عنها الشيخ الآن مطلة على المحيط الأطلسي ، حيث ذكر بانه خرج إلى شاطئ البحر ينظر إلى جهة المغرب – أي مغرب الشمس – وقد عرفنا نحن ممّا تقدم بأن المحيط الأطلسي يحيط ببلاد المغرب من جهة الغرب بينما يحيط البحر الأبيض المتوسط بتلك البلاد من جهة الشمال والشمال الشرقي وعليه فأن رحلة الشيخ زين الدين قد تمت في عرض المحيط الأطلسي حيث تقع هناك الجزيرة الخضراء .

(٢) أي من جهة المغرب حيث تقع هناك الجزيرة الخضراء في مياه المحيط الأطلسي .

وفي هذا المحيط اليوم منطقة تسمى كما قدمنا بمثلث برمودا لها شبه بصفات الجزيرة وبعض خصوصياتها . والناظر إلى الخارطة أو الكرة الأرضية يرى المثلث وهو يقع مقابلاً لبلاد المغرب لا يفصل بينهما غير مياه المحيط الأطلسي .

(٣) وهذه هي ميرة أهل البلد .. سبعة مراكب فقط مؤونه لهم لمدة ستة أشهر فقدّر بنفسك عدد أهل تلك الجزيرة حين يكون المركب الواحد مع سدس المركب ميرة لهم لمدة شهر

القامة بهي المنظر حسن الزي ودخل المسجد فتوضأ الوضوء الكامل على الوجه المنقول عن أئمة الهدى ﴿ عليهم السلام ﴾ وصلى الظهرين . فلما فرغ من صلاته التفت نحوي مسلماً عليّ فرددت عليه السلام ، فقال :

ما أسمك ؟ وأظن أنّ أسمك علي . قلت : صدقت فحادثني بالسرّ محادثة من يعرفني ، فقال : ما أسم أبيك ويوشك أن يكون فاضلاً .قلت : نعم .

ولم أكن أشك في أنه قد كان في صحبتنا من دمشق ، فقلت :

أيها الشيخ ..ما أعرفك بي وبأبي ؟ هل كنت معنا حيث سافرنا من دمشق الشام إلى مصر ؟ فقال : لا .قلت : ولا من مصر إلى الأندلس .قال : لا ..مولاي صاحب العصر .

قلت له : فمن أين تعرفني بأسمي وأسم أبي .

كامل فكم يمكن أن يكون هم بالتقريب ؟ وهل يمكن أن يتعدى الألف شخص على أقصى التقادير؟..

قال : أعلم أنه قد تقدم إلي وصفك وأصلك ومعرفة أسمك وشخصك وهيئتك وأسم أبيك [١] وأنا أصحبك معي إلى

---

(١) هذا الأخبار من قائد المركب للشيخ زين الدين عن أسمه وأسم أبيه هو الذي تصوره الاستاذ الحجة السيد مؤلف(تاريخ الغيبة الكبرى) بأنه قد وقع من حاكم أحدى الجزر الخمسة الوارد ذكرها في رواية المدائن للأنباري وظنه من باب الأعجاز ولذلك فقد تأسف الأستاذ المؤلف لأن الحاكم لم يأت بالمعجزة هذه أو مثيلاتها أمام أهل الكتاب من زوار جزيرته لاقناعهم بالإسلام!. والذي يبدو لي أن الذي قاد الاستاذ الحجة السيد محمد الصدر إلى مثل هذه الاشتباهات هو خلطه بين رواية الجزيرة الخضراء وقصة المدائن الخمس .
بينما الأمر هنا واضح لا لبس فيه حيث أن المخبر للشيخ زين الدين هو شخص من أهل الجزيرة الخضراء يقال له الشيخ محمد ولم يكن حاكماً لأية جزيرة وقد أخبر الشيخ علي بن فاضل عند ما سأله عن كيفية معرفته له ولأسمه ؟ بأنه يعرفه بالوصف والهيئة والاسم عن طريق المعلومات التي وصلت إليه ! وليس من باب الأعجاز .
وهذا هو نص جواب الشيخ محمد له(أعلم أنه قد تقدم إلي وصفك وأصلك ومعرفة أسمك وشخصك وهيئتك وأسم أبيك) . وربما يسأل هنا أحدكم قائلاً : أذن كيف استطاع الشيخ محمد أن يشخص الشيخ زين الدين بأنه هو هذا علي بن فاضل لا غيره ؟ فنقول : بأنه من المعلوم أن قائد المراكب المهدوية السبعة المدعو بالشيخ محمد يعرف جيد أهل جزيرة الرافضة لأنه مكلفاً بأيصال المؤونة لهم ولكثرة أتصاله بهم في كل مرة أثناء زيارتهم وتسليم المؤونة لعم فقد كان يعرفهم جيداً فردا فردا . ومن هنا فأنه – أي قائد المراكب – عندما رأى الشيخ زين الدين في المسجد فقد أستطاع أن يطبق عليه الأوصاف التي عنده هن هيئته وشخصه فغلب على ظنه بانه هو فلان بن فلان ، ولذلك كان يقول له : ما أسمك ؟ وأظن ان أسمك كذا ..الخ .
وهذا الأمر يوضح لنا شيئاً آخر ألا وهو قلة عدد ساكني هذه الجزيرة من الشيعة بحيث أن هذا الشيخ يعرفهم فرداً فردا ويستطيع أن يميز الغريب من بينهم ولو كانت هذه الجزيرة كبيرة وعدد نفوسها ضخماً لصعب عليه معرفتهم جميعاً والأحاطة بتفاصيلهم . وأنما نؤكد هذا ونميل إلى ان عددهم لم يكن ليتجاوز الألف شخص لكي لا يسألنا بعد هذا أحدٌ عن هذه الجزيرة فيقول : أذن أين هي الآن هذه الجزيرة ؟ وأين ساكنوها ؟ .
أذ من الواضح أن الف شخص أو أقل سهل على الزمان بعثرتهم وتشتيت شملهم خلال سبعمائة عام خصوصاً وأنهم كانوا يعيشون على أرض لا تقيم لعقائدهم وزناً ! على أن القاضي الشهيد نور الله في المجالس قد ذكر نقلاً عن الكتب المعتبرة – كما وصفها – بأن في بلاد المغرب قوماً يقال لهم(بنو عبد المؤمن) كلهم من الشيعة ولهم إمام بعلم الجفر ! .
ولعلهم من احفاد هؤلاء الأصحاب رضوان الله عليهم .

الجزيرة الخضراء ! فسررتُ بذلك حيث قد ذكرتُ ولي عندهم أسمٌ .

وكان من عادته أنه لا يقيم إلا ثلاثة ايام فأقام أسبوعاً وأوصل الميرة إلى أصحابها المقررة لهم . فلما أخذ منهم خطوطهم (١) بوصول المقرر لهم عزم على السفر وحملني معه وسرنا في البحر(٢).

فلما كان في السادس عشر من مسيرنا (٣) في البحر رأيت ماءً أبيض (١) فجعلت أطيل النظر إليه ، فقال لي الشيخ وأسمه محمد : ما لي أراك تطيل النظر إلى هذا الماء .

---

(١) وتعني كلمة (خطوطهم) أي تواقيعهم أعترافاً منهم بأستلام المؤونة المقررة لهم من الجزيرة الخضراء .

(٢) وقد أصبح واضحاً الان ومن خلال ما قدمناه من أدلة معتبرة أثبتنا فيها وقوع جزيرة الرافضة على ساحل المحيط الأطلسي ،أن مسير الشيخ زين الدين علي بن فاضل ورحلته بمراكب الجزيرة الخضراء قد تمت في عرض المحيط الأطلسي لا البحر الأبيض المتوسط كما توهمه السيد محمد في تاريخ الغيبة الكبرى . وأطلاق كلمة (البحر) هنا من غير قيد ولا أضافة فللاشارة إلى أنه البحر المحيط كما يسميه القدامى وهو الأطلسي .

(٣) والذي يغلب على الظن هنا انه يقصد بقوله (فلما كان في السادس عشر من مسيرنا في البحر) اليوم السادس عشر من رحلتهم تلك إلى الجزيرة الخضراء وقد ورد ذكر اليوم صراحة في نسخة العلامة السيد هاشم البحراني صاحب البرهان والتي ينقلها عن بعض المشايخ ونصها (فسرنا خمسة أيام فلما كان في اليوم السادس رأيت ماءً أبيض ...الخ) ولكن من دون ذكر العشرة . راجع مخطوطة : تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي(عليه السلام) .

فقلت له : أني أراه على غير لون ماء البحر .

فقال لي : هذا هو البحر الأبيض ..وتلك الجزيرة الخضراء[٢] وهذا الماء مستدير حولها كثل السورمن أي الجهات أتيته وجدته وبحكمة الله تعالى أن مراكب اعدائنا إذا دخلته غرقت

---

(١) وهذا الماء الأبيض الذي أشار إليه الشيخ زين الدين والاختلاف في مياه المحيط هو نفس ما يؤكده الطيارون اليوم ممن دخلوا منطقة المثلث في برمودا . فقد جاء – كما مر بنا في ص٤٢ – ما قاله قائد سرب الطائرات الخمسة التي ضلت الطريق ودخلت منطقة المثلث في مكالمته مع برج المراقبة مؤكداً (وحتى البحر لا يشبه نفسه..) ثم (أننا نمر فوق جزيرة صغيرة!..) وأخيراً (يظهر أننا ندخل مياه بيضاء) .. ولهذا قلنا في مقدمة الفصل عن الجزيرة الخضراء بأننا (سنجد ضمن حديثه عنها أوصافاً تتطابق مع بعض ما يتصف به المثلث القاهر في برمودا ولكن من غير قطع – كما أسلفنا – في المقدمة هناك فلا نغفل وقد سجلنا في هامش كل ما يتعلق بهذا المر المهم حول المياه البيضاء وقلنا بأن كريستوف كولومبس صاحب الرحلة الشهيرة نفسه قد سجل ملاحظاته عن هذا الماء .

(٢) وقد أصبح واضحاً الآن من خلال هذه المحادثة التي تمت بين الشيخ زين الدين وقائد المركب بأن المراد من قوله (هذا هو البحر الأبيض...) الأشارة إلى تلك البقعة الكبيرة من المياه البيضاء المختلف لونها عن لون مياه المحيط الأطلسي والمحيطة بالجزيرة الخضراء إحاطة السور بالمدينة وأنما سماها بـ(البحر) هنا مجازاً تشبيهاً لسعتها بسعة البحر.

وليس معنى كلامه كما فهمه أحد الأساتذة من المؤلفين المعاصرين بأن هذا هو البحر الأبيض المتوسط ولذلك فقد أسقط ذلك الأستاذ هذه القصة عن الأعتبار واعتبرها من صنع الخيال لأن الكرة الأرضية على حد تعبيره (قد عرفت شبراً شبراً ومسحت متراً متراً فلم يجد الناس مثل هذه الجزيرة في مياه الأبيض المتوسط) وقد اثبتنا نحن فيما تقدم من أدلة قاطعة بأن الرحلة قد تمت في مياه الأطلسي لا البحر الأبيض المتوسط وعليه فلا يبقى أي وجه معتبر لأعتراض ذلك الأستاذ الباحث في كتابه عن الغيبة .

ولئن قيل لنا بأن الأشكال مفسه باق ويمكن أن يرد على قولكم بحصول الرحلة في المحيط الأطلسي فأن مثل هذه الجزيرة لا وجود لها اليوم في مياه المحيط . قلنا لهم بأن العلم اليوم قد التفت إلى بقعة مجهولة في مياه الأطلسي قريبة من جزر برمودا وبورتوريكو وفلوريدا يقال نها مثلث برمودا! وتحمل نفس المواصفات والخصوصيات التي تحملها الجزيرة الخضراء وقد تكون هي هذه الجزيرة وقد تكون غيرها وهذا ما عقدنا البحث لجله .

وأن كانت محكمة[1] ببركة مولانا وإمامنا صاحب العصر ﴿عليه السلام﴾.

فاستعملته وشربت منه فإذا هو كماء الفرات[1].

---

(١) وهذا هو نفس ما تواجهه الكثير من البواخر والطائرات اليوم من مصير مروع وهي تمر بمنطقة المثلث المجهول القريب من برمودا مهما كانت تلك الطائرات والبواخر أو السفن محكمة الصنع ومهما كانت مزودة بأحدث الأجهزة الالكترونية . بل الأغرب من ذلك – وقد بيننا هذا الباب الأول من هذا الكتاب بصورة مفصلة – أن بعض الطائرات كانت ترسل رسائل تقول فيها أنها لا تستطيع – كما يقول تشارلز بيرلتز- السيطرة على عمل الآلات وأن البوصلات كانت تدور بشكل لولبي وأن السماء تحولت إلى قطع كثيفة من الضباب الأسود والجو يميل إلى الأصفرار مع أن الجو كان في ذلك اليوم صحواً وصافياً وأن المحيط – الذي كان هادئاً في المناطق القريبة – أصبح لا يبدو طبيعياً ولم يقدموا أي أيضاح أو تعليل لما كان يجري .

ومن المعلوم أن طائرات اليوم مجهزة بحاسبات الكترونية صغيرة وذاكرة من شأنها ترشد – كما بين بيرلتز – إلى مكان الطائرة في حال وقوع الحوادث وتسجل ما يجري في الطائرة لتعطي تفصيلات عن الحوادث وتحدد الموقع بدقة كما ان هناك جهازاً صغيراً في مؤخرة الطائرة ويستمر في البث لمدة ثلاثة أيام في حال تعطل الأتصال مع أجهزة الطائرة كل هذه الأجهزة نجدها تتعطل عن العمل بحيث أن تعطل هذه الأجهزة المغناطيسية والكهربائية قد شكل عنصراً مهماً من جملة عناصر الغموض في المثلث! وهذا ما نجد فيه تطابقاً مع قوله (أن مراكب اعدائنا إذا دخلته غرقت وأن كانت محكمة ببركة مولانا وإمامنا صاحب العصر(عليه السلام)) .

ولا تحتاج ان نعيد هنا ما قلناه في ص١٨٨ من هذا البحث من علة تقييد التلف والدمار بالمراكب التي يصدق عليها كونها مراكب أعدائنا لا كل مركب والأمر اليوم كذلك في المثلث فبعض المراكب تنجو – وهي القليل – بينما الكثير منها يتلف ويغرق طائرة كانت أم باخرة أم سفينة!.

ثم أنا لما قطعنا ذلك الماء الأبيض[٢] وصلنا إلى الجزيرة الخضراء[٣]، لا زالت عامرة آهلة . ثم صعدنا من المراكب الكبير إلى الجزيرة ودخلنا البلد ، فرأيته محصّناً بقلاع وأبراج وأسوار سبعة واقعة على شاطئ البحر [٤] ذات أنهار وأشجار مشتملة على أنواع الفواكه والأثمر المنوعة وفيها أسواق كثيرة وحمامات عديدة وأكثر عمارتها برخام شفاف وأهلها في أحسن الزي والبهاء . فأستطار قلبي سروراً لما رأيته .

ثم مضى بي رفيقي محمد بعدما أسترحنا في منزله إلى الجامع المعظم ، فرأيت فيه جماعة كثيرة وفي وسطهم شخص جالس عليه من المهابة والسكينة والوقار ما لا أقدر أن أصفه والنّاس

---

(١) واضح أن مياه الأطلسي أعذب من مياه الأبيض المتوسط لأن مياه الأبيض المتوسط أكثر ملوحة منها وهذا ما يؤيد رأينا – أضافة لما تقدم بأن الجزيرة الخضراء واقعة في المحيط الأطلسي حيث وصف مياهه هنا بالعذوبة . وأن كنا لا نستبعد أن تكون العذوبة وبتلك الدرجة الموصوفة في القصة خاصة بذلك الماء الأبيض .

(٢) وهكذا عبر من جديد عن تلك البقعة من المياه البيضاء والتي – سميت كما قلنا مجازاً بالبحر الأبيض – بقوله : لما قطعنا ذلك الماء الأبيض ...فليس إذن هو البحر الأبيض المتوسط كما توهمه بعضهم.

(٣) ويؤكد الكثير من الطيارين ممّن دخلوا منطقة المثلث في مكالمتهم – بل حتى بعض الأقمار الأصطناعية كما بيناه في ص : ٩٢ – على وجود جزيرة صغيرة داخل المثلث محاطة بمياه بيضاء ! وقد مر بنا تفصيل بعض تلك المكالمات .

(٤) أي البحر الأبيض من المياه المحيطة بجزيرتهم والتي وصفها الشيخ محمد بقوله (وهذا الماء مستدير حولها مثل السور من أي الجهات أتيته وجدته ...الخ)

يخاطبونه بالسيد شمس الدين محمد العالم ويقرؤون عليه القرآن[١] والفقه والعربية بأقسامها واصول الدين . والفقه الذي يقرؤونه عن صاحب الأمر ﴿ عليه السلام ﴾ مسألة مسألة وقضية قضية وحكماً حكما .

فلما مثلت بين يديه رحبّ وأجلسني في القرب منه وأحفى السؤال عن تعبي في الطريق وعرفني أنه تقدم اليه كل أحوالي وأن الشيخ محمد رفيقي أنما جاء بي معه بأمر من السيد شمس الدين العالم . ثم امر لي بتخلية موضع منفرد في زاوية من

---

(١) رسالة الإمام المهدي (عليه السلام) هي رسالة القرآن ودعوته هي دعوة القرآن وخلق الأنسان الرسالي المهيأ للقتال بين يدي الإمام لا يتم إلا في مدرسة القرآن ..لذلك تراهم في هذه الجزيرة يقدمون دراسة القرآن على دراسة غيره من فقه وأصول عربية باعتباره أسّ الدراسات الإسلامية التي يجب على المؤمن أن يهتم بها ويشغل باله بتحقيقها وهو ما ينبغي أيضاً بمجامعنا العلمية وحوزاتنا الكريمة أن تؤكد عليه وتزيد من حصص دراسته وتدريسه ..تلاوة وحفظاً وتفسيراً !.

ولا بد لكل واحد منا أن يربط نفسه بالقرآن فيعيش أجوائه الصافية يسمع الكلام من الله ويأخذ التوجيه من كتابه المعجز . فهذه العبادة هي التي ستخلق منه أنساناً قرآنياً كريماً ويفوز بالصحبة أن شاء الله بعد أن يرى الله صدقه وأخلاصه في علمه وعمله .

وأصحاب الإمام المهدي(عليه السلام)هم أصحاب القرآن بكل ما لهذه الكلمة من معنى لا ينحرفون عنه يميناً ولا شمالاً مع تمسك كامل بطريقة أهل البيت(عليهم السلام) الذين هم عدل القرآن وترجمانه .

زوايا المسجد وقال لي :هذا يكون لك إذا أردت الخلوة والراحة [١].

فنهضت ومضيت إلى ذلك الموضع فاسترحت فيه إلى وقت العصر وإذا انا بالموكل بي قد أتى إلي وقال لي : لا تبرح من مكانك حتى ياتيك السيد وأصحابه لأجل العشاء معك .فقلت سمعاً وطاعة . فما كان إلا قليل وإذا بالسيد سلمه الله قد أقبل ومعه أصحابه فجلسوا ومدّت المائدة فأكلنا ونهضنا إلى المسجد مع السيد لأجل صلاة المغرب والعشاء فلما فرغنا من الصلاتين ذهب السيد إلى منزله ورجعت إلى مكاني .

وأقمت على هذه الحال مدة ثمانية عشر يوماً ونحن في صحبته أطل الله بقاءه . فأول جمعة صليتها معهم رأيت السيد صلى الجمعة ركعتين فريضة واجبة فلما انقضت الصلاة قلت :

---

(١) ولا تتوهم بأنهم قد عينوا له مكاناً داخل المسجد لكراهة النوم والأكل والكلام بغير ذكر الله داخل المسجد وأنما قد عينوا له موضعاً منفرداً في زاوية من زوايا المسجد من الخارج والدليل على ذلك قوله بعد قليل ومدّت المائدة فأكلنا ونهضنا إلى المسجد مع السيد لأجل صلوة المغرب والعشاء ولو كان جلوسهم على المائدة داخل المسجد لما صح قوله (ونهضنا إلى المسجد) لأن النهوض إلى المسجد يدلّ على أنهم كانوا خارجه فنهضوا للدخول إليه من أجل الصلاة .

يا سيدي قد رأيتم صليتم الجمعة ركعتين فريضة واجبة .قال : نعم ..لأن شروطها المعلومة قد حضرت فوجبت .فقلت في نفسي : ربما كان الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ حاضراً .ثم في وقت آخر سألت منه الخلوة : هل كان الإمام حاضراً .فقال : لا ..ولكني أنا النائب الخاص بأمر صدر عنه﴿ عليه السلام ﴾.

فقلت : يا سيدي .. وهل رأيت الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ .

قال : لا ولكني حدثني أبي رحمه الله[1] أنه سمع حديثه ولم ير شخصه وأن جدي رحمه الله سمع حديثه ورأى شخصه .

فقلت له : ولم ذاك يا سيدي ..يختص بذلك رجل دون آخر .

فقال لي : يا اخي ..ان الله سبحانه وتعالى يؤتي الفضل من يشاء من عباده وذلك لحكمة بالغة وعظمة قاهرة كما ان الله تعالى أختصّ من عباده الأنبياء والمرسلين والأوصياء المنتجبين وجعلهم أعلاماً لخلقه وحججاً على بريته ووسيلة بينهم وبينه ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ[2]﴾ولم

---

(١) الترحّم على أبيه وجده هنا يدل على أنهم يصبهم ما يصيب بقية الناس من الموت والحياة وليسوا كما قد يتوهمه البعض من انهم باقون كالإمام صلوات الله وسلامه عليه إلى يومنا هذا .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٢ .

يحّل أرضه بغير حجة على عباده للطفه بهم ولا بد لكلّ حجة من سفير يبلغ عنه .

ثم ان السيد أخذ بيدي إلى خارج مدينتهم وجعل يسير معي نحو البساتين فرأيت فيها أنهاراً جارية وبساتين كثيرة مشتملة على انواع الفواكه عظيمة الحسن والحلاوة : من العنب والرمان والكمثري وغيرها ما لم أرها في العراقين ولا في الشامات كلها .

فبينما نحن نسير من بستان إلى آخر إذ مر بنا رجل بهيّ الصورة مشتمل ببردتين من صوف أبيض . فلما قرب منا سلّم علينا وأنصرف عنّا فأعجبتني هيئته؟ فقلت للسيد :من هذا الرجل قال لي : أتنظر إلى هذا الجبل الشاهق .قلت : نعم .قال : ان في وسطه لمكاناً حسناً وفيه عين جارية تحت شجرة ذات أغصان كثيرة وعندها قبة مبنية بالآجر وأن هذا الرجل مع رفيق له خادمان لتلك القبة . وأنا أمضي إلى هناك في كل صباح جمعة أزور الإمام﴿ عليه السلام ﴾ منها وأصلي ركعتين وأجد هناك ورقة مكتوب فيها ما أحتاج إليه من المحاكمة بين المؤمنين فمهما

تضمنته الورقة أعمل به . فينبغي لك أن تذهب إلى هناك وتزور الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ من القبة .

فذهبت إلى الجبل فرايت القبة على ما وصف لي سلمه الله ووجدت هناك خادمين فرحب بي الذي مرّ علينا وأنكرني الآخر فقال له :لا تنكره فأني رايته في صحبة السيد شمس الدين العالم .

فتوجّه إلي ورحب بي وحادثني واتيا لي بخبز وعنب فأكلت وشربت من ماء تلك العين التي عند القبة وتوضأت وصليت ركعتين .وسألت الخادمين عن رؤية الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ فقالا لي :

الرؤية غير ممكنة وليس معنا إذن في اخبار أحد ..

فطلبت منهما الدعاء فدعيا لي وانصرفت عنهما ونزلت من ذلك الجبل إلى أن وصلت إلى المدينة .

فلما وصلت إليها ذهبت إلى دار السيد شمس الدين العالم ، فقيل لي : إنه خرج في حاجة له[1].

---

(١) خروج السيد شمس الدين محمد العالم في حاجاته بنفسه وهو النائب الخاص عن الإمام الحجة(عليه السلام)في تلك الجزيرة والحاكم بين اهلها يدل على حياة التواضع التبير والخلق الإسلامي العالي التي يعيشها أهل تلك الجزيرة الخضراء المباركة فلا فرق عندهم

فذهبت إلى دار الشيخ محمد الذي جئت معه في المركب فأجتمعت به وحكيت له عن مسيري إلى الجبل واجتماعي بالخادمين وأنكار الخادم عليّ فقال لي : ليس لأحد رخصة في الصعود إلى ذلك المكان سوى السيد شمس الدين وأمثاله فلهذا وقع الأنكار منه لك .

فسألته عن أحوال السيد شمس الدين فقال :

أنه من اولاد أولاد الإمام وأن بينه وبين الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ خمسة آباء[1] وأنه النائب الخاص عن امر صدر منه﴿ عليه السلام ﴾.

قال الشيخ الصالح زين الدين علي بن فاضل المازندراني المجاور بالغري على مشرفه السلام : واستأذنت السيد شمس الدين العالم في نقل بعض المسائل التي يحتاج إليها عنه قراءة القرآن المجيد ومقابلة المواضع المشكلة من العلوم الدينية وغيرها

بين حاكم أو محكوم بل كلهم في خدمة الإسلام والمسلمين وخيرهم من كان الاخرون منه في راحة وهو من نفسه تعب .

(١) راجع الملحق الأول أشكال الذرية وكثرة الأولاد للإمام المهدي (عليه السلام)في نهاية الكتاب .

فأجاب إلى ذلك وقال : أذا كان ولا بدّ من ذلك فابدأ أولاً بقراءة القرآن العظيم [١].

فكان كلما قرأت شيئاً فيه خلاف بين القراء أقول له : قرأ حمزة كذا وقرأ الكسائي كذا وقرأ عاصم كذا وأبو عمر بن كثير كذا فقال السيد :

نحن لا نعرف هؤلاء [٢].وانما القرآن نزل على سبعة أحرف قبل الهجرة من مكة إلى المدينة وبعدها لما حج الرسول ﴿ﷺ﴾

---

(١) ونعود ثانية كما عادوا إلى أهم دعامة في الإسلام وأقدس ما نزل من السماء من كتاب إلى القرآن العظيم والحبل المتين لنبدأ معه الحياة من جديد . فنتلوه أولاً وندرسه ثانياً ونعمل به ثالثاً .

ولنتبرك هنا بنقل رواية جديدة واحدة في فضل القرآن ذكرها السيد صاحب البرهان عن العياشي بأسانيد عن الإمام الصادق(عليه السلام) عن آبائه(عليهم السلام) عن رسول الله (ﷺ) حيث قال : (أيها الناس .. أنكم في زمان هدنة وأنتم على ظهر سفر والسير بكم سريع فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود . فأعدوا الجهاز لبعد المفاز .

فقام المقداد فقال : يا رسول الله ما دار الهدنة ؟ قال(ﷺ) : دار بلاء وأنقطاع فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فأنه شافع مشفع وما حل مصدّق من جعله امامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار . وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل بيس بالهزل . له ظهر وبطن ! فظاهره حكمة وباطنه علم ظاهره أنيق وباطنه عميق له تخوم وعلى تخومه تخوم . ولا يحصى عجائبه ولا يبلى غرائبه ، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعروف لمن عرفه .

(٢) للاطلاع على حال هؤلاء القراء وسيرتهم راجع كتاب (البيان في تفسير القرآن) لزعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي(قدس سره)/ المجلد الأول / باب : اضواء على القرّاء / ص : ١٢٣ ــ ١٤٧ .

حجة الوداع نزل عليه الروح الأمين جبرئيل ﴿ عليه السلام ﴾ فقال: يا محمد اتل علي القرآن حتى اعرفك أوائل السور وأواخرها وشأن نزولها .

فأجتمع إليه علي بن أبي طالب وولداه الحسن والحسين ﴿ عليهم السلام ﴾ وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري وحسان بن ثابت وجماعة من الصحابة رضي الله عن المنتجبين منهم. فقرأ النبي ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ القرآن من اوله إلى أخره فكان كلما مر بموضوع فيه أختلاف بيّنه له جبرئيل ﴿ عليه السلام ﴾ وأمير المؤمنين يكتب ذاك في درج من ادم[1] فالجميع قراءة أمير المؤمنين ووصّي رسول رب العالمين ...

والقرآن الذي جمعه أمير المؤمنين ﴿ عليه السلام ﴾ بخطّه محفوظ عند صاحب الأمر ﴿ عليه السلام ﴾ فيه كل شيء حتى إرش الخدش وأما هذا القرآن فلا شك ولا شبهة في صحته وأنه كلام الله سبحانه هكذا صدر عن صاحب الأمر﴿ عليه السلام ﴾ .

(١) الأديم : الجلد الدبوغ والجمع(أدم) بفتحتين وبضمتين أيضاً .

قال الشيخ الفاضل علي بن فاضل : ونقلت عن السيد شمس الدين مسائل كثيرة تنوف على تسعين مسألة وهي عندي جمعتها في مجلد وسميها بـ(الفوائد الشمسية) [1] ولا أطلع عليها إلا الخاص من المؤمنين وستراه أن شاء الله تعالى .

فلما كانت الجمعة الثانية وهي الوسطى من جمع الشهر وفرغنا من الصلاة وجلس السيد في مجلس الأفادة للمؤمنين وإذا أنا اسمع هرجاً ومرجاً وجزلة عظيمة خارج المسجد فسألت السيد عما سمعته فقال لي :

أن أمراء عسكرنا يركبون في كل جمعة من وسط كل شهر وينتظرون الفرج .

فاستأذنته في النظر اليهم فإذن لي . فخرجت لرؤيتهم وإذا هم جمع كثيرون يسبحون الله ويحمدونه ويهللونه جلّ وعز ويدعون بالفرج للأمام القائم بأمر الله والناصح لدين الله محمد بن الحسن المهدي الخلف الصالح صاحب الزمان ﴿عليه السلام﴾.

---

(١) وقد ترجم العلامة الشيخ أغا بزرك في الذريعة لهذا الكتاب معتبراً إياه من جملة مصنفات الشيعة واستشهد ببعض مسائله فراجع الجزء السادس عشر منها : ص٣٤٣ .

ثم عدت إلى مسجد السيد فقال لي : رأيت العسكر .فقلت : نعم . قال : فهل عددت أمراءهم .قلت : لا .قال : عدّتهم ثلاثة مائة ناصر وبقي ثلاثة عشر ناصراً ويعجل الله لوليه الفرج بمشيته إنه جواد كريم .قلت : يا سيدي ..ومتى يكون الفرج . قال : يا أخي أنما العلم عند الله والأمر متعلق بمشيته سبحانه وتعالى حتى أنه ربما كان الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ لا يعرف ذلك بل له علامات وأمارات تدل على خروجه من جملتها : ان ينطق ذوالفقار بأن يخرج من غلافه ويتكلم بلسان عربي مبين (قم يا ولي الله على اسم الله فأقتل بي أعداء الله).

ومنها ثلاثة أصوات يسمعها الناس كلهم الصوت الأول : أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين والصوت الثاني ألا لعنة الله على الظالمين ل محمد﴿ عليه السلام ﴾ والثالث بدن يظهر فيرى في قرن الشمس يقول أن الله بعث صاحب الأمر محمد بن الحسن المهدي ﴿ عليه السلام ﴾ فأسمعوا له وأطيعوا [1].

---

(١) وقد وردت هذه العلامات المذكورة هنا في كثير من الروايات المروية هن أهل البيت (عليهم السلام) فذكرها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة ص : ٢٦٨ والنعماني في غيبته ص : ١٨٠ ـ ١٨١ من الطبعة الحديثة فراجعهما وكذلك راجع البحار الأجزاء :٥١- ٥٣ .

فقلت : يا سيدي .. قد روينا عن مشايخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر (عليه السلام) أنه قال لما أمر بالغيبة الكبرى (من رآني بعد غيبتي فقد كذب) فكيف فيكم من يراه ؟ .

فقال : صدقت ..أنه﴿ عليه السلام ﴾ انما قال ذلك في ذلك الزمان لكثرة أعدائه من أهل بيته وغيرهم من فراعنة بني العباس حتى ان الشيعة بعضها بعضاً عن التحدث بذكره وفي هذا الزمان تطاولت المدة وأيس منه الأعداء وبلادنا نائية عنهم وعن ظلمهم وعنائهم وببركته ﴿ عليه السلام ﴾ لا يقدر أحدٌ من الأعداء على الوصول ألينا .

قلت : يا سيدي ..قد روت علماء الشيعة حديثاً عن الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ أنه أباح الخمس لشيعته . فهل رويتم عنه ذلك ؟ .

قال : نعم ..انه ﴿ عليه السلام ﴾ رخص وأباح الخمس لشيعته من ولد علي ﴿ عليه السلام ﴾ وقال هم في حلٍ من ذلك .

قلت : وهل رخص للشيعة أن يشتروا الأماء والعبيد من سبي العامة ؟ قال : نعم ..ومن سبي غيرهم لأنه﴿ عليه السلام ﴾ قال عاملوهم بما عاملوا به انفسهم .

وهاتان المسألتان زائدتان على المسائل التي سميتها لك .

وقال السيد : إنه يخرج من مكة بين الركن والمقام في سنة وتر فليرتقبها المؤمنون .

فقلت : يا سيدي ..قد أحببت المجاورة عندكم إلى أن ياذن الله بالفرج فقال لي : أعلم يا أخي أنه قد تقدم ألي كلام بعودك إلى وطنك ولا يمكنني وإياك المخالفة لأنك ذو عيال وغبت عنهم مدة مديدة ولا يجوز لك التخلف عنهم أكثر من هذا .

فتأثرت من ذلك وبكيت وقلت : يا مولاي ..وهل تجوز المراجعة في أمري .قال : لا .قلت : يا مولاي ..وهل تأذن لي في أن أحكي كلما قد رأيته وسمعته .قال : لا بأس أن تحكي للمؤمنين لتطمئن قلوبهم إلا كيت وكيت وعين ما لا أقوله [١].

فقلت : يا سيدي ..أما يمكن النظر إلى جماله وبهائه ﴿ عليه السلام ﴾ قال لا .ولكن أعلم يا أخي أن كل مؤمن مخلص يمكن أن يرى الإمام ولا يعرفه .فقلت : يا سيدي ..انا من جملة عبيده المخلصين ولا رأيته .فقال لي : بل رأيته مرتين مرة منها لما

---

(١) وعقيدتي أنه لو كان مأذوناً في أن يحكي لنا كل ما رآه وسمعه في الجزيرة الخضراء لأنحلت جميع الأشكالات التي يثيرها البعض بوجه هذه القصة . ولكن شاء الله لحظوظنا أن لا تسمع أكثر من هذا المكتوب والحمد لله ...

أتيت إلى (سر من رأى) وهي أول مرة جئتها وسبقك أصحابك وتخلفت عنهم حتى وصلت إلى نهر لا ماء فيه . فحضر عندك فارس على فرس شهباء وبيده رمح طويل وله سنان دمشقي فلما رأيته خفت على ثيابك . فلما وصل إليك قال لك : لا تخف إذهب إلى أصحابك فأنهم ينتظرونك تحت تلك الشجرة فأذكرني والله ما كان .

فقلت : قد كان ذلك يا سيدي .

قال : والمرة الأخرى حين خرجت من دمشق تريد مصراً مع شيخك الأندلسي وانقطعت عن القافلة وخفت خوفاً شديداً فعارضك فارس على فرس غرّاء محجلة وبيده رمح أيضاً وقال لك : سر ولا تخف إلى قرية على يمينك ونم عند أهلها الليلة وأخبرهم بمذهبك الذي ولدت عليه ولا تتق منهم فأنهم مع قرى عديدة جنوبي دمشق مؤمنون مخلصون يدينون بدين علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين من ذريته ﴿عليهم السلام﴾ .

اكان ذلك يا ابن فاضل ؟ قلت : نعم ..وذهبت إلى عند أهل القرية ونمت عندهم فأعزوني وسألتهم عن مذهبهم فقالوا لي - من غير تقية مني - : نحن على مذهب أمير المؤمنين ووصي

رسول ربّ العالمين علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين من ذريته ﴿ عليهم السلام ﴾ .

فقلت لهم : من أين لكم هذا المذهب ومن اوصله إليكم ؟.

قالوا : أبو ذر الغفاري ﴿ رضي الله عنه ﴾ حين نفاه عثمان إلى الشام ونفاه معاوية إلى أرضنا هذه فعمّتنا بركته [(١)].

فلما أصبحت طلبت منهم اللحوق بالقافلة فجهزوا معي رجلين ألحقاني بها بعد ان صرحت لهم بمذهبي.

فقلت له : يا سيدي ..هل يحج الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ في كل مدة بعد مدة؟ قال لي : يا أبن فاضل ..الدنيا خطوة المؤمن فكيف بمن لم تقم الدنيا إلا بوجوده ووجود آبائه ﴿ عليهم السلام ﴾ . نعم يحج في كل عام ويزور آباءه في المدينة والعراق وطوس على مشرفيها السلام ويرجع إلى أرضنا هذه .

---

(١) وهذا ما يتفق مع الواقع التاريخي حيث ان أبا ذر الغفاري (رضي الله عنه) هو اول من بذر بذور التشيع والولاء لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة في تلك القرى العديدة الواقعة جنوبي دمشق والمعبر عنها اليوم بجنوب لبنان وجبل عامل فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا للخصومة مع الظالمين . راجع بهذا الصدد : أعيان الشيعة للسيد ممحسن الأمين العاملي /ج١٦ / مج١٧ / ص : ٥٠٧ / ط: الأولى .

ثم أن السيد شمس الدين حث علي بعدم التأخير بالرجوع إلى العراق وعدم الأقامة في بلاد المغرب . وذكر لي أنّ دراهمهم مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلي ولي الله محمد بن الحسن القائم بأمر الله) وأعطاني السيد منها خمسة دراهم وهي محفوظة عندي للبركة .

ثم انه سلمه الله وجهني مع المراكب التي أتيت معها إلى إن وصلنا إلى تلك البلدة التي أول ما دخلتها من أرض البربر(١).

وكان قد أعطاني حنطة وشعيراً فبعتها في تلك البلدة بمائة وأربعين ديناراً ذهبياً من معاملة بلاد المغرب ....(٢) ، ولم أجعل طريقي على الأندلس امتثالاً لأمر السيد شمس الدين

---

(١) والملاحظ هنا هو أنهم قد عادوا به كما ذكر رحمه الله من غير الطريق الذي أخذنوه منه إلى الجزيرة الخضراء وخاضوا به عباب المحيط الأطلسي حيث يذكر هنا بأنهم قد أوصلوه بمراكبهم إلى أول تلك الأماكن التي وصلها مع القافلة التجارية بعد أن قطع معهم مسيرة الاثنتين وعشرين يوماً بضمنها اليومين اللذين لا عمارة فيهما ولا ماء والتي ذكرها بقوله فيما معنى (فلما قطعنا معهم تلك المسافة ووصلنا أرضهم العامرة تمشيت راجلاً وتنقلت على اختياري من قرية إلى أخرى إلى إن وصلت إلى أول تلك الأماكن فقيل لي : أن جزيرة الروافض قد بقي بينك وبينها ثلاثة أيام) ومعنى هذا أنهم لم يعودوا به إلى جزيرة الرافضة وإنما أوصلوه إلى مكانه الأول هذا من أرض البربر .

(٢) وفي بعض النسخ ومنها نسخة(تفسير الأئمة) بعد هذه العبارة يقول (فتوجهت بها إلى طرابلس من مدن المغرب) ومعنى هذا إن الشيخ زين الدين علي بن فاضل بعد أن باع حنطته وشعيره في البلدة التي أنزله المركب فيها ذهب بالمال إلى طرابلس ومنها سافر لأداء فريضة الحج مع اهل المغرب . وأما إذا لم تكن هذه العبارة من أصل القصة فأن الضمير في قوله (وسافرت منها...) سيعود على البلدة التي باع الشيخ فيها الحنطة والشعير بمائة وأربعين ديناراً ذهباً ومنها سافر إلى الحج .

العالم . وسافرت منها مع الحجج المغربي إلى مكة شرفها الله تعالى وحججت وجئت العراق وأريد المجاورة في الغري على مشرفيها السلاك حتى الممات .قال الشيخ زين الدين علي بن فاضل المازندراني : لم أر لعلماء الإمامية عندهم ذكراً سوى خمسة : السيد مرتضى الموسوي ، والشيخ أبو جعفر الطوسي ، ومحمد بن يعقوب الكليني ، وابن بابويه ، والشيخ أبو القاسم جعفر بن سعيد الحلي[1].

هذا آخر ما سمعته من الشيخ الصالح التقي الفاضل الزكي علي بن فاضل المذكور وأكثر من علماء الدهر واتقيائه وأمثاله والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على خير

---

(١) والمراد به الحبر الأعظم والفقيه المعظم المحقق الحلي (رحمه الله) ولكن ورد اسمه في بعض النسخ ومنها نسخة تفسير الائمة ونسخة العلامة البحراني (رحمه الله) هكذا (الشيخ أبو القاسم جعفر بن أسماعيل الحلي) وهو تصحيف من الكتاب أو النساخ كما أفاد ذلك السيد الكبير العلامة بحر العلوم (رحمه الله) في (فوائده الرجاليه) عند ترجمته للسيد المرتضى حيث قال وفي قصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض وهي حكاية طويلة ...إلى قوله : والشيخ أبي القاسم جعفر بن أسماعيل (قدس سره) هكذا نسختين عندنا والظاهر أن الأخير هو المحقق جعفر بن سعيد وأسماعيل تصحيف من الكتاب .
وربما كان أسماعيل واحداً من أجداد المحقق الحلي الأجلاء ونسب في هذا الموضع إليه وهو ما أفاده الميرزا النوري عليه (رحمه الله) في النجم الثاقب بعد أن أشار إلى أحتمال التصحيف أولا فراجع .

البرية محمد وعلى آله الطاهرين المعصومين وسلم تسليماً كثيراً [1].

---

(١) وفي آخر نسخة العلامة البحراني المروية في (تبصرة الولي) فقد صرح بتاريخ الزيارة للجزيرة المذكورة بقوله (وذكر لي علي المذكور أنّ لي بهذه السنة ثمان سنوات ونصفاً مفارقاً تلك البلاد وكان اجتماعي بالسيد شمس الدين محمد في تلك الجزيرة في سنة تسعين وستماية . وهذا ما سمعته من فيه والسلام والأكرام والحق أحق ما يتبع) .

الباب الثاني

مع الآثار والأخبار

والآن وبعد أن عرفنا ما هي قصة الجزيرة الخضراء وأي بحر أبيض ذاك الذي يحيط بها ، يهمنا أن نعرف الآن ويعرف معنا القارئ أن كان لهذه الجزيرة ذكر في عالم الكتب والمؤلفات التي صنفها العلماء من الجغرافيين واللغويّين وأهل الأنساب أو ممّن كتب في الحديث والفقه والتراجم ؟ .

والذي يبدو لأول وهلة أن للجزيرة الخضراء ذكراً في جميع هذه الكتب التي ذكرناها . لكن هناك فرقاً بين ذكرها في كتب الجغرافيين واللغويين وأهل الأنساب عنه في كتب الحديث والفقه والتراجم فذكرها هناك غير ذكرها هنا . ولكي يتبين لنا هذا الأمر جلياً فسندرسها في كلا الموضعين مفصلاً .

الجزيرة الخضراء في كتب الجغرافيين واللغة والأنساب :

لقد ورد ذكر (الجزيرة الخضراء) في كتب الجغرافيين واللغويين وأهل الأنساب . لكن الذي يجب أن ننبه عليه مقدماً هو أن المقصود بالجزيرة الخضراء عند هؤلاء هي تلك الجزيرة

الخضراء التي تقع على مضيق جبل طارق والمسماة باللاتينية (Algesiras) والتي استولى عليها المسلمون عام ٩٢ من الهجرة عند فتحهم لبلاد الأندلس[1] وسقطت منهم عام ٧٤٣هـ بيد الفونس الحادي عشر [2] لا هذه الجزيرة (الخضراء) التي نتحدث عنها في هذا البحث والتي لا تخضع لأية سيادة قانونية سوى سيادة الإمام الحجة ﴿ عليه السلام ﴾ كما ورد في القصة وممّن تحدث عن تلك الجزيرة الخضراء الأندلسية من الجغرافيين العلامة ياقوت الحموي في موسوعته (معجم البلدان) حين قال عنها :

مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد البربر : سبتة وأعمالها متصلة بأعمال شذونة . وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة ومدينتها من أشلاف المدن وأطيبها أرضاً وسورها يضرب به ماء البحر ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر لكنها متصلة ببر الأندلس لا حائل من الماء دونها . كذا أخبرني

---

(١) مرآة الجنان / العلامة اليافعي / الطبعة الأولى : ١٣٢٧هـ / الجزء الأول / ص : ١٨٠ . كذلك راجع أطلس التاريخ الإسلامي للجمعية الجغرافية الأمريكية الصفحات ٨-٩ .

(٢) المنجد في الأعلام / الطبعة السابعة / ص :٢١٤ .

جماعة ممّن شاهدها من اهلها ولعلها سميت بالجزيرة لمعنى آخر[١].

كما تحدّث ياقوت عن وجود جزيرة أخرى تعرف أيضاً بأسم الجزيرة الخضراء وتقع في أرض الزنج من بحر الهند فقال:

وهي كبيرة عريضة يحيط بها البحر الملح من كل جانب وفيها مدينتان أسم احداهما متنبي واسم الأخرى مكنيلوا في كل واحدة منها سلطان لا طاعة له على الآخر . وفيها عدّة قرى ورساتيق ويزعم سلطانهم أنه عربي وأنه من ناقلة الكوفة إليها . حدثني الشيخ الصالح عبد الملك الحلاوي البصري وكان قد شاهد ذلك وعرفه وهو ثقة[٢] .

كذلك ذكر السمعاني في أنسابه في مادة (جزيري) الجزيرة الخضراء الأندلسية فقال والجزيري : نسبة إلى الجزيرة الخضراء...الخ) ثم ذكر بعض من أنتسب إليها من العلماء من اهلها [٣].

---

(١) راجع الجزء الثاني منه /ط دار صادر / بيروت ١٩٧٩ /ص١٣٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الأنساب / طبعة مصورة بالأوفسيت على المخطوطة / مكتبة المثنى بغداد .

بل أن العلامة عبد الجبار بن أبي بكر المعروف بأبن حمديس قد ألف تأريخا خاصاً لهذه الجزيرة أسماه (تاريخ الجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس [1] .كما ان العلامة الفيروز آبادي وهو من علماء اللغة قد ذكرها أيضاً في قاموسه المحيط في مادة (جزر) وذكر معها أيضا جزيرة أرض الزنج فقال (والجزيرة الخضراء بلد بالأندلس ولا يحيط بها ماء والنسبة جزيري وجزيرة عظيمة بأرض الزنج فيها سلطانان لا يدين احدهما للآخر [2].

وهذا الذي ذكره ياقوت من الجغرافيين والفيروز آبادي من اللغويين والسمعاني من أهل الأنساب وأبن حمديس من المؤرخين وكذلك ما نقله حولها الخوانساري في (روضات الجنات) عن تلخيص الآثار والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وعن نفايس الذخيرة وغيرها[3] فأنما هو كله كما قدمنا بشأن الجزيرة الخضراء المعلومة التابعة لبلاد الأندلس سابقاً

---

(١) راجع كشف الظنون / للحاجي خليفة / الجزء الأول / ص : ٢٩٠.

(٢) القاموس المحيط / الجزء الأول / ص : ٣٨٩ .

(٣) راجع روضات الجنات / الجزء الأول / الصفحات : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٩٠ .

والخاضعة للسيادة الأسبانية اليوم ، لا جزيرة الإمام المهدي الخضراء﴿ عليه السلام ﴾ .

ومنه يعلم أشتباه البعض ممّن حمل حديث اولئك العلماء عن تلك الجزيرة المعلومة على الجزيرة الخضراء المباركة بوجود الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ كالميرزا محمد بن عبد النبي الأخباري النيسابوري المتوفى عام ١٢٣٢هـ في جواباته على الأسئلة التي وجهت إليه من همدان والتي ضمنها كتابه المسمى بـ(الدرالثمين في جواب مسائل محمد أمين) والمشتهر بتحفة الأمين حيث قال في بعض تلك الأجوبة ما ترجمته :

ولقد لاحظ هذا الأحقر – ويقصد نفسه – ذكر الجزيرة الخضراء أجمالاً في قاموس وكتاب للسمعاني [١].

حيث أن الأمر كما بيناه من رجوع الحديث عند صاحب القاموس وصاحب الأنساب إلى جزيرة الأندلس لا جزيرة الإمام .

---

(١) روضات الجنات / محمد باقر الخوانساري / ج٧ / ص : ١٣٦ – ١٣٧ ، وكذلك راجع ما نقله صاحب الروضات في الصفحة ٣٨ من هذا الجزء عن كتاب الرجال للميرزا المذكور عند ترجمته للميرزا محمد العلوي الاسترابادي لتعلم اشتباهه ثانياً .

ولكن هنا نقطة مهمة وهي أننا نجد عند البحث والتنقيب أن الجغرافيين وغيرهم ممّن ذكر الجزيرة الخضراء الأندلسية وتحدث عنها بما نقلنا بعضه فيما سبق قد أهملوا ذكر جزيرة الإمام الخضراء أيضاً ولم يتحدثوا عنها فما هو السرّ يا ترى ؟ وهل حقاً أنهم قد أهملوا ذكرها بالمرة؟ أم يمكن أن نجد في بعض أحاديثهم عن الجزر والبحار ما يفيد في هذا المقام وينفع في تطبيقه على الجزيرة الخضراء المباركة ؟ .

ونقول – للاجابة على هذه التساؤلات – بأن الحقيقة هو أنه ليس هناك أي سرّ حول إهمال الجغرافيين لذكر الجزيرة الخضراء العائدة للإمام المهدي﴿ عليه السلام ﴾ أذ أن مبنى القوم من الجغرافيين حين يكتبون ويصنفون في البلدان قائم على المشاهدة والعيان أو الشهرة التي تغني عن العيان عند ترجمتهم لبقعة (ما) جبلاً كانت أم جزيرة أم بحراً أن غير ذلك.

فالحموي حين يترجم لـ(بغداد) ـو (خراسان) أو (القاهرة) فباعتبارها مدناً مسكونة تصلها قوافل المسافرين وتخرج منها ولها تجارات معلومة وتاريخ وغير ذلك . ومن هنا فهو يدرجها

في معجم بلدانه وأما مثل (الجزيرة الخضراء) والتي لا تصلها إلا مراكب الإمام المهدي﴿ عليه السلام ﴾ ولا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج إلا بأذن منه صلوات الله عليه كما في قصة علي بن فاضل الذي ساعدته التوفيقات الإلهية للوصول اليها فشيء طبيعي أن لا نجد لها ذكراً في كتبهم فضلاً عن تفصيل أحوالها وأحوال ساكنيها من أصحاب الإمام وأتباعه .

بينما الأمر على العكس من ذلك فيما لو فتشنا كتب الحديث والرواية والفقه والتفسير والتراجم حيث مبنى القوم قائم على تحمل الرواية والحديث ونقله وفق شروط معلومة لديهم وطرق واضحة للتحمل ولذلك لا تجد في الأعم الأغلب كتاباً في الحديث أو ترجمة حياة الإمام الاّ والجزيرة الخضراء ذكراً مع تبيان أحوالها .

وأما بشأن الأجابة على السؤال الثاني وهو فيما إذا كان بأمكاننا أن نجد في بعض أحاديث الجغرافيين والبلدانيين ما ينفع ويفيد في أمكانية تطبيقه على الجزيرة الخضراء فأننا نجيب بالأيجاب إذ لو دققنا النظر في بعض عبارات القوم من الجغرافيين القدامى والبلدانيين والفلكيين عند ترجمتهم لبعض

الجزر فسنجد في النصوص ما يمكن أن نشم منه رائحة الأنطباق على الجزيرة الخضراء أو قريباً منه ولكن بصور وتعابير مختلفة .

وعلى سبيل المثال نذكر هنا حديثهم عن (الجزائر الخالدات) أو (جزائر السعادة) وغيرهن فأننا سنجد هنا فيما لو رجعنا إلى ما كتبوه عنها وصفاً يتطابق من جهات كثيرة مع وصف (الجزيرة الخضراء) المباركة بوجود الإمام الحجة ﴿ عليه السلام ﴾.

فقد كتب ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦هـ عن الجزائر الخالدات في معجمه فقال :

وهي جزائر السعادة التي يذكرها المنجمون في كتبهم كانت عامرة في أقصى المغرب في البحر المحيط [١] . وكان بها مقام طائفة من الحكماء[٢] ولذلك بنوا عليها قواعد علم النجوم .

قال أبو ريحان : جزائر السعادة وهي الجزائر الخالدات هي ست جزائر وأغلة في البحر المحيط قريب من مائتي فرسخ وهي بلاد المغرب يبتدئ بعض المنجمين في طول البلاد منها .

---

(١) وقد أثبتنا نحن وقوع الجزيرة الخضراء في أقصى المغرب في البحر المحيط .

(٢) وهذه تصلح أن تكون إشارة لأصحاب الحجة (عليه السلام) إذ جميعهم من الحكماء .

وقال أبو عبيد البكري : بأزاء طنجة في البحر المحيط وغزاء جبل (ادلنت) الجزائر المسماة (فرطناتش) [١] أي السعادة سميت بذلك لأن شعراءها وغياضها كلها اصناف الفواكه الطيبة العجيبة[٢] من غير غراسة ولا عمارة وأن أرضها تحمل الزرع مكان العشب وأصناف الرياحين العطرة بدل الشوك وهي بغربي بلد البربر مفترقة متقاربة في البحر المذكور [٣].

وكذلك أكّد وجود الجزائر الخالدات أو جزائر السعادة العلامة زكريا بن محمد بن محمود القزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ في مؤلفه القيم(آثار البلاد واخبار العباد) [٤]. كما أشار العلامة النويري المتوفى حدود ٧٣٣هـ في موسوعته (نهاية الأرب) كما قدمناه في الباب الأول من هذا الكتاب عند الحديث عن مثلث برمودا إلى وجود الجزائر الخالدات أو جزائر السعادة فقال وهو يصف البحر المحيط :

---

(١) ويقال لها بالانجليزية : Fcrtunate أي السعيد أو السعيدة

(٢) ومثل هذا الوصف وما سيتلوه قد مرّ بنا في وصف الجزيرة الخضراء على لسان علي بن فاضل وبعين هذ العبارات عند زيارته لها .

(٣) معجم البلدان / ياقوت الحموي / ج٢ / ص : ١٣٢ / طبعة بيروت.

(٤) راجع الصفحة ٢٩ من طبعة بيروت : ١٩٦٠م / نشر دار صادر وبيروت .

والذي علم به من الجزائر ستة من جهة المغرب تسمى جزائر السعادات والجزائر الخالدات ويقال أن في جهة المشرق مما يلي بلاد الصين ستة جزائر (السيلي) يقال أن ساكنيها قوم من العلويين وقعوا إليها لما هربوا من بني امية ويقال أن جزائر السيلي لم يدخلها أحد من الغرباء وطاوعته نفسه على الخروج منها [١] لصحة هوائها ورقة مائها [٢].

ونفس الشيء أيضاً أكده العلامة زين الدين عمر بن مظفر المعروف بابن الوردي المتوفى عام ٧٤٩هـ في كتابه (خريدة العجائب وجريدة الغرائب) [٣] عند حديثه عن البحر المحيط وما فيه من الجزائر حيث قال بوجود الجزائر الخالدات وتحدث عنها بما تحدث به سابقوه : ياقوت الحموي في معجمه والنويري في نهاية الارب .

ونستطيع الآن أن نحصل من مجموع ما تقدم من نصوص على محصلة نهائية بتجميعنا لأحاديث القوم وإجالة النظر فيها خصوصاً بعد أن وجدنا ياقوت وهو ينقل عن المنجمين قولهم

---

(١) وهذا نص آخر ينبغي تدبره وفحصه جيداً لأنطباقه على الجزيرة الخضراء .

(٢) يراجع نهاية الارب في فنون الأدب / الطبعة المصرية / ج١ / ص : ٢٢٨ .

(٣) راجع المخطوطة / الصفحات الأوائل منها ..

بوجود(جزائر) في (أقصى المغرب في البحر المحيط) كان بها مقام (طائفة من الحكماء) وفيها (أصناف الفواكه الطيبة العجيبة) وتحمل (الزرع مكان العشب) و(أصناف الرياحين العطرة مكان الشوك)وكان ياقوت فيما سبق قد ذكر لنا أيضا وجود (جزيرة خضراء) في أرض الزنج من بحر الهند ونقل عن أحدهم ممّن يوثقه بأن لهم سلطاناً يزعم أنه عربي من ناقلة الكوفة ورأينا النويري من بعده وهو ينقل عن آخرين قولهم بوجود (جزائر) مما يلي الصين يقال بأن (ساكينها قوم من العلويين) ولم يدخل جزيرتهم أحد من الغرباء (وطاوعته نفسه على الخروج منها) .

هذه الكلمات التي حصرناها الآن بين قوسين على أختلاف الزمان بينها والمكان لو أجلنا النظر فيها بإمعان ودقة لما رأينا أي اختلاف بينها وبين ما تحدث به علي بن فاضل الذي زار (الجزيرة الخضراء) عام ٦٩٠هـ ورأى أهلها ووصف حالها حيث ذكر لنا أنها جزيرة خضراء تقع في أقصى المغرب أيضاً في البحر المحيط وانها تحمل أصناف الفواكه مما لم يره في العراقيين وجميع ساكنيها من خيار أصحاب الإمام وفيهم بعض من العلويين من أولاد الإمام وأحفاده ولم تطاوعه نفسه بعد أنتهاء

الزيارة على الخروج منها ..إلى أخر ما مرّ بنا من أوصاف استعرضناها في فصل سابق.

وبالتالي فالذي نستطيع أن نستفيده و نؤكد عليه من خلال هذا الحديث هو ان الخبر وجود جزيرة خضراء أو جزائر شعادة أو خالدات في المحيط الأطلسي يسكنها علويون أو يقطنها حكماء لم يكن غريباً على الجو الإسلامي أنذاك على اختلاف الفترة الممتدة بين وفاة ياقوت في ٦٢٢هـ وأبن الوردي٧٤٩هـ وقد يكون هذا من باب وصول خبر (الجزيرة الخضراء) اليهم ولكن بتلك الصورة المشوشة وغير الواضحة من جهة المكان أو الأسماء وبعض الصفات والخصوصيات فأودعوه في مصنفاتهم بنفس الصورة التي وصلتهم دون تحقيق وتدقيق كالعلامة النويري الذي نقله بهذه الصورة :

ويقال أن في جهة المشرق مما يلي بلاد الصين ستة جزائر أخرى تسمى جزائر السيلي يقال أن ساكينها قوم من العلويين وقعوا إليها لما هربوا من بني امية ويقال أن جزائر السيلي لم يدخلها أحد من الغرباء وطاوعته نفسه على الخروج .

وهذا هو القدر المشترك الذي نستطيع الحصول عليه من الجمع بين تلك النصوص . ونفس الشيء يقال عن الجزائر الخالدات أو جزائر السعادة بلسان المنجمين والفلكيين والتي لا يخلو من ذكرها كتاب لجغرافي أو منجم أو فلكي أو أديب فأنهم وأن كانوا قد أهتدوا إلى معرفتها منذ أقدم الأزمنة والعصور الاّ ان الذي نستفيده نحن من أقوالهم هو أننا نجد تطابقاً بين أحاديثهم عن الجزائر الخالدات وبين قصة الجزيرة الخضراء الواقعة كما اثبتناه في اقصى المغرب في البحر المحيط وتحمل نفس ما تحمله جزائرهم الخالدات من صفات الطيبة والرقة والجمال مع طائفة الحكماء الذين يسكنونها ولا يهمنا بعد هذا أن تكون هذه الجزائر موجودة فعلاً أم مغمورة بالماء كما نقل العلامة الشيخ المجلسي في بحاره[1] والسيد محمد حسين الطباطبائي في ميزاته عند تفسيره لقوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما) فنسب إلى

---

(١) بحار الأنوار / الطبعة الحديثة / ج٦٠ /ص : ١٣٠ -١٣١ / الفائدة الأولى .

القيل أنطباق (هذه العين الحمئة على المحيط الغربي وفيه الجزائر الخالدات التي كانت مبدأ الطول سابقاً ثم غرقت) [١].

وهكذا نعرف من مجموع ما تقدم أن كتب الجغرافيين والبلدانيين وغيرهم ليست خالية بالمرة من ذكر الشبيه لهذه الجزيرة الخضراء إن لم نقل بأننا قد وجدنا في بعض نصوصهم ما يفيد ويقوي الظن عندنا في كون هذا الأمر ربما كان معروفاً ولكن ليس بالدرجة المطلوبة من الوضوح الحاصل عند أهل الحديث والرواية والتراجم ممّن نقل ألينا هذا الخبر عبر مصنافاتهم القيمة التي سنطلع عليها الآن بتفصيل يكشف عن قناعة تامة بصحة الخبر وتفاصيله .

(١) الميزان في تفسير القرآن / الجزء ١٣ / ص : ٣٦٠ -٣٦١ / الطبعة الثانية / بيروت : ١٩٧٢ م .

الجزيرة الخضراء عند أهل الحديث والفقه والتراجم :

ولما كان مبنى القوم هنا قائماً على النقل والتحمل للروايات ممّن تصحّ منه الرواية لتوفر شروط التحمل لذلك نجد خبر الجزيرة الخضراء قد ملأ الكتب والأسفار والمصنفات والرسائل بل تعداه الأمر إلى دخولها حتى في مصنفات كبار العلماء من الفقهاء والأصوليين وغيرهم من أمثال الشهيد الأول والمحقق الكركي والقاضي الشهيد نور الله والوحيد البهبهاني ومن أمثال الحر العاملي صاحب الوسائل والشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق وعشرات آخرين من نظرائهم من مفسرين ورجاليين ومحدثين .

وسيتضح لنا من استعراضنا لأسماء العلماء مع مصنفاتهم التي نقلو ا فيها خبر الجزيرة أن الخبر ليس بالرواية المعرض عنها كما قد يتوهمه البعض إذ سنجدهم وهم ينقلونه طبقة بعد طبقة منذ عصر الشهيد الأول الذي يرويه بسندهى عن علي بن فاضل وإلى يومنا هذا . واما الذين ناقشوا في الخبر أو القصة وصحتها فهم شرذمة قليلة لا يعتد بهم وها هي أسماء من روى القصة من علمائنا الأبرار رضوان الله عليهم مرتبين لها

حسب سني الوفاة مع ذكر أسم الكتاب أو المصنف الذي وردت فيه القصة في المقدمة .

وأول ما سيطالعنا منها ـ الأمالي :

وهي للشهيد الأول محمد بن مكي (ﷺ)المستشهد عام ٧٨٦هـ حيث روى في أماليه هذه حكاية الجزيرة الخضراء بإسناده عن علي بن فاضل كما ذكر هذا القاضي الشهيد نور الله في (مجالسه) بقوله :

وقد روى تفصيل تلك القصة الطويلة الشيخ أجل السعيد الشهيد محمد بن مكي(ﷺ) وهو احد أعاظم فقهاء الشيعة الإمامية بإسناده عن الرجل الصالح المشار إليه وحررها في بعض أماليه [(١)].

ومقصود القاضي من الرجل الصالح المشار إليه هو علي بن فاضل صاحب الرحلة إلى الجزيرة المذكورة . وقد أكدّ هذا المطلب أيضاً المحقق الفقيه الأصولي الشيخ أسد الله

---

(١) مجالس المؤمنين / مخطوط وراجع النسخة المطبوعة منه / الجزء الأول / ص٧٨-٧٩ .

الكاظميني صاحب (المقابيس) في كتابه كشف القناع حيث قال:

كما روى والد العلامة وأبن طاووس طاب ثراهما عن السيد الكبير العابد رضي الدين محمد بن محمد الاوي الحسيني المجاور بالمشهد المقدس الغروي(قدس سره) عن صاحب الزمان ﴿عليه السلام﴾ في طريق الاستخارة بالسبحة وغيره أيضا على ما يظهر من كلام الشهيد وكما مروي عنه في قصة الجزيرة الخضراء المعروفة[1].

وهذا وقد نقل الشيخ أغا بزرك الطهراني في الذريعة عن المجالس رواية الشهيد الأول للقصة عن علي بن فاضل فقال (ان شيخنا السعيد محمد بن مكي الشهيد في ٧٨٦ رواه بإسناده عن الشيخ زين الدين علي المذكور وقد كتبه بخطه الشريف)[2].

ولا أستبعد أن يكون الشهيد الأول الذي قدم إلى الحلة حين كان شاباً لطلب العلم وحصل في عام ٧٥١هـ على إجازة فخر

---

(١) كشف القناع عن وجوه حجية الأجماع / الطبعة الحجرية : سنة ١٣١٦هـ / الصفحات : ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ ج٥ / ص :١٠٦ .

المحققين بن العلامة الحلي بالأجتهاد قد أدرك الفضل بن يحيى الطيبي الذي يروي القصة عن علي بن فاضل بلا واسطة ورواها عنه وأنما يصح هذا إذا أفترضنا أمتداد العمر بالفضل وحصول الملاقاة بينه وبين الشهيد الأول .

الثاني – ترجمة الجزيرة الخضراء :

وهذا هو ثاني الكتب التي تعرضت لقصة الجزيرة الخضراء . فقد ترجم القصة من العربية إلى الفارسية بنفسه علم من أعلام الشيعة ومحقق من كبار محققيها ذاك هو المحقق الكركي المشتهر (المحقق الثاني) ومروج الذهب الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي المتوفى سنة ٩٤٠هـ . وهو صاحب (جامع المقاصد) في شرح قواعد العلامة الحلي في الفقه والذي وصفه الشيخ يوسف البحراني في (اللؤلؤة) بقوله (وكان مجتهداً صرفاً أصولياً بحتاً) [١].

---

(١) لؤلؤة البحرين / تحقيق العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم / ص : ١٥١ .

وقد طبعت ترجمة المحقق الكركي للقصة هذه في الهند وأوردها السيد مير شمس الدين محمد التستري في رسالته التي كتبها في غيبة الإمام المهدي ﴿ عليه السلام ﴾[1] .

الثالث – رسالة الغيبة وأثبات وجود صاحب الزمان :

وهي رسالة جليلة عظيمة الفوائد ألفها السيد الأجل الأمير شمس الدين محمد بن مير أسد الله التستري حول غيبة الإمام الحجة ﴿ عليه السلام ﴾ ومصالحها وحكمها . وقد كتبها بطلب من السلطان المغفور له صاحب قران الذي تولى السلطنة عام ٩٣٠ إلى أن مات سنة ٩٨٤هـ وكان المؤلف معاصراً له .

وقد اثنى القاضي الشهيد نور الله في مجالسه على هذه الرسالة حتى قال في حقها (والحق أنها رسالة يجب على المؤمنين المحافظة عليها) كما في المخطوطة التي مرّ ذكرها في الهامش آنفاً . وفي هذه الرسالة أورد مؤلفها السيد شمس الدين المذكور قصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض بكاملها نقلاً عن ترجمة المحقق الكركي لها . ذكر هذا كل من الشيخ أغا بزرك

---

(١) راجع الذريعة / الجزء الرابع / ص : ٩٣ ــ ٩٤ .

في الذريعة في الجزء الرابع ص٩٤ والجزء الخامس ص١٠٦ والقاضي نور الله في المجالس .

الرابع – مجالس المؤمنين :

للسيد الشهيد السعيد القاضي نور الله المرعشي التستري صاحب كتاب (أحقاق الحق وأزهاق الباطل) المستشهد عام ١٠١٩هـ أي قبل أن يولد المجلسي بجوالي ثمانية عشر عاماً . فقد ذكر هذا القاضي الفقيه قصة الجزيرة الخضراء في موسوعته الموسومة بـ(مجالس المؤمنين) في المجلس الأول الذي خصّصه لذكر الأماكن المخصوصة بالأئمة الطاهرين﴿ عليهم السلام ﴾ وشيعتهم فقال تحت عنوان (الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض) ما ترجمته :

وهي جزيرة تقع في بلاد البربر في بحر الأندلس يقطنها الإمام صاحب الزمان﴿ عليه السلام ﴾ وأولاده وأصحابه وبين الأندلس وساحل البحر المذكور مسيرة خمسة عشر يوماً ...إلى ان يقول:

وقد ساعد التوفيق أحد صلحاء الشيعة في الأزمنة السابقة لأن يصل إلى ذلك الموضع .

وقد روى تفصيل تلك القصة الطويلة الشيخ الأجل السعيد الشهيد محمد بن مكي (ﭬ)وهو أحد أعاظم فقهاء الشيعة الإمامية بإسناده عن الرجل الصالح المشار إليه وحررها في بعض أماليه ..الخ [١].

هذا وقد بين القاضي الشهيد في مجلسه هذا بعض خصوصيات تلك الجزيرة .

مثلما هو مذكور في القصة ولكن بشيء من الأختصار . وهنا ينبغي أن نشير إلى أن الشيخ أغا بزرك الطهراني قد ذكر في ذريعته بان القاضي نور الله قد شرع في تأليف كتابه المجالس عام ٩٨٢هـ وانتهى في عام ٩٩٠هـ [٢] .

وإلى هنا نكون قد ذكرنا أربعة من الكتب المعتبرة : ثلاثة منها لكبار فقهائنا وأعاظم علمائنا وهم الشهيد الأول والمحقق الكركي والقاضي نور الله وقد ذكروا فيها قصة الجزيرة الخضراء وسبقوا الشيخ المجلسي في نقلها بل وفيهم من يرويها بإسناده عن صاحبها ألا وهو الشهيد الأول رضوان الله عليه .

---

(١) مجالس المؤمنين / ص : ٧٨ ـ ٧٩ والصفحات : ١٨٩ ـ ١٩١ من هذا الكتاب .

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة /ج١٩ مص٣٧٠ .

وأما الذين ذكروا القصة في مصنفاتهم مّمن قارب عصره عصر الشيخ المجلسي أو ممّن تأخر بعده ونقلها عنه فهم كثيرون ولم تصل يد البحث والتنقيب الاّ إلى بعضهم وقد رتبنا لك أسماءهم حسب سني وفياتهم عليهم الرحمة والرضوان وها هي كتبهم :

أولاً -- كفاية المهتدي في معرفة المهدي﴿ عليه السلام ﴾ :

للعلامة السيد مير لوحي المتوفى بعد سنة ١٠٨٣هـ والذي كان معاصراً للشيخ المجلسي وشديد المعارضة له إلا أنه أعترف في كتابه هذا بصحة خبر الجزيرة الخضراء وأشار إلى نقله في كتابه الموسوم (رياض المؤمنين وحدائق المتقين) فقد ذكر في كفايته هذا ما ترجمته :

ولقد وفق الأقل لنقل الخبر المعتبر الخاص بمدينة والجزيرة الخضراء والبحر الأبيض المذكور هناك والمتعلق بالإمام صاحب الزمان ﴿ عليه السلام ﴾ وبعض أولاده مع هذا الحديث الصحيح في كتاب رياض المؤمنين ...الخ[1] .

---

(١) النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب / للمحدث حسين النوري / الطبعة الأوفسيت / ص٢٩٦ .

وهو كما تراه هنا يعتبر نقله لخبر الجزيرة من التوفيقات والألطاف الإلهية مع أن المعروف من شأن الرجل - كما ذكر الميرزا النوري في النجم الثاقب - أنه لم يسلم خبر من الأخبار التي نقلها الشيخ المجلسي في بحاره من طعنه وإيراداته وتشنيعه الاّ في هذا الموضع فقد عبّر عن القصة بالخبر المعتبر ويعترف بأنه قد وفق لنقله في كتابه . ثانياً - النوادر في جمع الأحاديث:

للمولى محسن بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني المتوفى عام ١٠٩١هـ وهو صاحب (الوافي) و(مفاتيح الشرئع) في الفقه الذي عدّ له الشيخ أغا بزرك في الذريعة أكثر من عشرين شرحاً لكبار العلماء وصاحب (المحجة ا بيضاء) وأكثر من مائة كتاب آخر . ومنها هذا الكتاب المسمى (النوادر في جمع الأحاديث) والذي هو كالمستدرك على كتابه الوافي ويقال له نوادر الفيض أو نوادر الأخبار كما في الذريعة [1].

وقد اورد الملا محسن الفيض في كتابه هذا قصة الجزيرة الخضراء ملخصة عن البحار وأدرجها في باب من أبواب

---

(١) الجزء الرابع والعشرون / الصفحة : ٣٤٨ / ط الأولى : ١٩٧٨م .

الكتاب تحت عنوان (كتاب أبناء القائم ﴿ عليه السلام ﴾ . هذا وكتاب النوادر مطبوع على الحجر ونسخه شائعة فراجعه .

ثالثاً – تفسير الأئمة لهداية الأمة :

للعلامة في الحديث والفقه والتفسير والرجال والكلام الميرزا محمد رضا منشئ الممالك بن العلامة الميرزا عبد الحسن النصيري الطوسي الأصفهاني المتوفي في حدود سنة ١١٠٠هـ - كما ذكر على المجلد الأول من هذا التفسير – وتفسيره هذا يقع في زهاء ثلاثين مجلداً .

وقد عقد العلامة النصيري – مؤلف هذا التفسير – في المجلد الأول منه باباً بعنوان (بحث في تأليف القرآن وظهور ما ألفه علي ﴿ عليه السلام ﴾ مع ظهور القائم ﴿ عليه السلام ﴾ وبعد المقدمة وأيراد بعض الروايات المناسبة للمقام قال ما نصه :

قال مصنف هذا الكتاب زاده الله علماً وفهماً : إني أحببت أيراد الرسالة في حكاية الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض في هذا المقام لمناسبتها وموافقتها الأخبار المذكورة وأن كانت مغايرة لوضع كتابنا هذا ، والرسالة هذه : الحمد لله ...الخ .

ثم ساق القصة بطولها من ألفها إلى يائها ولكن من غير أن يذكر طريقه لهذه الرسالة ومن أين أخذها ولا تظن أنه قد أخذها من شيخه في الرواية العلامة المجلسي وذلك لأن نسخته هذه التي يرويها في تفسيره هذا تختلف عن نسخة الشيخ المجلسي التي يرويها في البحار في بعض الموارد .

رابعاً – أثبات الهداة بالنصوص والمعجزات :

للمحدث الخبير والعلامة البارع في الأخبار وفقه أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾ الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب (الوسائل) المتوفى ١١٠٤هـ . فقد ذكر هذا العلم العليم في كتابه هذا (إثبات الهداة) الذي فرغ من تأليفه عام ١٠٩٦هـ قصة الجزيرة الخضراء في الباب الثالث والثلاثين الخاص بمعجزات الإمام صاحب الزمان ﴿ عليه السلام ﴾ قائلاً وقد نقل مقطعاً منها :

ونقل مؤلف البحار عن الفضل بن يحيى بن علي الطيبي الكوفي في رسالة البحر الأبيض والجزيرة الخضراء بسنده عن زين الدين علي بن فاضل المازندراني المجاور بالغري في حديث طويل جداً ...إلى قوله : والرسالة الطويلة جداً قد

أوردها بتمامها مؤلف بحار الأنوار أقتصرت منها على محل الحاجة وهو ما تضمن معجزاً للمهدي ﴿ عليه السلام ﴾ [(١)].

وأنت خبير هنا بمدلول قوله رضوان الله تعالى عليه (أقتصرت منها على محل الحاجة وهو ما تضمن معجزاً للمهدي ﴿ عليه السلام ﴾ المستلزم لقناعته بصحة القصة وثبوتها وتضمنها معاجز للإمام ﴿ عليه السلام ﴾ .

خامساً – تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي﴿ عليه السلام ﴾ :

للعلامة المحدث المتبحّر الخبير السيد هاشم البحراني صاحب (البرهان في تفسير القرآن) المتوفى سنة ١١٠٧ أو ١١٠٩هـ كما ذكروا في ترجمته . وقد فرغ من تأليف تبصرته هذه سنة ١٠٩٩هـ حيث اورد فيها قصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض في الحكاية الخامسة والسبعين وابتدأها بقوله :

الخامس والسبعون : أبو شمس الدين محمد العالم وعلي بن فاضل والمخلصون الذين يرونه على رأس كل سنة في الجزيرة الخضراء التي حاكمها من ولد الإمام ﴿ عليه السلام ﴾ ..قال بعض

---

(١) أثبات الهداة .. / طبعة دار الكتب الإسلامية / ج٧ / ص : ٣٧١- ٣٧٢ .

مشايخ (وجدت بخط الشيخ الإمام العالم الفاضل الفضل بن يحيى بن علي الطبسي(رحمه الله) ما هذا حكايته ..

ثم أورد الحكاية بكاملها . ونسخته تختلف كثيراً عن نسخة صاحب البحار في موارد عديدة . وعلى هذا فليس مرداه من قوله (قال بعض المشايخ ..) الشيخ المجلسي قطعاً [1].

كما أورد السيد هاشم البحراني هذه الحكاية أيضاً في كتابه الآخر الموسوم بـ(حلية الأبرار في أحوال آل محمد وآله الأطهار) في المنهج الثالث عشر منه الخاص بأحوال الإمام المنتظر﴿ عليه السلام ﴾ .

سادساً – رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار :

للمحدث الفقيه العلامة السيد نعمة الله الجزائري صاحب(مقصود الأنام في شرح تهذيب الأحكام) وشرح الاستبصار فيما أختلف من الأخبار والأنوار النعمانية وعدة من الكتب النافعة الأخرى غيرها ، المتوفى عام ١١١٢هـ وقد فرغ من كتابه الرياض هذا سنة ١١٠٨ وهو في ثلاث مجلدات

---

(١) راجع تبصرة الولي .. / من مخطوطات المكتبة العامة للسيد النجفي تحت رقم ١١١٥

والمجلد الثالث منه مختص بالإمام الحجة ﴿عليه السلام﴾ حيث ذكر فيه قصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض نقلاً عن البحار للشيخ المجلسي ﴿رحمه الله﴾[١].

سابعاً – إرشاد الجهلة المصرين على أنكار الغيبة والرجعة:

وقد أورد المؤلف في (إرشاده) هذا قصة الجزيرة الخضراء مرسلاً لها عن علي بن فاضل كما ذكر ذلك الشيخ أغا بزرك في الذريعة ج١ الصفحة ٥١٣ واحتمل فيه أن يكون الأرشاد هذا من تأليف المولى محمد هاشم الهروي الخراساني العالم الفاضل والذي له مجموعة مدونة تاريخها ١١٢٨هـ .

ثامناً – رياض العلماء وحياض الفضلاء :

لحجة التاريخ المتتّبع الميرزا عبد الله بن الميرزا عيسى بيك الشهير بالأفندي المتوفى عام ١١٣٠هـ ، حيث ترجم هذا العلم لراوي القصة الفضل بن يحيى وصاحبها علي بن فاضل وأورد شطراً منها في ترجمة الأخير منهما وأحال فيها إلى ترجمة (المحقق الحلي جعفر بن إسماعيل الحلي) حيث اورد هناك

---

(١) راجع المخطوطة المرقمة ٢٧٠٦ في مكتبة السيد النجفي .

ضمن ترجمته شطراً آخر منها كما يبدو من عبارته التي يقول فيها :

ثم قال الشيخ زين الدين علي هذا : ما رأيت أحداً من علماء الشيعة الإمامية عندهم ...إلى ىخر ما سبق في ترجمة الشيخ جعفر بن إسماعيل الحلي [1].

مع الأسف فأن هذه الترجمة للمحقق الشيخ جعفر بن إسماعيل الحلي غير موجودة في النسخة المطبوعة من رياض العلماء أخيراً . وأنما استفدنا هذا كما قلنا من ترجمته لعلي بن فاضل الذي وصفه بقوله الشيخ الفاضل الورع الصالح زين الدين علي بن فاضل المازندراني صاحب قصة الجزيرة الخضراء...الخ .

كذلك أورد شكراً كبيراً آخر من اولها في ترجمة الفضل بن يحيى وهو مطابق لما في نسخة التبصرة للسيد هاشم البحراني والذي قلنا باختلاف نسخته عن نسخة البحار . ومعنى هذا أن الميرزا الأفندي لم ينقل فيما اورده من القصة عن البحار

---

(١) رياض العلماء وحياض الفضلاء / تحقيق السيد أحمد الحسيني / الطبعة الأولى : ١٤٠١هـ / ج٤ / ص : ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ ٣٧٥ .

لأستاذه المولى محمد باقر المجلسي عليهم جميعاً الرحمة والرضوان .

تاسعاً – ضياء العالمين :

للعلامة الشريف المولى أبي الحسن بن الشيخ محمد طاهر الفتوني العاملي المتوفى في أواخر عشر الأربعين بعد المائة والألف من الهجرة النبوية الشريفة تقريباً مؤلف كتاب (تفسير مرآة الأنوار) المطبوعة مقدمته مع تفسير البرهان وهو من أجداد صاحب الجواهر من طرف أم والده وكان هذا العالم تلميذاً للشيخ المجلسي(رحمه الله) .

وقد ترجم له خاتمة المحدثين العلامة الميرزا حسين النوري في رسالة خاصة تعرض فيها لأحواله الشريفة ومقاماته المنيفة ز كما ذكره الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق في مشيخته في اللؤلؤة وقال عنه (وكان الملا أبو الحسن المذكور محققاً مدققاً ثقة صالحاً عدلاً) [١] وصفه صاحب الروضات بقوله (من

---

(١) لؤلؤة البحرين – ص ١٠٧.

أعاظم فقهائنا المتأخرين وأفاخم نبلائنا المتبحّرين) [1] وبالجملة فالرجل من أكابر علمائنا المحققين .

وقد نقل هذا المولى قصة الجزيرة الخضراء في كتابه (ضياء العالمين) في الإمامة والذي يقع في مجلدين وذلك في أواخر المجلد الأول عند تعرضه لأحوال الإمام الحجة﴿ عليه السلام ﴾ . ذكر ذلك العلامة النوري في أول الحكاية الحادية والأربعين من كتابه(جنة المأوى) قائلاً :

قال العالم النحرير النقاد البصير المولى أبو الحسن الشريف العاملي الغروي تلميذ العلامة المجلسي وهو جد شيخ الفقهاء في عصره صاحب جواهر الكلام من طرف أمه وينقل عنه في الجواهر كثيراً ، صاحب التفسير الحسن الذي لم يؤلف مثله وان لم يبرز منه إلا قليل إلا أن في مقدماته من الفوائد ما يشفي العليل ويروي الغليل وغيره .

قال في كتاب (ضياء العالمين)وهو كتاب كبير منيف على ستين ألف بيت كثير الفوائد قليل النظير قال في أواخر المجلد الأول منه في ضمن أحوال الحجة ﴿ عليه السلام ﴾ بعد ذكر قصة الجزيرة

---

(١) روضات الجنات / ج٧ / ص١٤٢.

الخضراء مختصراً ما لفظه : ثم ان المنقولات المعتبرة في رؤية صاحب الأمر﴿عليه السلام﴾ سوى ما ذكرنا كثيرة جداً حتى في هذه الأزمنة القريبة فقد سمعت أنا من الثقات أن ...الخ [١].

وكتابه هذا كما ذكر الشيخ الطهراني في الذريعة توجد بعض مخطوطاته في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة بالنجف الأشرف وأخرى في المكتبة الجعفرية في كربلاء ومكتبة آل كاشف الغطاء والمكتبة التسترية . كما رأى الشيخ (رحمه الله)نسخة من المجلد الأول في مكتبة العلامة المتبحر السيد حسن الصدر رضوان الله عليه . ونسخة من المجلد الثاني في مكتبة السيد الشيرازي بسامراء [٢].

عاشراً ـ عوالم العلوم والمعارف :

للعلامة الخبير المتتبع المتبحّر الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني من خيار تلامذة الشيخ المجلسي وأحد المساعدين له على تأليف البحار كما ذكروا في ترجمته . وموسوعته (العوالم) هذه كما يقال لها أختصاراً تقع في مائة مجلدة وقيل

---

(١) راجع جنة المأوى الملحقة بآخر المجلد ٥٢ من البحار ـ ص ٢٧٦ ولا يفوتني أن اذكر هنا أن الذي لفت نظري إلى هذه الفائدة في جنة المأوى هو ولدي وقرة عيني المحروس أبو المهدي ميثم النجار وفقه الله لطلب العلم والعمل الصالح وجعله من العلماء الأبرار وذلك أثناء مطالعته في تلك الحكايات الشريفة المسطورة في الكتاب .

(٢) الذريعة / ج٥ / ص١٢٤.

انها أكبر من البحار بكثير ولمعرفة عظمة موسوعته العوالم هذه وجلالتها راجع الذريعة الجزء الخامس عشر الصفحة ٣٥٦.

ومّما يؤسف له فأنّ مجلدات هذه الموسوعة غير مجموعة الآن وربما تفرقت في زايا المكتبات ولعل الكثير منها مفقود .

قد نقل هذا المولى المعظم قصة الجزيرة الخضراء في موسوعته هذه كما أشار إلى هذا أيضاً العلامة المحقق خاتمة المحدثين الميرزا نوري رحمة الله عليه في كتابه (فصل الخطاب) بقوله عند تعداده للأخبار (ومنها خبر الشيخ علي بن فاضل الذي نقله في البحار والعوالم وفيه قصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض وتشرّفه ...الخ)[1] .

الحادي عشر – أنيس المسافر وجليس الخواطر :

للمحدث الفقيه الرباني – كما عبر عنه الشيخ أغا بزرك الطهراني في الذريعة عند تعريفه بكتابه الحدائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة – العلامة الشيخ يوسف البحراني المتوفى سنة ١١٨٦ . وقد أورد في كتابه هذا المطبوع بأسم الكشكول قصة

---

(١) راجع الصفحة الثامنة من الطبعة الحجرية من (فصل الخطاب).

الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض بأكملها ناقلاً لها عن البحار للشيخ المجلسي[(١)] .

الثاني عشر – رسالة الجزيرة الخضراء :

وهي رسالة تتعلق بقصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض صنفها العلامة السيد شبر بن محمد بن ثنوان الموسوي الحويزي المتوفى بعد سنة ١١٨٦هـ وقد ذكر هذا بعض معاصري السيد شبر عند ترجمته لأحواله ومصنفاته البالغة نيفاً وثلاثين مصنفاً ، وقد عدّ منها رسالته (في الجزيرة الخضراء)[(٢)] .

الثالث عشر – الحاشية على مدارك الأحكام :

للأستاذ الأكبر الوحيد البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٦هـ والملقب بالمروج ، والمؤسس لعلم الأصول والقامع للأخبار بين كما ذكروا ذلك في ترجمته في (الروضات) ، و(الكنى والألقاب) وله كتب علمية عظمية منها حاشيته على (مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام) .

---

(١) أنيس المسافر وجليس الخواطر / الجزء الأول / مطبعة النعمان / النجف ١٣٨١هـ / الصفحة : ١١٣ .

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة / ج٥ / ص ١٠٥ ، ١٥٧ أيضاً .

وقد أستشهد هذا الأستاذ الأصولي البارع في حاشيته هذه على المدارك بخبر الجزيرة الخضراء في واحد من مباحثها الفقهية معتبراً أياه من جملة الآثار فقال في باب ذكر وجوه الجواب على أدلة القائلين بوجوب صلوة الجمعة في زمان الغيبة ما نصه:

ومن الآثار حكاية المازندراني الذي وصل إلى جزيرة الصاحب ﴿عليه السلام﴾ وهي تنادي بالاختصاص بالإمام ومنصوبه[1].

ولعل في اعتباره رضوان الله تعالى عليه تلك الحكاية من جملة الآثار التي يمكن الاستفادة منها في مبحث فقهي هو محل نزاع بين الفقهاء ما ينبئ عن نوع من الأعتقاد بتلك القصة .كما ان تعبيره عن الشيخ زين الدين علي بن فاضل بقوله (الذي وصل إلى جزيرة صاحب الزمان﴿عليه السلام﴾ ما يكشف عن قناعته التامة بوجود مثل هذه الجزيرة .

الرابع عشر ـ الكتاب المبين والنهج المستبين :

للعلامة في المعقول والمنقول الميرزا محمد بن عبد النبي الأخباري النيسابوري المقتول عام ١٢٣٢هـ والذي قال في حقه

---

(١) حاشية الوحيد البهبهاني على المدارك / الطبعة الحجرية/ص٢٢١ .

صاحب روضات الجنات (لا شبهة في غاية فضله و وفور علمه وجامعيته لفنون المعقول والمنقول وبارعيته في الفروع وفي الأصول ...ألخ) (١).

فقد ذكر هذا الميرزا الأخباري في كتابه الآنف الذكر في المورد الخامس منه في بيان أتفاق الناس على إمام ما نصه :

يقول المؤلف : والذي تحقق لدي أن المهدي ﴿عليه السلام﴾ وولده ساكنون في الجزيرة الخضرة من جزائر البحر الأعظم المغربي . وهناك لهم بلاد معمورة وثغور مستورة ....إلى قوله :

وليس لمن يعلم حجة على من يعلم إني أحطت بما لم يحيطوا به خبرا ...الخ (٢).

هذا وقد مرّ بنا فيما مضى قول الميرزا الأخباري في بعض أجوبته التي ذكرها له صاحب الروضات بأنه قد حصل على

---

(١) روضات الجنات / محمد باقر الخوانساري / ج٧ / ص١٢٧ .

(٢) الكتاب المبين والنهج المستبين / المورد الخامس / راجع المخطوطة المرقمة ١٨٧٥ في مكتبة السيد النجفي .

خريطة لتلك المنطقة من قبل أحد علماء النصارى الساكنين في بعض الولايات الأفرنجية قريباً من تلك المنطقة [١].

الخامس عشر – مقابيس ونفائس الأسرار :

للفقيه الأصولي البارع والمحقق المدقق المعروف بـ(المحقق الكاظمي) الشيخ أسد الله الكاظميني المتوفى سنة ١٢٣٧هـ صاحب (كشف القناع عن وجوه حجية الإجماع) و(مقابيس الأنوار ونفائس الأسرار) في الفقه . فقد ذكر هذا المحقق الأصولي الفقيه في كتاب المقابيس عند تعرضه لترجمة المحقق الحلي في المقدمة التي وضعها لكتابه هذا فقال مشيراً إلى قصة الجزيرة الخضراء للاستشهاد بها على فضل المحقق ' ' ومنزلته العظيمة عند اهلها ما نصه :

ومنها (المحقق) الشيخ الأعظم الرفيع الشأن اللامع مع البرهان كشاف حقائق الشريعة بطرائف من البيان لم يطمئن قبله أنسٌ ولا جان ،رئيس العلماء ، حكيم الفقهاء ، شمس الفضلاء ، بدر العرفاء ، المنوه بأسمه وعلمه في قصة الجزيرة الخضراء [٢].

(١) راجع الصفحات : ٩٥ – ٩٧ من هذا الكتاب .

(٢) مقابيس الأنوار ../ الطبعة الحجرية : ١٣٢٢هـ / ص ١٦ .

ولولا هذا الاعتقاد الراسخ بصحة القصة عند هذا الفقيه الأصولي المحقق لما كان تنويه باسم المحقق الحلي وعلمه عند أهلها أية قيمة تذكر ولكنه قد اعتبر من جملة مفاخر المحقق الحلي وفضائله هو التنويه باسمه وعلمه في قصة هذه الجزيرة الخضراء .

السادس عشر – كتاب المناقب :

للمولى المعظم الآخند محمد كاظم الهزارجريبي المتوفى قريباً من عام ١٢٣٨هـ [١] وهو أحد الأعلام من تلامذة الأستاذ الأكبر الوحيد البهبهاني . وقد أورد هذا المولى في (مناقبه) المذكورة قصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض مع بعض التحقيقات التي أفادها حول (الواجد) للقصة ونقل الميرزا النوري في النجم الثاقب بعض عباراته فراجعه [٢].

السابع عشر – جلاء العيون :

للعلامة الخبير المتبحّر المفسر الفقيه الأصولي السيد عبد الله شبر المتوفى سنة ١٢٤٢هـ صاحب التصانيف الرائقة التي نيّفت

---

(١) الذريعة / ج٤ ص٣٦٩.

(٢) النجم الثاقب / الطبعة الاوفسيت / ص٢٩٦.

على السبعين مصنّفاً ما بين كتاب ورسالة . ومنها هذا الكتاب الذي يقع في ثلاثة أجزاء فقد أورد هذا السيد الفقيه قصة الجزيرة الخضراء بكاملها ناقلاً لها عن البحار في الجزء الثالث من كتابه هذا بقوله عند حديثه عن حياة الإمام المهدي ﴿عليه السلام﴾ [1] :

الفصل الثامن – في ذكر أولاده وبعض أحواله﴿عليه السلام﴾ . قال العلامة المجلسي ﴿رحمه الله﴾ في البحار : وجدت رسالة مشتهرة بقصة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض أحببت ايرادها ...الخ.

الثامن عشر – الإمام الثاني عشر القائم المهدي ﴿عليه السلام﴾:

للعلامة الحجة السيد أسد الله الجيلاني الأصفهاني المتوفى سنة ١٢٩٠هـ وهو من تلاميذ صاحب الجواهر والراوي عنه – كما كتب السيد النجفي على ظهر الصفحة الأولى من المخطوطة الموجودة في مكتبته برقم ٢٣٤٥ – وفي هذا الكتاب المؤلف في الصفحة التاسعة والخمسين منه :

---

(١) جلاء العيون / ج٣ / ص١٦٥.

وفي البحار : وجدت رسالة مشتهرة بقصة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض وهي هذه ...

ثم أورد الحكاية بكاملها كما هي في البحار دون تغيير .

وتلك هي مجموعة الكتب التي وصلت إليها يد التتبع والبحث والتي نقل فيها أصحابها - وفيهم كما رأينا فطاحل العلماء من فقهاء وأصوليين وعلماء رجال ومحدثين - القصة المعروفة بقصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض ولعلها قد نقلت في غير هذه الكتب من المصنفات لعلمائنا الأبرار رضوان الله عليهم . لكن الذي حصلنا عليه بهذه العجالة من البحث كان هذا .

وأما في قرننا الأخير هذا فلقد نقل القصة ايضاً ورواها جمع من أعلام هذه الأمة ومحققيها وعلى رأسهم :

العالم والعلامة والفقيه الفهامة الأصولي الخبير والأديب البارع السيد المير محمد عباس الموسوي اللكهنوي المتوفى في ٢٥ / رجب / ١٣٠٦هـ بمدينة لكهنو في الهند وقد كان من كبار العلماء وفطاحل المحققين فيها والذي زادت مؤلفاته على المائة وستين كتاباً في كل لون وفن من فنون المعرفة من الفقه والأصول والتفسير والحديث ، والتراجم والأدب حيث خدم

بها الشريعة ونذكر منها على سبيل المثال كتابه(الجواهر العبقرية) التي ردّ بها على التحفة الأثنا عشرية للشيخ عبد العزيز الدهلوي ، إلى عشرات الكتب غيره وقد ترجم لها الشيخ أغا بزرك الطهراني في الذريعة .

وكان من جملة ما صنفه هذا العالم العلم كتاب (نسيم الصبا في قصة الجزيرة الخضرا) حيث فسّر فيه هذه القصة وتناولها بالشرح . أشار إلى ذلك تلميذه الميرزا هادي في كتابه (التجليدات) [1].

وثانيهم ـ خاتمة المحدثين الميرزا حسين نوري صاحب المستدرك على الوسائل المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ . وقد أورد هذا المولى قصة الجزيرة بكاملها في الحكاية السابعة والثلاثين من كتابه (النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب﴿عليه السلام﴾) . ولم يكتف الميرزا بنقل القصة فقط بل ختمها بتحقيقات رشيقة وإفادات أنيقة كما أشار إلى ذكرها في كتابه فصل الخطاب أيضاً .

وثالثهم ـ العلامة الجليل السيد إسماعيل النوري المتوفى عام ١٣٢١هـ في كتابه (كفاية الموحدين في عقائد الدين) المطبوع سنة

---

(١) راجع الجزء الثاني منه/ ص٢٤٠ / طبعة لكنهو بالهند . والذريعة/ ج٢٤ / ص : ١٥٦ .

١٣٠١هـ في ثلاث مجلدات حيث أورد القصة في الجزء الثالث من الكفاية المذكورة في الصفحة : ٣٩٠ - ٣٩٧ .

ورابعهم - المولى المحدث الشيخ علي بن زين العابدين المتوفى سنة ١٣٣٣هـ وقد روى القصة بطولها في كتابه المشهور (الزام الناصب في إثبات الحجة الغائب)في جزئه الثاني ناقلاً لها عن البحار والكتاب مطبوع ونسخة شائعة .

ومن طريف إفادات هذا المولى تطبيقه أحدى البشارات الواردة في الإنجيل على قصة الجزيرة الخضراء حيث يقول :

البشارة السادسة والعشرون :

فيه ما أخبر به شعيا في آخر السيمان الثاني والأربعين من كتابه (ألا أنبئكم بحديث الأخبار وأعلمكم بها قبل وقوعها . ستقرّون وتثنون لنور الله ثناءً جديداً . ومنتهى الأرض في البحر والجزائر عند سكنة تلك الجزائر) والمراد من الجزائر والبحر ما في أخبار الشيعة من كون القائم في منتهى الأرض في بحر المغرب وجزائر الخضراء [1].

---

(١) إلزام الناصب ../ الجزء الأول / الطبعة الرابعة / بيروت : ١٩٧٧م / البشارة السادسة والعشرون / الصفحة ١٥٦ .

وخامسهم – العالم الجليل والمحقق النبيل السيد مصطفى الحيدري الكاظمي المتوفى رضوان الله تعالى عليه حدود سنة ١٣٣٦ هـ حيث أورد مقطعاً من القصة في كتابه(بشارة الإسلام في ظهور صاحب الزمان ﴿عليه السلام﴾ واستشهد به كوجه من وجوه الجواب على التوقيع الصادر من الناحية المقدسة والذي نفى فيه المشاهدة قبل وقوع الصيحة والسفياني فقال :

ويمكن الجواب عن ذلك بوجوه ....إلى قوله : الثالث ما ظهر من قصة الجزيرة الخضراء قال الشيخ الفاضل علي بن فاضل المازندراني فقلت للسيد شمس الدين محمد : يا سيدي قد روينا عن مشايخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر﴿عليه السلام﴾ قال لما امر بالغيبة الكبرى من رآني بعد غيبتي فقد كذب كيف فيكم من يراه ؟ قال صدقت أنه ﴿عليه السلام﴾ أنما قال ذلك في الزمان لكثرة أعدائه من أهل بيته وغيرهم ...الخ [1].

وسادسهم – العالم الحجة السيد محمد تقي الموسوي المتوفى نور الله مرقده سنة ١٢٤٨هـ صاحب (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم﴿عليه السلام﴾) حيث ذكر هذا المولى في كتابه المزبور في

(١) بشارة الأسلام / الطبعة الحيدرية : النجف – ١٩٦٣ / ص : ١٧٤- ١٧٥ .

باب زيارة الإمام المهدي﴿عليه السلام﴾ لآبائه المعصومين﴿عليهم السلام﴾ ما نصه :

ويشهد لهذا المقام ما في البحار في ضمن واقعة الجزيرة الخضراء . قال السيد شمس الدين بعد ان سأله الراوي : هل يحج الإمام ﴿عليه السلام﴾؟ قال : الدنيا خطوة المؤمن فكيف بمن لم الدنيا إلا بوجوده ووجود آبائه . نعم يحج في كل عام ويزور آباءه في المدينة والعراق وطوس على مشرفيها السلام ...الخ[1].

وسابعهم ـ العالم الزاهد الحجة الشيخ علي أكبر النهاوندي المتوفى ﴿رحمه الله﴾ يوم ٢٠ / محرم الحرام / ١٣٦٦هـ فقد أورد هذا الحجة في كتابه القيم (العبقري الحسان في تواريخ صاحب الزمان ﴿عليه السلام﴾ قصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض،وهو مطبوع . وقد ترجم لكتابه هذا وبقية مؤلفاته الشيخ أغا بزرك في الذريعة فراجعها .

وثامنهم ـ آية الله السيد جعفر بن السيد محمد باقر بحر العلوم المتولد عام ١٢٨١هـ والمتوفى﴿قدس سره﴾ يوم الاثنين ٥ / ربيع الأول / ١٣٧٧ وكان في زمان تحصيله من حضار أبحاث الشيخ

---

(١) راجع الجزء الأول من مكيال المكارم / ط الثانية ـ ١٣٩٨هـ / ص: ١٠٢ .

الآخند صاحب الكفاية والأصول والسيد اليزدي مؤلف العروة الوثقى وقد نال منه درجة الاجتهاد [١].

ولهذا السيد الجليل كتب قيمة ومؤلفات جليلة طبع قسم كبير منها في النجف الأشرف ولا زال قسم آخر منها مخطوطاً . ومن بين مؤلفاته القيمة النافعة كتابه (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم) المطبوع لأول مرة في النجف الأشرف عام ١٣٥٤هـ في جزئين . ففي هذا الكتاب أبان السيد جعفر بحر العلوم رضوان الله تعالى عليه عن اعتقاده بالقصة عند ترجمته للمحقق الحلي بقوله :

وأما (جعفر) فهو أبن الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الحلي الهذلي شيخنا نجم الدين أبو القاسم المحقق المنوه باسمه وعلمه في قصة الجزيرة الخضراء ...الخ [٢].

وناهيك ما في هذا الثناء على المحقق الحلي من كونه من المنوّه باسمهم في قصة الجزيرة الخضراء من الكشف عن الاعتقاد

---

(١) راجع مقدمة الطبعة الثانية من كتاب (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم).

(٢) تحفة العالم في شرح خطبة المعالم / للسيد جعفر بحر العلوم / ط الثانية / الجزء الأول / ص ١٩٠ .

بصحتها وصدقها وشأنها في الترجمة عند هذا السيد العلم من آل بحر العلوم .

وتاسعهم – وهو شيخ المحققين وحجة العلماء الباحثين العلامة الشيخ أغا بزرك الطهراني الذي رحل عن هذه الدنيا يوم ١٣ / ذي الحجة / ١٣٨٩هـ ودفن في النجف الأشرف . وقد ترك موسوعة علمية قيمة تلك هي (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) في خمسة وعشرين جزء عدا موسوعته الأخرى (طبقات أعلام الشيعة) وغيرها من المصنفات القيمة الأخرى .

ولقد ترجم هذا الشيخ الفذ للجزيرة الخضراء في عدة أجزاء من الذريعة وسيأتي ذكرها مفصلاً في ثنايا البحث . وممّا يكشف عن كمال اعتقاد هذا الشيخ بقصة الجزيرة الخضراء هذه هو ترجمته لكتاب (الفوائد الشمسية) لصاحب الرحلة علي أبن فاضل في موسوعته الذريعة [1] ، مع أن هذا الكتاب لم يرد له ذكر الاّ في ثنايا هذه القصة وهو عبارة عن مسائل فقهية نيّفت على التسعين مسألة استفادها مصنفها الشيخ علي

---

(١) الجزء السادس عشر – ص ٣٤٣.

بن فاضل من السيد شمس الدين العالم الحفيد الخامس للإمام الحجة ﴿عليه السلام﴾ في الجزيرة والحاكم على أهلها .

ومن طرائف الشيخ أغا بزرك أن أصبحت الجزيرة الخضراء في حياته مضرباً للمثل فقد قال في وصف سامراء بعد عزم السيد المجدّد الشيرازي على البقاء فيها ما نصه (وعلم الناس عزمه على البقاء فانتقلت الصفوة من تلامذته إليه حتى صارت سامراء مثل الجزيرة الخضراء في الروحانية [1].

وعاشرهم – وهو آخر من اطلعنا على رايه بقصة هذه الجزيرة هو السيد السند أبو المعالي شهاب الدين النجفي المرعشي النسابة وهو معروف بتضلعه في مختلف العلوم الإسلامية . فقد كتب في تقريظه للنسخة المترجمة من كتابنا هذا ما يكشف عن كمال اعتقاده بصحة هذه القصة حين قال :

ومن الأمور المهمة الشهيرة قضية جزيرة الخضراء وورود الثقة الجليل الشيخ علي بن فاضل المازندراني تلك الجزيرة وتشرفه بلقيا ولي العصر وناموس الدهر وأمر هذه الجزيرة كان مدلهماً حيث لم يعلم مكانها ولا سمتها وجهتها إلى أن وقف الباحثون

---

(١) هدية الرازي إلى المجدد الشيرازي / اغا بزرك الطهراني / ص٤١ .

على مثلث جزيرة برمودا وحققوا في شأنها وكتبوا في ذلك مقالات وكراريس في الصحف والمجلات[١].

والذي يلوح لي من هذه العبارة ليس هو اعتقاد السيد المرعشي النجفي بالقصة فقط بل اقتناعه باطروحتنا في تطبيق أمر هذه الجزيرة الخضراء على قضية مثلث برمودا كما يبدو هذا لمن تدبر قوله في تقريظه : (وأمر هذه الجزيرة كان مدلهماً حيث لم يعلم مكانها ولا سمتها وجهتها إلى أن وقف الباحثون على مثلث جزيرة برمودا وحققوا في شأنها وكتبوا في ذلك مقالات وكراريس في الصحف والمجلات) .

ولكن كما قلت فأن هذا التقريظ قد كتب للنسخة المترجمة من كتابنا (مثلث برمودا في بحار الشيخ المجلسي) المطبوع لأول مرة في بغداد عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م وفيها أضافات وتحقيقات جديدة أخذت من نسختنا هذه المسماة (الجزيرة الخضراء وقضية مثلث برمودا) حين كانت مخطوطة .وقد استعارها

---

(١) راجع نص التقريظ في الصفحات الأوائل من كتاب (جزيرة خضراء وتحقيقي ببيرامون مثلث برمودا) / ناجي النجار / ترجمة علي أكبر مهدي بور / أنتشارات نصر / الطبعة الأولى – جمادي الثانية ١٤٠٤هـ.

المترجم مني ولخّص ما فيها من مطالب وتحقيقات جديدة وأدرجها في ترجمته للكتاب .

وأن كان السيد المرعشي قد عبر عن الأخ المترجم في تقريظه الآنف الذكر بـ(المؤلف)أشتباهاً ونسب إليه أمر تطبيق قضية الجزيرة الخضراء على ذلك المثلث غفلة ولا ضير عليه في ذلك فأنّ لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة والعصمة لأهلها ﴿عليهم السلام﴾ وحدهم غفر الله له ولنا وعفا عنه وعنّا بمنّه وكرمه .

وعلى أيّ ..فأولئك هم سلفنا الصالح من العلماء العاملين والفضلاء الكاملين من الذين رووا قصة الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض في مصنفاتهم ودوّنوها في مؤلفاتهم الحقة منذ عصر الشهيد الأول وإلى يومنا هذا والذين - كما قلنا - أنّما عددناهم هنا بحسب ما وصلت إليه يد البحث والتتبع ولعل هناك عشرات آخرين غيرهم لم نعلمهم وقد تتاح لنا الفرصة ثانية في أمكانية البحث والتنقيب عنهم فنجد فطاحل ومحققين من علمائنا الذين رووا هذه القصة غيرهم ولم نتوفق لذكرهم هنا وهو ما نأمله منه سبحانه وتعالى التوفيق إليه في القريب العاجل أن شاء الله .

الفهرست

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

الفصل الثالث

الفصل الرابع / الباب الأول

الباب الثاني